(الجزء الثالث)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثالث من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)

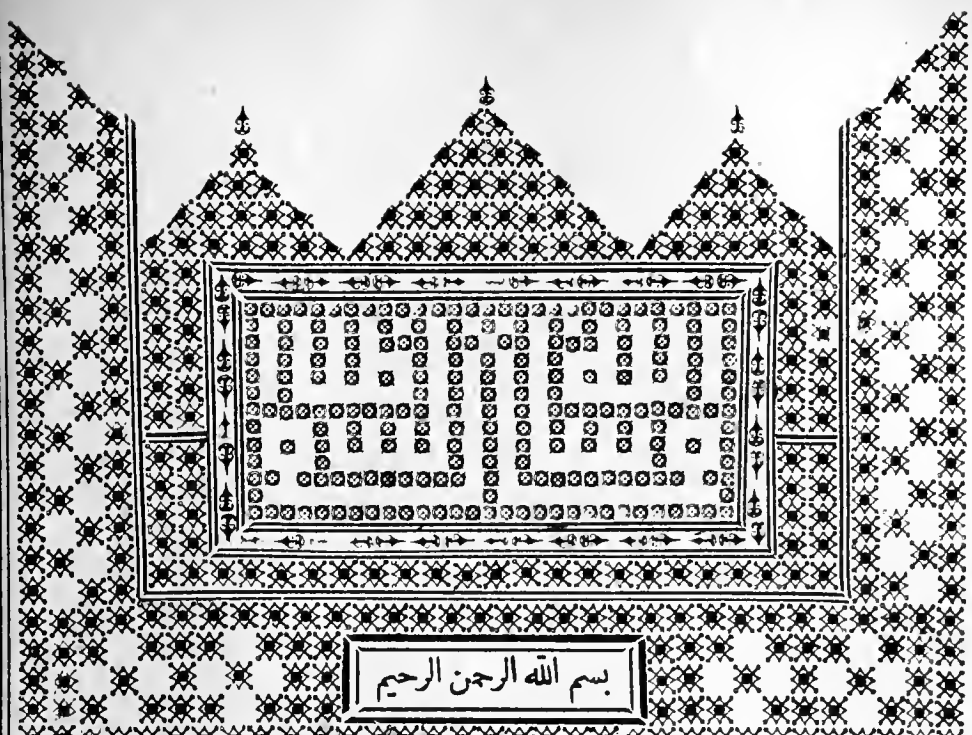

بسم الله الرحمن الرحيم

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) القراآت لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم * الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين ه الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ه

❁ القول في تاويل قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات) يعني تعالى ذكره بقوله تلك الرسل الذين قص الله قصصهم في هذه السورة كموسى بن عمران وابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب وشمويل وداود وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض والذي كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم و رفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا أبو عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال يقول منهم من كلم الله و رفع بعضهم على بعض درجات يقول كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي بعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب فان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولا تحل لاحد كان قبلي وقيل لي سل تعطه فاختبأت تها شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله من لا يشرك بالله شيأ ❁ القول في تاويل قوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) يعني تعالى ذكره بذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات وآتينا عيسى بن مريم الحجج والادلة على نبوته من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وما أشبه ذلك مع الانجيل الذي أنزلته اليه فبينت فيه ما فرضت عليه يعني تعالى ذكره بقوله وأيدناه وقويناه وأعناه بروح القدس يعني بروح الله وهو جبريل وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم في معنى روح القدس والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ❁ القول في تاويل قوله (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات) يعني تعالى ذكره بذلك ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يعني من بعد الرسل الذين وصفهم بانه فضل بعضهم على بعض و رفع بعضهم درجات و بعد عيسى بن مريم وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه و يعني بقوله من بعد ما جاءتهم البينات يعني من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل وقد قيل ان الهاء والميم في قوله من بعدهم من بعد ذكر موسى وعيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى ۞ القول في تأويل قوله (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) يعني تعالى ذكره بذلك ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحي كتابه فكفر بالله وبآياته بعضهم وآمن بذلك بعضهم فأخبر تعالى ذكره أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ تعمدا منهم للكفر بالله وآياته ثم قال تعالى ذكره لعباده ولو شاء الله ما اقتتلوا يقول ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه إياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به فيؤمن به ويطيعه ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) يعني تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم وتصدقوا منها وأدوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قال من الزكاة والتطوع من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة يقول ادخر والأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم بالنفقة منها في سبيل الله والصدقة على أهل المسكنة والحاجة وابتاء ما فرض الله عليكم فيها وابتاعوا بها ما عنده مما أعد لأوليائه من الكرامة بتقديم ذلك لأنفسكم ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه بما ندبتم إليه وأمرتكم به من النفقة من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه يقول لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به أو ندبتكم إليه في الدنيا قادرين لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية فيكون لهم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ أو بالعمل بطاعة الله سبيل ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم مع ارتفاع العمل الذي ينال به رضى الله أو الوصول إلى كرامته بالنفقة من الأموال إذا كان لا مال هنالك يمكن إدراك ذلك به يوم لا محالة فيه نافعة كما كانت في الدنيا فإن خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء والمظاهرة له على ذلك فأيسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك لأنه لا أحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله بل الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين كما قال الله تعالى ذكره وأخبرهم أيضا أنهم يومئذ مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم والعمل بأيديهم وعدمهم النصراء من الخلال والظهراء من الإخوان لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في الدنيا فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة وغير ذلك من الأسباب فبطل ذلك كله يومئذ كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وهذه الآية تخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص وإنما معناه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع * وكان قتادة يقول في ذلك بما **حدثنا** به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين * وأما قوله والكافرون هم الظالمون فإنه يعني تعالى ذكره بذلك والجاحدون لله المكذبون به وبرسوله هم الظالمون يقول هم الواضعون جحودهم في غير موضعه والفاعلون غير ما لهم فعله والقائلون ما ليس لهم قوله وقد دللنا على معنى الظلم بشواهده فيما مضى قبل بما

ولا شفاعة ط الظالمون ٥ التفسير ثلاث القصص المذكورة من حديث الالوف وأماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التي هي اتيان التابوت وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبي فقير آيات الله الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته نتلوها عليك بتلاوة جبرائيل وفيه تشريف عظيم لجبرائيل كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله بالحق باليقين الذي لا شك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان في تلاوتها حكمة شريفة وهي اعتبار المكلفين من أمتك ليحتملوا شدائد الجهاد كما احتملها الامم السالفة ولانها تدل على نبوتك من قبل انها اخبار بالغيب ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم أكد ذلك بقوله وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة ودراسة وفيه أيضا تسلية للنبي فيما يراه من الكفار وأهل النفاق من الخلاف والشقاق كما رآه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا كرر فقال تلك الرسل أي الذين تعرفهم وأنت من جملتهم فضلنا بعضهم على بعض منهم من فضله الله بان كلمه الله من

غير سفير وهو موسى عليه السلام و رفع بعضهم درجات قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع ابعضهم كقوله و رفعناه مكانا عليا أي له وقيل حال من بعضهم أي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لان الدرجة بمعنى الرفعة فكانه قال ورفعنا بعضهم رفعات وأيد عيسى بروح القدس (٤) ومع ذلك قد نالهم من قومهم ماذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ماترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف أمم أولئك ولكن ماقضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع واعلم أن الامة أجمعت على أن بعض الانبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدا أفضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله و رفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكر محمد صلى الله عليه وسلم في الشهادة وفي الاذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الانبياء ومنها أنه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله و رضاه برضاه والله و رسوله أحق أن يرضوه واجابته باجابته يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها أن معجزاته أكثر وقد ترقى الى ألف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على ألفي معجز وأزيد لان التحدي وقع باقصر سورة هي الكوثر وأنه ثلاث آيات وكل ثلاث آيات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزا برأسه ومنها أن معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت وانقرضت مع أن معجزته من جنس مالا يبقى زمانين وهي الاصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس مايبقى مدة طويلة ومنها أنه اجتمع فيه من الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم والية الاشارة بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي أطلناك على

أغنى عن اعادته وفي قوله تعالى ذكره في هذا الموضع والكافرون هم الظالمون دلالة واضحة على صحة ماقلناه وأن قوله ولا خلة ولا شفاعة انما هو مراد به أهل الكفر فلذلك اتبع قوله ذلك والكافرون هم الظالمون فدل بذلك على أن معنى ذلك حرمنا الكفار النصرة من الاخلاء والشفاعة من الاولياء والاقرباء ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين اذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الافعال التي أوجبوا بها العقوبة من ربهم * فان قال قائل وكيف صرف الوعيد الى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الايمان قيل له ان الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس أحدهما أهل كفر والآخر أهل ايمان وذلك قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به بحض أهل الايمان به على مايقربهم اليه من النفقة في طاعته وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر قبل مجيء اليوم الذي وصف صفته وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به اذ كان قتال أهل الكفر به في معصيته ونفقتهم في الصد عن سبيله فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم في طاعتي اذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع مافرطوا في ابتياعه في دنياهم ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم مني ولا شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي وهذا يومئذ فعل بهم جزاء لهم على كفرهم وهم الظالمون أنفسهم دوني لا اني غير ظلام لعبيدي وقد حدثني محمد بن عبد الرحيم قال ثني عمرو بن أبي سلمة قال سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون ۞ القول في تاويل قوله (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قد دللنا فيما مضى على تاويل قوله الله وأما تاويل قوله لا اله الا هو فان معناه النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ماوصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية يقول الله الذي له عبادة الخلق الحي القيوم لا اله سواه لا معبود سواه يعني ولا تعبدوا شيأ سواه الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم والذي صفته ماوصف في هذه الآية وهذه الآية بانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفون في البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره انه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه فاقتتلوا فيه كفر بعضهم من بعض وايمانا به من بعض فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به ووفقنا للاقرار به وأما قوله الحي فانه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يحد ولا آخر له بامداد كان كل ماسواه فانه وان كان حيا فلحياته أول محدود وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحي حي لا يموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * وقد اختلف أهل البحث في تاويل ذلك فقال بعضهم انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الامور وتصاريفها وتقديره الاشياء مقاديرها فهو حي بالتدبير لا بحياة * وقال آخرون بل هو حي بحياة هي له صفة * وقال آخرون بل ذلك اسم من الاسماء تسمى به فقلناه تسليما لامره وأما قوله القيوم فانه الفيعول من القيام وأصله القيووم سبق عين الفعل وهي واو ياء ساكنة فاندغمتا فصارتا ياء مشددة وكذلك تفعل العرب في كل واو وياء كانت للفعل عينا سبقتها ياء ساكنة ومعنى قوله القيوم القائم برزق ماخلق وحفظه كما قال أمية

لم يخلق السماء والنجوم * والشمس معها قمر يقوم
قدره المهين القيوم * والحشر والجنة والنعيم
* الا لامر شانه عظيم *

أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها فانه لا يجوز أن يكون مامورا بالاقتداء بهم فى أصول الدين لانه تقليد ولا فى الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد تحاسن الاخلاق ومنها أنه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل اعباء الرسالة أكثر فيكون ثوابه أزيد ومنها أن هذا الدين أفضل والا لم ينسخ به سائر الاديان فيكون شارعه أفضل ومنها أن تكون أمته أفضل (٥) كنتم خير أمة أخرجت للناس واذا كان التابع أفضل فالمتبوع أفضل ومنها ان أمته أكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين أثرا قويا فى علو شأن المتبوع ومنها ان كل نبى نودى فى القرآن فقد نودى باسمه يا آدم اسكن يا موسى انى أنا الله وناديناه أن يا ابراهيم يا عيسى انى متوفيك وأما النبى صلى الله عليه وسلم فانه نودى بقوله يا أيها النبى يا أيها الرسول بل أقسم بحياته لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وأما الاحاديث فى هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا واتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن ابراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجى الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وان آدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول شفيع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله القيوم قال القائم على كل شئ حدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويرزقه ويحفظه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى القيوم وهو القائم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الحى القيوم قال القائم الدائم ❁ القول فى تاويل قوله (لا تاخذه سنة ولا نوم) يعنى تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة لا ياخذه نعاس فينعس ولا نوم فيستثقل نوما والوسن خثورة النوم ومنه قول عدى بن الرقاع

وسنان قصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

ومن الدليل على ما قلنا من انها خثورة النوم فى عين الانسان قول الاعشى ميمون بن قيس

تعاطى الضجيع اذا أقبلت * بعيد النعاس قبيل الوسن

(وقال آخر) باكرتها الاعراب فى سنة النوم * فجرى خلال ٧ سؤل السيال

يعنى عند هبوبها من النوم ووسن النوم فى عينها يقال منه وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان اذا كان كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله لا تاخذه سنة قال السنة النعاس والنوم هو النوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله لا تاخذه سنة قالا نعسة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنة وهو دون النوم والنوم الاستثقال حدثنى المثنى قال ثنا اسحق أبو زهير عن جويبر عن الضحاك لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس والنوم الاستثقال حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله سواء حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لا تاخذه سنة ولا نوم أما السنة فهو ريح النوم الذى يأخذ فى الوجه فينعس الانسان حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع لا تاخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنان بين النائم واليقظان حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا منجاب بن الحرث قال ثنا على بن مسهر عن اسمعيل عن يحيى بن رافع لا تاخذه سنة قال النعاس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تاخذه سنة ولا نوم قال الوسنان الذى يقوم من النوم لا يعقل حتى ربما أخذ السيف على أهله وانما عنى تعالى ذكره بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم لا تحله الآفات ولا تناله العاهات وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهوم ذى الفهم ويزيلان من أصابا عن الحال التى كان عليها قبل أن يصيباه فتاويل الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا الله لا اله الا هو الحى الذى لا يموت القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال الى حال لا تاخذه سنة ولا نوم لا يغيره ما يغير غيره ولا يزيله عما لم يزل عليه ثقل الاحوال وتصريف الليالى والايام بل هو الدائم على حال والقيوم على جميع الايام لو نام كان مغلوبا مقهورا لان النوم غالب النائم قاهره ولو وسن لكانت السموات والارض وما فيهما دكا لان قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته والنوم شاغل المدبر عن التدبير والنعاس يمانع المقدر عن التقدير بوسنه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال وأخبرنى الحكم بن أبان عن

فيدخلنها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى كل أحمر واسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت (٦) بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة و روى البيهقي في كتابه في

عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم ان يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس و ينتبه و ينعس و ينتبه حتى نعس نعسة فضرب باحداهما الاخرى فكسرهما قال معمرا نما هو مثل ضرب به الله يقول فكذلك السموات والارض في يديه **حدثنا** اسحق بن أبي اسرائيل قال ثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان الله لو كان ينام لم تمسك السماء والارض ۞ القول في تاويل قوله (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) يعني تعالى ذكره بقوله له ما في السموات وما في الارض انه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا ند يدوخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود وانما يعني بذلك انه لا تنبغي العبادة لشئ سواه لان المملوك انما هو طوع يد مالكه وليس له خدمة غيره الا بامره يقول فجميع ما في السموات والارض ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه لانه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه ولا يطيع سوى مولاه وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعني بذلك من ذا الذي يشفع لهما لكه ان أراد عقوبتهم الا ان يخليه و ياذن له بالشفاعة لهم وانما قال ذلك تعالى ذكره لان المشركين قالوا ما نعبد أوثاننا هذه الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى ذكره لهم لي ما في السموات والارض مع السموات والارض ملكا فلا ينبغي العبادة لغيري فلا تعبدوا الاوثان التي تزعمون انها تقربكم مني زلفى فانها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيأ ولا يشفع عندي أحد لاحد الا بتخليتي اياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي ۞ القول في تاويل قوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) يعني تعالى ذكره بذلك انه المحيط بكل ما كان و بكل ما هو كائن علما لا يخفى عليه شئ منه و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الآخرة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله يعلم ما بين أيديهم ما مضى امامهم من الدنيا وما خلفهم ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يعلم ما بين أيديهم قال ما بين أيديهم فالدنيا وما خلفهم فالآخرة وأما قوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فانه يعني تعالى ذكره انه العالم الذي لا يخفى عليه شئ محيط بذلك كله محص له دون سائر من دونه وانه لا يعلم أحد سواه شيأ الا بما شاء هو أن يعلمه فاراد بعلمه وانما يعني بذلك ان العبادة لا تنبغي لمن كان بالاشياء جاهلا فكيف بعبد من لا يعقل شيأ البتة من وثن وصنم يقول أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالاشياء كلها بعلمها لا يخفى عليه صغيرها ولا كبيرها و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ولا يحيطون بشئ من علمه يقول لا يعلمون بشئ من علمه الا بما شاء هو أن يعلمهم ۞ القول في تاويل قوله (وسع كرسيه السموات والارض) اختلف أهل التاويل في معني الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية انه وسع السموات والارض فقال

فضائل الصحابة ظهر علي بن أبي طالب من البعيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول ان ذخائر كل ملك ينبغي أن تكون على مقدار من تحت ملكه فامير المدينة يحتاج الى عدة أكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعم من نبوة سائر الانبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم أعطي من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم و بدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الاخلاق ما لم يؤت نبي قبله ولن يؤتى أحد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بان معجزات سائر الانبياء كانت أعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم ألقي في النار فانقلبت روحا وبردا وأوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود ألان الحديد في يده وسليمان أعطي ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بعضهم بين الانبياء وقال لا ينبغي لاحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب أن كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا

وآدم بين الماء والطين ونقل ان جبريل عليه السلام أخذ ركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود وانه تعالى يصلي نفسه على محمد الى يوم القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على ان ذلك السجود أيضا انما كان لاجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان أول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لما خلقت الافلاك (٧) ومن تامل كتب دلائل النبوة وجد في مقابلة

بعضهم هو علم الله تعالى ذكره ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وسالم بن جنادة قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسع كرسيه قال كرسيه علمه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله وزاد فيه ألا ترى الى قوله ولا يؤوده حفظهما وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ذكر من قال ذلك **حدثني** علي بن مسلم الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثني محمد بن بخادة عن سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن ابي موسى قال الكرسي موضع القدمين وله أطيط كاطيط الرحل **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وسع كرسيه السموات والارض فان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين قال الكرسي موضع القدمين **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وسع كرسيه السموات والارض قال لما نزلت وسع كرسيه السموات والارض قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والارض فكيف العرش فانزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسع كرسيه السموات والارض قال ابن زيد فحدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض * وقال آخرون الكرسي هو العرش نفسه ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسي هو العرش قال أبو جعفر والكل قول من هذه الاقوال وجه ومذهب غير ان الذي هو أولى بتاويل الآية ما جاء به الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما **حدثني** به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال اخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال ان كرسيه وسع السموات والارض وانه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال باصابعه فجمعها وان له أطيطا كاطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله **حدثني** عبد الله بن أبي زياد قال ثنا يحيى بن أبي بكر عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال جاءت امرأة فذكر نحوه وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه انه قال هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ولا يؤوده حفظهما على ان ذلك كذلك فاخبر انه لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والارض وكما أخبر عن ملائكته انهم قالوا في دعائهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاخبر تعالى ذكره ان علمه وسع كل شئ فكذلك قوله وسع كرسيه السموات والارض وأصل الكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز في صفة قانص * حتى اذا ما اختارها تكرسا * يعني علم ومنه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الارض يعني بذلك انهم العلماء الذين تصلح بهم الارض

كل معجز كان لنبي قبله معجزة أفضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وأيضا التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا تليق بكل أحد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل أن التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث ان كلا منهما ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث رآهم يزدرون بشانه ويتعجبون من الانبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال أنا أكرم الاولين والآخرين وأنا سيد العالمين وحيث رآهم يزدرون بشأن بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على أنه لا يلزم من النهي عن شئ عدم مطابقة ذلك الشئ للواقع فقد يكون الشئ حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم أن تعرفوا حقية جميع الانبياء وتؤمنوا بهم

ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في أن يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بمكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على أن موسى قد كلمه الله

واختلف فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله أم لا منهم من قال نعم بدليل قوله فاوحى الى عبده ما أوحى وأورد هنا أن التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث قال أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات وأجيب بان قصة ابليس ليس فيها ما يدل على أنه تعالى كلمه من غير (٨) واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق أن المكالمة

ومنه قول الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة * كرامى بالاحداث حين تنوب

يعنى بذلك علماء بحوادث الامور ونوازلها والعرب تسمى أصل كل شئ الكرسى يقال منه فلان كريم الكرسى أى كريم الاصل قال العجاج

قد يعلم القدوس ولى القدس * ان أبا العباس أولى نفس * بمعدن الملك الكريم الكرسى

يعنى بذلك الكريم الاصل و يروى فى معدن العز الكريم الكرسى ۞ القول فى تاويل قوله (ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم) يعنى تعالى ذكره بقوله ولا يؤده حفظهما ولا يشق عليه ولا يثقله يقال منه قد آدنى هذا الامر فهو يؤدى أودا وايادا و يقال ما آدك فهو لى آيد يعنى بذلك ما أثقلك فهو مثقل و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يؤده حفظهما لا يثقل عليه لا يجهده حفظهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه شئ حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتى قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة وحدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قالا جميعا أخبرنا جويبر عن الضحاك ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن عبيد عن الضحاك مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى خلادا يقول سمعت أبا عبد الرحمن المدينى يقول فى هذه الآية ولا يؤده حفظهما قال لا يكثره عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولا يؤده حفظهما قال لا يكره به حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حفظهما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يعزب عليه حفظهما قال أبو جعفر والهاء والميم والالف فى قوله حفظهما من ذكر السموات والارض فتاويل الكلام وسع كرسيه السموات والارض ولا يثقل عليه حفظ السموات والارض وأما تاويل قوله وهو العلى فانه يعنى والله العلى والعلى الفعيل من قولك علا يعلو علوا اذا ارتفع فهو عال وعلى والعلى ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم ذو العظمة الذى كل شئ دونه فلا شئ أعظم منه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظمته واختلف أهل البحث فى معنى قوله وهو العلى فقال بعضهم يعنى بذلك وهو العلى عن النظير والاشباه وأنكروا أن يكون معنى ذلك وهو العالى المكان وقالوا غير جائز أن يخلو منه مكان ولا معنى لوصفه بعلو المكان لان ذلك وصفه بانه فى مكان دون مكان * وقال آخرون معنى ذلك وهو العلى على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه لانه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف به نفسه انه على العرش فهو عال بذلك عليهم وكذلك اختلفوا فى معنى قوله العظيم فقال بعضهم معنى العظيم فى هذا الموضع المعظم صرف المفعل الى فعيل كما قيل للخمر المعتقة خمر عتيق وكما قال الشاعر

قسمان مكالمة الرضا وهى الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهى الموجبة للعن كما فى حق ابليس وأن عليك اللعنة الى يوم الدين وكما فى أهل النار اخسئوا فيها ولا تكلمون أما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل ان المراد بيان أن الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا وأعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب أما اذا حملناها على المعجزات ففيه أيضا وجه وذلك ان كل واحد من الانبياء أوتى نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه أهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص مناسب للطب لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد وهى القرآن تضاهى ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات وكان متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تاملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمدا كان مستجمعا للكل فنصيبه أعلى ومعجزته أبقى وقومه أكثر ودولته

أعظم وأوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال و رفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم و يريد به نفسه و يكون ذلك أفخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يبق فيه فخامة وليس

(٩)

وكان الحجر العتيق من الاسفط مزوجة بماء زلال

وانما هي معتقة قالوا فقوله العظيم معناه المعظم الذي يعظمه خلقه و يهابونه و يتقونه قالوا وانما يحتمل قول القائل هو عظيم أحد معنيين أحدهما ما وصفنا من انه معظم والآخر انه عظيم في المساحة والوزن قالوا وفي بطول القول بان يكون معنى ذلك انه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا * وقال آخرون بل تاويل قوله العظيم هو أن له عظمة هي له صفة وقالوا لا نصف عظمته بكيفية ولكنا نضيف ذلك اليه من جهة الاثبات وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد لان ذلك تشبيه له بخلقه وليس كذلك وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها وقالوا لو كان معنى ذلك انه معظم لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق لانه لا معظم له في هذه الاحوال وقال آخرون بل قوله انه العظيم وصف منه نفسه بالعظم وقالوا كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته * القول في تاويل قوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) اختلف أهل التاويل في معنى ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في قوم من الانصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هوّدوهم أو نصّروهم فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوّده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار فقالوا لا ندع أبناءنا فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال كانت المرأة تكون مقلى ولا يعيش لها ولد قال شعبة وانما هو مقلاة فتجعل عليها ان بقي لها ولد لتهوّدنه قال فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم فقالت الانصار كيف نصنع بابنائنا فانزلت هذه الآية لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال من شاء أن يقيم أقام ومن شاء أن يذهب ذهب **حدثنا** حميد بن مسعود قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود **وحدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عامر قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتنذر ان عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم فجاء الاسلام وطوائف من أبناء الانصار على دينهم فقالوا انما جعلناهم على دينهم ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا واذ جاء بالاسلام فلنكرهنهم فنزلت لا اكراه في الدين فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والاسلام فمن لحق بهم اختار اليهودية ومن أقام اختار الاسلام ولفظ الحديث لحميد **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود عن عامر بنحو معناه الا أنه قال فكان فصل ما بينهم اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير فلحق بهم من كان يهوديا ولم يسلم منهم و بقي من أسلم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر بنحوه الا أنه قال اجلاء النضير الى خيبر فمن اختار الاسلام أقام ومن كره لحق بخيبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبي اسحق عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال سالت سعيد بن جبير عن قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت هذه في الانصار قال قلت خاصة قال كانت المرأة في الجاهلية تنذر ولدت

قوله و رفع بعضهم درجات تكرار القوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله و رفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير في قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء وأما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان أمتهما موجودون حاضرون فنبه على ان هذين الرسولين مع علو رتبتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من أمتهما لهما بل نازعوا وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما أعرضوا ثم ان الرسل بعد مجيء البينات ووضوح الدلائل اختلف أقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله أي ان لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم

لاختلافهم في الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تاكيدا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفي الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعي تستند لا محالة الى

داعية يخلقها الله عز وجل في العبد والمعتزلة يقيدون المطلق في الآيتين فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر ويقولون المراد يفعل ما يريد من أفعال نفسه ثم انه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله وأعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد ثم أكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت أعقبه تارة أخرى الامر بالانفاق في الجهاد بقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وعن الحسن أنه مختص بالزكاة لان قوله من قبل أن يأتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على أنه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وانما الغرض أن يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من أعماله ومعنى قوله لا بيع أنه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب أو يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل أحد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه أو لان الخوف الشديد غالب على كل أحد تذهل كل مرضعة عما أرضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل أراد والتاركون من الزكاة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين أي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله ووجدوا

ولدا أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه قال فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت النضير قالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فيهم قال فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختار وكم فهم منكم وان اختار وهم فهم منهم قال فاجلوهم معهم **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الى لا انفصام لها قال نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما باعوا وأرادوا ان يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا فرجعا الى الشام معهم فاتى أبوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني تنصرا وخرجا فاطلبهما فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب وقال أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فانزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ثم انه نسخ لا اكراه في الدين فامر بقتال أهل القتال في سورة براءة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا اكراه في الدين قال كان في اليهود يهود ارضعوا رجلا من الاوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلائهم قال أبناؤهم من الاوس لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الاسلام ففيهم نزلت الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لا اكراه في الدين قال كان ناس من الانصار مسترضعين في بني قريظة فارادوا أن يكرهوهم على الاسلام فنزلت لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد كانت النضير يهودا فارضعوا ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم قال ابن جريج وأخبرني عبد الكريم عن مجاهد انهم كانوا قددان بدينهم أبناء الاوس دانوا بدين النضير **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن الشعبي ان المرأة من الانصار كانت تنذر ان عاش ولدها التجعلنه في أهل الكتاب فلما جاء الاسلام قالت الانصار يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الاسلام فانزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود عن الشعبي مثله وزاد قال كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الاسلام اجلاء بني النضير فمن خرج مع بني النضير كان منهم ومن تركهم اختار الاسلام **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا اكراه في الدين الى قوله العروة الوثقى قال هذا منسوخ **حدثني** سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وواصل عن الحسن ان أناسا من الانصار كانوا مسترضعين في بني النضير فلما أجلوا أراد أهلوهم أن يلحقوهم بدينهم فنزلت لا اكراه في الدين * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يكره أهل الكتاب على الدين اذا بذلوا الجزية ولكنهم يقرون على دينهم وقالوا الآية في خاص من الكفار ولم ينسخ منها شيء ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال أكره عليه هذا الحي من العرب لانهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال هو هذا هو الحي

ما علموا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وأما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل أم كثر وفائدة الفصل أنهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك آيات الله أسراره (١١) وأنواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجاة في الخلوات ثم فطموا عن البان تلك اللذات في حجر القربات وأرسلوا الى أهل الغدر والغفلات وعبدة طواغيت الهوى وأصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجونهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وأنت عبرت المكونات فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لبى مع الله وقت وابتليت بسغارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك أن تقول ما أوذي نبي مثل ما أوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيت فما أوذي بغطام مثل ما أوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى أن التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من أهل الفضل أنوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء أضواء أنوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل وغوى ثم الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

من العرب أكرهوا على الدين لم يقبل منهم الا القتل أو الاسلام وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قوله لا اكراه في الدين قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الاوثان فلم يقبل منهم الا لا اله الا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم بان يقبل منهم الجزية فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال كانت العرب ليس لها دين فاكرهوا على الدين بالسيف قال ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس اذا أعطوا الجزية **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني يا جريا سلم ثم قال هكذا كان يقال لهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال وذلك لما دخل الناس في الاسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية * وقال آخرون هذه الآية منسوخة وانما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا في الدين فابى المشركون الا أن يقاتلوهم فاستأذن الله في قتالهم فاذن له وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في خاص من الناس قال عنى بقوله تعالى ذكره لا اكراه في الدين أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء اقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكر وا أن يكون شئ منها منسوخا وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الاحكام من ان الناسخ غير كائن ناسخا الا ما انفاحكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما فاما ما كان ظاهره العموم من الامر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذ كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل أن يقال لا اكراه لاحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ولم يكن في الآية دليل على أن تاويلها بخلاف ذلك وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم انه أكره على الاسلام قوما فابى أن يقبل منهم الا الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا منه وذلك كعبدة الاوثان من مشركي العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق الى الكفر ومن أشبههم وانه ترك اكراه آخرين على الاسلام بقبوله الجزية منه واقراره على دينه الباطل وذلك كاهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله لا اكراه في الدين انما هو لا اكراه في الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه باداته الجزية ورضاه بحكم الاسلام ولا معنى لقول من زعم ان الآية منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة فان قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن ابن عباس وعمن روى عنه من أنها نزلت في قوم من الانصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الاسلام قلنا ذلك غير مدفوعة صحته ولكن الآية قد تنزل في خاص من الامر ثم يكون حكمها عاما في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره انما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى ذكره عن اكراههم على الاسلام فانزل بالنهي عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان في مثل معناهم ممن كان على دين من الاديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها واقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك ومعنى قوله لا اكراه في الدين لا يكره أحد في دين الاسلام عليه وانما أدخلت الالف واللام في الدين تصريفا للدين الذي عنى الله بقوله لا اكراه فيه وانه هو الاسلام وقد يحتمل أن يكون أدخلتا تعقيبا من الهاء المنوية في الدين فيكون معنى الكلام حينئذ وهو العلي

وخاص يمتازبه عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت فى الانوار على قدر التفاوت فى الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور فى بدو الخلقة لافى حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوجدان فى قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة فى الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين أوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد يبقى بعضهم فى مكان من أماكن السموات كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى آدم ليلة المعراج فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة وابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم مابقى فى مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين أو أدنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا فقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما أخبر عن فضيلة الخواص بانها كانت تفضيله اياهم أخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم أخبر عن اجزاء الفضل انه فى الانفاق والبذل فخاطب أهل الايمان أى ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل مارزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها فى مصارفها العامة والخاصة أنفقوا ملكنا ومالنا فى صلاح أنفسكم واغتنموا مساعدة الامكان فى تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل أن يأتى يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس فى سوق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

العظيم لا اكراه فى دينه قد تبين الرشد من الغى وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندى وأما قوله قد تبين الرشد فانه مصدر من قول القائل رشدت فانا أرشد رشدا ورشادا ورشادا وذلك اذا أصاب الحق والصواب وأما الغى فانه مصدر من قول القائل قد غوى فلان فهو يغوى غيا وغواية وبعض العرب تقول غوى فلان يغوى والذى عليه قراءة القراء ماضل صاحبكم وماغوى بالفتح وهى أفصح اللغتين وذلك اذا غوى الحق وتجاوزه فضل فتاويل الكلام اذا قد وضح الحق من الباطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميز من الضلالة والغواية فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فان حاد عن الرشاد بعد استبانته له فالى ربه أمره وهو ولى عقوبته فى معاده ۞ القول فى تاويل قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) اختلف أهل التاويل فى معنى الطاغوت فقال بعضهم هو الشيطان ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن حسان بن فايد العنسى قال قال عمر بن الخطاب الطاغوت الشيطان **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنى ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن حسان بن فايد عن عمر مثله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن حدثه عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى قال الطاغوت الشيطان **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله فمن يكفر بالطاغوت قال الشيطان **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الطاغوت الشيطان **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان * وقال آخرون الطاغوت هو الساحر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية انه قال الطاغوت الساحر وقد خولف عبد الاعلى فى هذه الرواية وأنا ذاكر الخلاف بعد **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا عوف عن محمد قال الطاغوت الساحر * وقال آخرون بل الطاغوت هو الكاهن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال الطاغوت الكاهن **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قال الطاغوت الكاهن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم أخبرنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أنه سمعه يقول وسئل عن الطواغيت التى كانوا يتحاكمون اليها فقال كان فى جهينة واحد وفى أسلم واحد وفى كل حى واحد وهى كهان ينزل عليها الشيطان والصواب من القول عندى فى الطاغوت انه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه اما بقهر منه لمن عبده واما بطاعة ممن عبده انسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شئ وأرى ان أصل الطاغوت الطغوت من قول القائل طغى فلان يطغو اذا عدا قدره فتجاوز حده كالجبروت من التجبر والحلبوت من الحلب ونحو ذلك من الاسماء التى تاتى على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعنى لام الطغوت فجعلت له عينا وحولت عينه فجعلت مكان لامه كما قيل جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة وما أشبه ذلك من الاسماء التى على هذا المثال فتاويل الكلام اذا فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله يقول ويصدق بالله انه الهه وربه ومعبوده فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك باوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه كما **حدثنى** أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا ابن أبى مريم عن حميد بن

عقبة

ولا ينفعه خلة خليل دنيوى لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا أرسلنا الرسل وأنزلنا الكتب وأمرناهم بالانفاق وأعددنا هم الثواب وحذرناهم العقاب وقد أعذر من أنذر والله المستعان

(الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى (١٣) يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم

عقبة عن أبى الدرداء انه عاد مريضا من جيرته فوجده فى السوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد فسألهم يريد أن ينطق قالوا نعم يريد أن يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال أبو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يرددها حتى انكسر لسانه فنحن نعلم انه انما يريد أن ينطق بها فقال أبو الدرداء أفلح صاحبكم ان الله يقول فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ۞ القول فى تاويل قوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة فى هذا المكان مثل للايمان الذى اعتصم به المؤمن فشبهه فى تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بالعروة الوثقى الشئ الذى له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذى عروة فانما يتعلق من أراده بعروته وجعل تعالى ذكره الايمان الذى تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من أوثق عرى الاشياء بقوله الوثقى والوثقى فعلى من الوثاقة يقال فى الذكر هو الاوثق وفى الانثى هى الوثقى كما يقال فلان الافضل وفلانة الفضلى وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بالعروة الوثقى قال الايمان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال العروة الوثقى هو الاسلام حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى السوداء عن جعفر يعنى ابن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى السوداء الهندى عن سعيد بن جبير مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فقد استمسك بالعروة الوثقى مثله ۞ القول فى تاويل قوله (لا انفصام لها) يعنى تعالى ذكره بقوله لا انفصام لها الا انكسار لها والهاء والالف فى قوله لها عائدة على العروة ومعنى الكلام فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه فى أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الاشياء التى لا يخشى انكسار عراها وأصل الفصم الكسر ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

ومبسمها عن شنب النبا * ت غير كسر ولا منفصم

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا انفصام لها قال لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا انفصام لها لا انقطاع لها ۞ القول فى تاويل قوله (والله سميع عليم) يعنى تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحدانية الله وتبرئه من الانداد والاوثان التى تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته قلبه وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر حتى يجازى كلا يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ۞ القول فى تاويل قوله (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) يعنى تعالى ذكره بقوله الله ولى الذين آمنوا نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه يخرجهم من الظلمات يعنى بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات فى هذا الموضع الكفر وانما جعل

قد قيل للاستئناف بالنفى والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة أى استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ٥ آمنوا الان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل فى ولى تقديره الله يليهم مخرجا لهم أو مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا الان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ٥ * التفسير قد جرت عادته سبحانه فى هذا الكتاب الكريم أنه يخاطب الانواع الثلاثة أعنى علم التوحيد وعلم

الاحكام وعلم القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق أيضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من أسلوب الى أسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وبصيرته أقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله

لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب أنت وسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي رضي الله عنه أنه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال عليه السلام فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم

الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة أسبابه فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فوفقهم لادلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر وظلمه سواتر أبصار القلوب ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به فقال والذين كفروا يعني الجاحدين وحدانيته أولياؤهم يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت يعني الانداد والاوثان الذين يعبدونهم من دون الله يخرجونهم من النور الى الظلمات يعني بالنور الايمان على نحو ما بينا الى الظلمات ويعني بالظلمات ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الايمان وحقائق أدلته وسبله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الشيطان يخرجهم من النور الى الظلمات يقول من الهدى الى الضلالة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والظلمات الكفر والنور الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يخرجونهم من الايمان الى الكفر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعالى ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الكفر الى الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يقول من الايمان الى الكفر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبد الله بن أبي لبابة عن مجاهد أو مقسم في قول الله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات قال كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى أي يخرج الذين آمنوا الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا وأولياؤهم الطاغوت آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال يخرجونهم من النور الى الظلمات حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت منصورا عن رجل عن عبدة بن أبي لبابة قال في هذه الآية الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال هم الذين كانوا آمنوا بعيسى بن مريم فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم هذه الآية وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد وعبدة ابن أبي لبابة يدل على أن الآية معناها الخصوص وانها ان كان الامر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الاوثان الذين لم يكونوا مقرين بنبوة عيسى وسائر الملل التي كان أهلها تكذب بعيسى فان قال قائل أو كانت النصارى على حق قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوا به قيل من كان منهم على ملة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فكان على حق وايا هم عنى الله تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فان قال قائل فهل يحتمل أن يكون قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أن يكون معنيا به غير الذين ذكر مجاهد وعبدة انهم عنوا به من المؤمنين بعيسى أو غير أهل الردة والاسلام قيل نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الايمان ويضلونهم فيكفرون فيكون تضليلهم اياهم حتى يكفروا اخراجا منهم لهم من الايمان يعني صدهم اياهم عنه وحرمانهم اياهم خيره وان لم

ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا أزال اذهب وارجع وانظر اليه يصنع وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو أشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من

نعوت جلاله وأوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت فى الشرف الى أقصى الغايات ونهاية النصورات ولنشتغل بالتفسير أما لفظ الله فقد مر تفسيره فى أول الكتاب وأما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره فى قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وأما الحى القيوم فقد سلف أيضا معناهما فى شرح الاسماء الا أنا نزيدهما ههنا فنقول عن ابن عباس ان أعظم أسماء الله الحى القيوم ويؤكده ما روينا من قصة

يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل أخرجنى والدى من ميراثه اذا ملك ذلك فى حياته غيره فحرمه منه خطيئة ولم يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه ولكنه لما حرمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه قيل اخرجه منه وكقول القائل أخرجنى فلان من كنيبته يعنى لم يجعلنى من أهلها ولم يكن فيها قط قبل ذلك فكذلك قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات يحتمل أن يكون اخراجهم اياهم من الايمان الى الكفر على هذا المعنى وان كان الذى قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية فان قال لنا قائل وكيف قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم والطاغوت واحد قيل ان الطاغوت اسم لجماع واحد وقد يجمع طواغيت واذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم رجل عدل وقوم عدل ورجل فطر وقوم فطر وما أشبه ذلك من الاسماء التى تأتى موحدة فى اللفظ واحدها وجمعها وكما قال العباس بن مرداس * فقلنا أسلموا انا أخوكم * فقد برئت من الاحن الصدور

القول فى تاويل قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى تعالى ذكره بذلك هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار أهل النار الذين يخلدون فيها يعنى فى نار جهنم دون غيرهم من أهل الايمان الى غير غاية ولا نهاية أبدا

القول فى تاويل قوله (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك) يعنى تعالى ذكره بقوله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ألم تر يا محمد بقلبك الذى حاج ابراهيم يعنى الذى خاصم ابراهيم يعنى ابراهيم نبى الله صلى الله عليه وسلم فى ربه أن آتاه الله الملك يعنى بذلك حاجه فخاصمه فى ربه لان الله آتاه الملك وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الذى حاج ابراهيم فى ربه ولذلك أدخلت الى فى قوله ألم تر الى الذى حاج وكذلك تفعل العرب اذا أرادت التعجيب من رجل فى بعض ما أنكرت من فعله قالوا ما ترى الى هذا والمعنى هل رأيت مثل هذا أو كهذا وقيل ان الذى حاج ابراهيم فى ربه جبار كان ببابل يقال له نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل انه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك قال هو نمرود بن كنعان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عدى عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه قال كنا نتحدث انه ملك يقال له نمرود وهو أول ملك تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هو اسمه نمرود وهو أول من تجبر فى الارض حاج ابراهيم فى ربه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك قال ذكر لنا أن الذى حاج ابراهيم فى ربه كان ملكا يقال له نمرود وهو أول جبار تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال هو نمرود بن كنعان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو نمرود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنى زيد بن أسلم بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول هو نمرود قال ابن جريج هو نمرود ويقال انه أول ملك فى الارض

القول فى تاويل قوله (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله

بدر ولو كان ذكر أشرف منه لذكره وقتئذ فى السجود وأما الدليل العقلى فان الحى قيل هو الذى يصلح ان يعلم ويقدر أو هو الدراك الفعال فاورد عليه ان هذا لا يقتضى المدح لمشاركة أخس الحيوانات اياه فى ذلك ونحن نقول ان الحى فى اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شئ يكون كاملا فى جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح أن يقال أحيى الموات وأحيى الله الارض فان كمال حال الارض أن تكون معمورة وكمال حال الاشجار أن تكون مورقة نضيرة ولما كان كمال حال الجسم أن يكون بحيث يصح أن يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة حياة فالمفهوم من الحى هو الكامل فى جنسه والكامل فى الوجود هو الذى يجب وجوده بذاته فالحى بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته وأما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين أحدهما أنه لا يفتقر فى قوامه الى غيره والثانى أن غيره يفتقر فى قوامه اليه وبهذا الثانى يزيد على مفهوم الحى ومن

هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد فى ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر فى تحققه الى وجود ذينك الجزأين فيقدح فى كونه قيوما ومنها أنه لا شريك له والا اشتركا فى الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزأين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها أن لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم

وقد ثبت أنه واحد ومنها انه ليس في جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها أنه قادر على كل المقدورات

يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر يا محمد الى الذي حاج ابراهيم في ربه حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الاحياء قال أنا أفعل ذلك فاحيي وأميت أستحيي من أردت قتله فلا أقتله فيكون ذلك مني احياء له وذلك عند العرب يسمى احياء كما قال تعالى ذكره ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأقتل آخر فيكون ذلك مني اماتة له قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها فات بها ان كنت صادقا انك اله من مغربها قال الله تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني انقطع وبطلت حجته يقال منه بهت يبهت بهتا وقد حكى عن بعض العرب انها تقول بهذا المعنى بهت ويقال بهت الرجل اذا افتريت عليه كذبا بهتانا وبهتانا وقد روي عن بعض القراء انه قرأ فبهت الذي كفر بمعنى فبهت ابراهيم الذي كفر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فقال أنا أحيي هذا أنا أستحيي من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عند ذلك فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أنا أحيي وأميت أقتل من شئت وأستحيي من شئت أدعه حيا فلا أقتله وقال ملك الارض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران بختنصر ونمرود بن كنعان لم يملكها غيرهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم أن أول جبار كان في الارض نمرود فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا أنت حتى مر ابراهيم قال من ربك قال الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر قال فرده بغير طعام قال فرجع ابراهيم على أهله فمر على كثيب أعفر فقال الا آخذ من هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فاخذ منه فأتى أهله قال فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هي بأجود طعام رأته فصنعت له منه فقربته اليه وكان عهده باهله ليس عندهم طعام فقال من أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعلم أن الله رزقه فحمد الله ثم بعث الله الى الجبار ملكا أن آمن بي واترك لك ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له ذلك فابى عليه ثم أتاه الثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم تبق الا العظام والملك كما هو لم يصبه من ذلك شئ فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالطارق وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة عام فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله وهو الذي بنى صرحا الى السماء فأتى الله بنيانه من القواعد وهو الذي قال الله فاتى الله بنيانهم من القواعد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قال هو نمرود كان بالموصل والناس يأتونه فاذا دخلوا عليه قال من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم فلما دخل ابراهيم ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال فعرضهم كلهم فيقول من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم حتى عرض ابراهيم مرتين فيقول من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت

والقيوم فيعول من القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم أكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما يعقبهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور والذي يسمى النعاس أي لا يأخذه نعاس فضلا أن يأخذه نوم أو نقول نفي الاخص أولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولا ضمنا ثم نبه صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى أنه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ان ساعة اختل أمر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع وأهمل انك لو سنان نائم ومما يدل على أن السهو والغفلة والنوم على الله محال هو أن هذه الاشياء اما أن تكون عبارات عن عدم العلم أو عن اضداد العلم وعلى التقديرين فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى

ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم أعطاه قارورتين مملوأتين فى كل يد واحدة وأمره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى أن نام فى آخر الامر فضرب احداهما على الاخرى (١٧) فانكسرتا وكان ذلك مثلا فى بيان

ان شئت فتلتك فامتنع وان شئت استحييتك قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين قال اخرجوا هذا عنى فلا تميروه شيأ فخرج القوم كلهم قد امتاروا وجوالقا ابراهيم يصطفقان حتى اذا نظر الى سواد جبال أهله قال ليحزننى صبيتى اسمعيل واسحق لوانى ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما قرت عينا صبيتى حتى اذا كان الليل أهرقته قال فملأهما ثم خيطهما ثم جاء بهما فترامى عليهما الصبيان فرحا وألقى رأسه فى حجر سارة ساعة ثم قالت ما يجلسنى قد جاء ابراهيم تعبا الغبا الوقت فصنعت له طعاما الى أن يقوم قال فأخذت وسادة فادخلتها مكانها وانسلت قليلا قليلا لئلا توقظه قال فجاءت الى احدى الغرارتين ففتقتهما فاذا حوارى من النقى لم يروا مثله عند أحد قط فأخذت منه فطحنته وعجنته فلما أتت توقظ ابراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه فقال أى شئ هذا يا سارة قالت من جو الفك لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير قال فذهب ينظر الى الجوالق الآخر فاذا هو مثله فعرف من أين ذاك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما قال له ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال هو يعنى نمرود فانا أحيى وأميت فدعا برجلين فاستحيا أحدهما وقتل الآخر قال أنا أحيى وأميت قال أى أستحيى من شئت فقال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما خرج ابراهيم من النار أدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال نمرود أنا أحيى وأميت أنا أدخل أربعة نفر فادخلهم بيتا فلا يطعمون ولا يسقون حتى هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا وتركت اثنين فماتا فعرف ابراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك قال له ابراهيم فان ربى الذى يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر وقال ان هذا انسان مجنون فاخرجوه ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها وأن النار لم تأكله وخشى أن يفتضح فى قومه أعنى نمرود وهو قول الله تعالى ذكره وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكان يزعم انه رب وأمر بابراهيم فأخرج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول قال أنا أحيى وأميت أحيى فلا أقتل وأميت من قتلت قال ابن جريج كان أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال أنا أحيى وأميت قال أقتل فأميت من قتلت وأحيى قال أستحيى فلا أقتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال ذكر لنا والله أعلم ان نمرود قال لابراهيم فيما يقول أرأيت الهك هذا الذى تعبده وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال نمرود فانا أحيى وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فأقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب أعرف انه كما تقول فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيأ وعرف انه لا يطيق ذلك يقول تعالى ذكره فبهت الذى كفر يعنى وقعت عليه الحجة يعنى نمرود وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يهدى أهل الكفر الى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة لان أهل الباطل حجتهم داحضة وقد بينا ان معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه والكافر وضع جحوده ما جحد فى غير موضعه فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق **حدثنا** ابن

أنه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب أن ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبى الله تجويز النوم على الحى القيوم والتجويز شك والشك فى مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما أكده بما أكد ترتب عليه حكما وهو قوله له ما فى السموات وما فى الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه أن يكون حكمه جاريا فى الكل ولا يكون لغيره فى شئ من الاشياء حكم الا باذنه وأمره وهو المراد بقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار أى لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف فى ملكه بوجه من الوجوه الا باذنه كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم

والى الثانى بقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا أو لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد وعطاء والسدى أى يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما كان بعدهم من أمور الآخرة الضحاك والكلبى ما بين أيديهم الآخرة

لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض أنه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات (١٨) لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا فانهم لا يحيطون بشئ من علمه أي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل أن يراد ولا يعلمون الغيب الا بأعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيأ الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم أولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين أعظم وأجل وان ذلك مما ينقطع دون الاذعان الى أدنى درجة من درجاتها أو هام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشئ اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي أي لم يحتمل غير ذلك وأما الكرسي فاصله التركب والتلبد ومنه الكرسي بالكسر للاذبال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض أوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين في معناه ههنا أقوال فعن الحسن أنه على جسم عظيم بسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي أنه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس

ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهديهم في الحجة عند الخصومة لما هم عليه من الضلالة ۞ القول في تاويل قوله (أو كالذي مر على قرية) يعني تعالى ذكره بقوله أو كالذي مر على قرية نظير الذي عنى بقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه وقوله أو كالذي مر على قرية عطف على قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وانما عطف بقوله أو كالذي على قوله الى الذي حاج ابراهيم في ربه وان اختلف لفظاهما لتشابه معنييهما لان قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه بمعنى هل رأيت يا محمد كالذي حاج ابراهيم في ربه ثم عطف عليه بقوله أو كالذي مر على قرية لان من شان العرب العطف بالكلام على معنى نظيره قد تقدمه وان خالف لفظه لفظه وقد زعم بعض نحوي البصرة ان الكاف في قوله أو كالذي مر على قرية زائدة وان المعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الذي مر على قرية وقد بينا فيما مضى قبل انه غير جائز أن يكون في كتاب الله شئ لا معنى له بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التاويل في الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال بعضهم هو عزير ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو خزيمة قال سمعت سليمان بن بريدة في قوله أو كالذي مر على قرية قال هو عزير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال ذكر لنا انه عزير **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله أو كالذي مر على قرية قال قال الربيع ذكر لنا والله أعلم ان الذي أتى على القرية هو عزير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أو كالذي مر على قرية قال عزير **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال قال انه هو عزير **حدثني** يونس قال قال لنا سالم الخواص كان ابن عباس يقول هو عزير * وقال آخرون هو أرميا بن حلقيا وزعم محمد بن اسحق ان أرميا هو الخضر **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال اسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول في قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ان أرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال هو أرميا **حدثني** محمد بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال سمعت عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن قيس ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قول الله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال كان نبيا وكان اسمه أرميا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن عبد الله بن عبيد مثله ثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن ٧ قال يقولون والله أعلم انه أرميا وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ممن قال اذ رأى قرية خاوية على عروشها انى يحيي هذه الله بعد موتها مع علمه انه ابتدا خلقها من غير شئ فلم يقنعه علمه بقدرته

---

٧ هنا بياض بالاصل

انه قال الكرسى موضع القدمين و ينبغى أن تحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضى الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا أسرار لا أحب اظهارها ولو شاء الله أن يطلع عليها عبدا من عبيده فهو أعلم بمحارم أسراره وقيل المراد من الكرسى ان السلطان والقدرة والملك له لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب (١٩) تسمى أصل كل شئ الكرسى أو لانه تسمية للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسى وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسى وأيضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسى الارض كما يقال لهم أوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشرى وتقريره أنه يخاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا فى ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الاسود انه يمين الله فى أرضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل أيدى الملوك وكذلك ما ذكر فى القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى و وصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم أثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا أن المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه فى الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة فى العرش والكرسى ولا يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه ان نفاذ حكمه وأمره فى الكل على نعت واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام أو سفلية كبيرة أو صغيرة ثم بين أنه مع كونه مقوما

على ابتدائها حتى قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون ارميا ولا حاجة بنا الى معرفة اسمه اذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك وانما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على احيائه خلقه بعد مماتهم واعادتهم بعد فنائهم وانه الذى بيده الحياة والموت من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل باطلاعه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما يزيل شكهم فى نبوته و يقطع عذرهم فى رسالته اذ كانت هذه الانباء التى أوحاها الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه من الانباء التى لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ولم يكن علم ذلك الا عند أهل الكتاب ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم بل كان أميا وقومه أميون فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك الا بوحى من الله اليه ولو كان يعلم المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر و يزيل الشك ولكن القصد كان الى ذم قيله فابان تعالى ذكره لخلقه واختلف أهل التاويل فى القرية التى مر عليها القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها فقال بعضهم هى بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه قال لما رأى أرميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد ابن معقل انه سمع وهب بن منبه قال هى بيت المقدس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عمن لا يتهم انه سمع وهب بن منبه يقول ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خربه بختنصر البابلى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها انه مر على الارض المقدسة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر بها عزير بعد ما خربها بختنصر **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أو كالذى مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر عليها عزير وقد خربها بختنصر * وقال آخرون بل هى القرية التى كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قال قرية كان نزل بها الطاعون ثم اقتص قصتهم التى ذكرناها فى موضعها عنه الى أن بلغ فقال لهم الله موتوا فى المكان الذى ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال ومر بها رجل وهى عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله لم يتسنه والصواب من القول فى ذلك كالقول فى اسم القائل انى يحيى هذه الله بعد موتها سواء لا يختلفان ۞ القول فى تاويل قوله (وهى خاوية على عروشها) يعنى تعالى ذكره بقوله وهى خاوية وهى خالية من أهلها وسكانها يقال من ذلك خوت الدار تخوى خواء وخويا وقد يقال للقرية تخويت والاول أغرب وأفصح وأما فى المرأة اذا كانت نفساء فانه يقال خويت تخوى خوى منقوصا وقد يقال فيها خوت تخوى كما يقال فى الدار وكذلك خوى الجوف يخوى خواء شديدا ولو قيل فى الجوف ما قيل فى الدار وفى الدار ما قيل فى الجوف كان

للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن المتزمنات فقال وهو العلى العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم للمكان ومديم للزمان قوله سبحانه لا اكراه فى الدين الآية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة فى (٢٠) اقامته على الكفر الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز فى دار الدنيا التى هى مقام الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار وما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغى يقال بان الشئ واستبان وتبين وبين أيضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد تبين الصبح لذى عينين والرشد اصابة الخير والغى نقيضه أى تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله من طغى الا ان لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسى أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يفرد فى موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فاما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لارادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس بنى وكل ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء أسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله ان الكافر لابد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فعند استمساك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك

صوابا غير ان الفصيح ما ذكرت وأما العروش فانها الابنية والبيوت واحدها عرش وجمع قليله أعرش وكل بناء فانه عرش ويقال عرش فلان اذا تعرش ويعرش تعريشا ومنه قول الله تعالى ذكره وما كانوا يعرشون يعنى يبنون ومنه قيل عريش مكة يعنى به خيامها وأبنيتها ومثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس خاوية خراب قال ابن جريج بلغنا ان عزيرا خرج فوقف على بيت المقدس وقد خرب بختنصر فوقف فقال أبعد ما كان لك من المقدس والمقالة والمال ما كان فحزن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وهى خاوية على عروشها قال هى خراب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال مر عليها عزير وقد خربها بختنصر حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وهى خاوية على عروشها يقول ساقطة على سقفها * القول فى تاويل قوله (قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام) ومعنى ذلك فيما ذكرت أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذى ذكر الله انه مر به خرابا بعد ما عهده عامرا قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فقال بعضهم كان قيله ما قال من ذلك شكا فى قدرة الله على احيائه فاراه الله قدرته على ذلك فضرب به المثل له فى نفسه ثم أراه الموضع الذى أنكر قدرته على عمارته واحيائه احياء ما رآه قبل خرابه أعمر ما كان قبل خرابه وذلك ان قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامرا باهله وسكانه ثم رآه خاويا على عروشه قد باد أهله وشتتهم القتل والسبا فلم يبق منهم بذلك المكان أحد وخربت منازلهم ودورهم فلا يبقى الا الاثر فلما رآه كذلك بعد الحال التى عهده عليها قال على أى وجه يحيى هذه الله بعد خرابها فيعمرها استنكارا فيما قاله بعض أهل التاويل فاراه كيفية احيائه ذلك بما ضرب له فى نفسه وفيما كان مر ابه وطعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره باظهاره احياء ما كان عجبا عنده فى قدرة الله احياؤه لرأى عينه حتى أبصره ببصره فلما رأى ذلك قال اعلم ان الله على كل شئ قدير وكان سبب قيله ذلك كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى انه كان يقول قال الله لارميا حين بعثه نبيا الى بنى اسرائيل يا أرميا من قبل ان أخلقك اخترتك ومن قبل ان أصورك فى رحم أمك قدستك ومن قبل ان أخرجك من بطنها طهرتك ومن قبل ان تبلغ السعى نبأتك ومن قبل ان تبلغ الاشد اخترتك ولامر عظيم اجتبيتك فبعث الله تعالى ذكره أرميا الى ملك بنى اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه قال ثم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله صنع بهم ومانجاهم من عدوهم سنجاريب فاوحى الله الى أرميا ان ائت قومك من بنى اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتى عليهم وعرفهم احداثهم ثم ذكر ما أرسل الله به أرميا الى قومه من بنى اسرائيل قال ثم أوحى الله الى ارمياء انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال ملعون يوم ولدت فيه ويوم لقيت التوراة ومن شر أيامى يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو أشر على لو أرادنى خيرا ما جعلنى آخر الانبياء من بنى اسرائيل فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الخضر وبكاءه وكيف يقول ناداه أرميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يا رب أهلكنى فى بنى اسرائيل مالا أسر به فقال الله وعزتى العزيزة لاهلكن بيت المقدس وبنى اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك فى ذلك ففرح عند ذلك ارميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر وبى بهلاك بنى اسرائيل أبدا ثم أتى ملك

بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تأنيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام أقوى ما يتثبت به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فتزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشئ من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله (٢١) لانفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم

بنى اسرائيل وأخبره بما أوحى الله اليه ففرح واستبشر وقال ان بعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لانفسنا وان عفا عنا فبقدرته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال ملكهم يا بنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل ان يمسكم باس من الله وقبل ان يبعث عليكم ملوك لا رحمة لهم بكم فان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم من تاب اليه فانبوا عليه أن ينزعوا عن شئ مما هم عليه وان الله ألقى فى قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعله فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بنى اسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم فارسل الملك الى أرميا فجاءه فقال يا أرميا أيس مازعمت لنا ان ربنا أوحى اليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الامر فى ذلك فقال أرميا للملك ان ربى لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى أرميا فاستفته وأمره بالذى يستفتيه فيه فاقبل الملك الى أرميا قد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له أرميا من أنت قال رجل من بنى اسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى فاذن له فقال الملك يا نبى الله أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتى اياهم الا سخطا على فافتنى فيهم يا نبى الله فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصل وأبشر بخير فانصرف عنه الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه فى صورة ذلك الرجل الذى جاءه فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك فى شأن أهلى فقال له نبى الله أوما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم ترمنهم الذى تحب فقال يا نبى الله والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يا نبى الله أين ما وعدك الله فقال انى بربى واثق ثم ان الملك أقبل الى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذى كنت استفتيتنى فى شأن أهلى مرتين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أولم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واعلم أنما قصدهم فى ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله ولا يحب الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أى عمل رأيتهم قال يا نبى الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبى وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولذلك أتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى هو بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال أرميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فى أرميا أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال يا مالك السماء ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أرميا انهم لم يصبهم الذى أصابهم الا بقتالك التى أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبى صلى الله عليه وسلم انها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وانه رسول

يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع أولى قيل ان الموصول ههنا محذوف أى التى لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم أى من له وقيل معنى قوله لا اكراه فى الدين لا تكرهوا فى الدين على أنه اخبار فى معنى النهى والاكراه الزام الغير فعلى هذا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو فى أهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم وأما الكفار الذين نهودوا أو تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روى أنه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله يدخل

بعضى النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه أى لا تقولوا لمن دخل فى الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لانه اذا رضى بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما فى قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما فى قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء

عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسال الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على ان ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من الطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار وروي أنه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال أشهد أن لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه أراد بهما الكفر والايمان الا قوله في أول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عنى به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قد مر أن الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور

ربه فطار أرميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا كل من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم تسعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمة وكان من أولئك الغلمان *دانيال *وعزاريا *ومسايل *وحنانيا *وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سباه وثلثا قتل وذهب بأسيرة بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الاولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبي الله باحدائهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنه راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بني اسرائيل أقبل أرميا على حماره معه عصير من عنب في زكرة وسلة تين حتى أتى ايليا فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب وحل شك فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام وحماره وعصيره وسلة تينه عنده حيث أماته الله ومات حماره معه فاعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ثم بعثه الله تعالى فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فانظر الى حماره يتصل بعضه الى بعض وقد مالئ معه بالعروق والعصب ثم كيف كسي ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هم على هيئته حين وضعه لم يتغير *فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شئ قدير ثم عمر الله أرميا بعد ذلك فهو الذي يرى بفلوات الارض والبلدان حدثني محمد بن عسكر وابن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول أوحى الله الى أرميا وهو بارض مصر أن الحق بارض ايليا فان هذه ليست لك بارض مقام فركب حماره حتى اذا كان ببعض الطريق ومعه سلة من عنب وتين وكان معه سقاء جديد فلأه ماء فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد ونظر الى خراب لا يوصف فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وسار حتى نبوأ منها منزلا فربط حماره بحبل جديد وعلق سقاءه وألقى الله عليه السبات *فلما نام نزع الله روحه مائة عام فلما مرت من المائة سبعون عاما أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له بوسك فقال ان الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت فقال الملك أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداة العمل فانظره ثلاثة أيام فانتدب ثلثمائة قهرمان ودفع الى كل قهرمان ألف عامل وما يصلحه من أداة العمل فسار اليها قهرمته ومعهم ثلثمائة ألف عامل فلما وقعوا في العمل رد الله روح الحياة في عين أرميا وأخر جسده ميتا فنظر الى ايليا وما حولها من القرى والمساجد والانهار والحروث تعمل وتعمر وتجدد حتى صارت كما كانت وبعد ثلاثين سنة تمام المائة رد اليه الروح فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة وقد أتى على ذلك ريح مائة عام وبرد مائة عام وحر مائة عام لم تتغير ولم تنتقص شيأ وقد نحل جسم أرميا من البلى فانبت الله له لحما جديدا وانظر عظامه وهو ينظر فقال له الله انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما

الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق وما يرجع اليه طريقة واحدة وهو أيضا فى نفسه واحد وأما الباطل فلا حصر له ولطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من ينسب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدأ الاول بالحقيقة وتنتهى الى قضائه وقدره (٢٣) كما سبق تحقيقه مرارا أولئك الكفار أو

فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول فى قوله انى يحيى هذه الله بعد موتها ان أرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف فى ناحية الجبل فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم رد الله من ردمن بنى اسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمر ونها ثلاثين سنة تمام المائة فلما ذهبت المائة رد الله روحه وقد عمرت على حالها الاولى فجعل ينظر الى العظام كيف تلتئم بعضها الى بعض ثم نظر الى العظام كيف تكسى عصبا ولحما فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شئ قدير فقال الله تعالى ذكره انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قال فكان طعامه تينا فى مكتل وقلة فيها ماء حدثنى موسى قال ثنا عمر وقال ثنا اسباط عن السدى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وذلك أن عزيرا مر جاثيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فلما مر بالقرية فرآها وقف عليها وقلب يده وقال كيف يحيى هذه الله بعد موتها ليس تكذيبا منه وشكا فاماته الله وأمات حماره فهلكا ومر عليهما مائة سنة ثم ان الله أحياعزيرا فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل له بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه الآية ۞ القول فى تاويل قوله (ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) يعنى تعالى ذكره بقوله ثم بعثه ثم أثاره حيا من بعد مماته وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل وأما معنى قوله كم لبثت فان كما استفهام فى كلام العرب عن مبلغ العدد وهو فى هذا الموضع نصب بلبثت وتاويله قال الله له كم قدر الزمان الذى لبثت ميتا قبل ان أبعثك من مماتك حيا قال المبعوث بعد مماته لبثت ميتا الى ان بعثتنى حيا يوما واحدا أو بعض يوم وذكر أن المبعوث هو أرميا أو عزير أو من كان ممن أخبر الله عنه هذا الخبر وانما قال لبثت يوما أو بعض يوم لان الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار ثم رد اليه روحه آخر النهار بعد المائة العام فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوما لانه ذكر انه قبض روحه أول النهار وسئل عن مقدار لبثه ميتا آخر النهار وهو يرى أن الشمس قد غربت فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب فقال أو بعض يوم كما قال تعالى ذكره وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون فكان قوله أو بعض يوما رجوعا منه عن قوله لبثت يوما ونحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال ذكر لنا انه مات ضحى ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنى يحيى هذه الله بعد موتها قال مر على قرية فتعجب فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله أول النهار فلبث مائة عام ثم بعثه فى آخر النهار فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قال قال الربيع أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج لما وقف على بيت المقدس وقد خرب بختنصر قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها كيف يعيدها كما كانت فاماته الله قال وذكر لنا انه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام فقال كم لبثت قال لبثت يوما فلما رأى الشمس قال أو بعض يوم ۞ القول فى تاويل قوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) يعنى تعالى ذكره بقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم تغيره السنون التى أتت عليه وكان طعامه فيما ذكر بعضهم

هم من يطيعهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجرا للكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك * التاويل الحى القيوم أشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسمه الحى مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فان من لوازم الحى أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلى صفته الحى معانى جميع أسمائه وصفاته وعند تجلى صفته القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وذهق الباطل فلا يرى فى الوجود الا الحى القيوم اذ سلب الحى جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات ففنى التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فقد ذكره باسمه الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما الذاكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاء يكون الاسم الاعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باى اسم شئت لا تاخذه سنة ولا نوم لان النوم أخ الموت والموت ضد الحياة وهو الحى الحقيقى

فلا يلحقه ضد الحياة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين أيديهم من أوليات الامور قبل خلق الخلائق كقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نوري أول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي ألف عام وما خلفهم من أحوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشئ من علمه وانما هو شاهد على أحوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ونعلم أمور آخرتهم وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من ذلك الا بما شاء أن يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وأن العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ أسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما أظهر لخلوقاته من العرش والكرسي ولقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء وائتزر بازار العظمة والبهاء وهو أولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فمن علائق الآخر والاولى فبا علائه ومن عظم فبتعظيمه ثم أخبر عن عزة الدين لا رباب اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع أن التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامر الشرع

سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء وقال بعضهم بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه رق من عصير * وقال آخرون بل كان طعامه سلة تين وشرابه دن خمر اوزكرة خمر وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر ما فيه فيما يستقبل ان شاء الله وأما قوله لم يتسنه ففيه وجهان من القراءة أحدهما لم يتسن بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله فبهداهم اقتده وجعل فعلت منه تسنيت تسنيا واعتل في ذلك بان السنة تجمع سنوات فتكون تفعلت على نهجه ومن قال في السنة سنينة فجائز على ذلك وان كان قليلا أن يكون تسنيت تفعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قال تظنيت وأصله الظن وقد قال قوم هو ماخوذ من قوله من حمإ مسنون وهو المتغير وذلك أيضا اذا كان كذلك فهو أيضا ممن بدلت نونه ياء وهو قراءة عامة قراء الكوفة * والآخر منهما اثبات الهاء في الوصل والوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ويجعل فعلت منه تسنهت وتفعل أتسنه تسنها وقال في تصغير السنه سنيهة وسنيه أسنيت عند العرب واستنهت عندهم اذا أتت سنة هذه قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز والصواب من القراءة عندي في ذلك اثبات الهاء في الوصل والوقف لانها مثبتة في مصحف المسلمين ولانها وجه صحيح في كلتي الحالتين في ذلك ومعنى قوله لم يتسنه لم يأت عليه السنون فيتغير على لغة من قال أسنهت عندكم أسنه اذا أقام سنة وكما قال الشاعر

ولبست سنهاء ولا رجبية * ولكن غزانا في السنين الجوائح

فجعل الهاء في السنة أصلا وهي في اللغة الفصحى وغير جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لاثباته وجه معروف في كلامها فان اعتل معتل بان المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه في الاصل عند القراءة حذفهن وذلك كقوله فبهداهم اقتده وقوله يا ليتني لم أوت كتابيه فان ذلك هو مما لم يكن فيه شك انه من الزوائد وانه ألحق على نية الوقف فاما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد فغير جائز وهو في مصحف المسلمين مثبت صرفه الى أنه من الزوائد والصلات على ان ذلك وان كان زوائد فيما لا شك انه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به في حال القطع فيكون وصلها اياه وقطعها سواء وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك باثبات الهاء في الوصل والوقف غير أن ذلك وان كان كذلك فلقوله لم يتسنه حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدة لا شك في زيادته فيه ومما يدل على صحة ما قلنا من أن الهاء في يتسنه من لغة من قال قد أسنهت والمسانهة ما حدثت به عن القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدي عن أبي الجراح عن سليمان بن عمير قال ثني هانئ مولى عثمان قال كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد سله عن قوله لم يتسن أو لم يتسنه فقال عثمان اجعلوا فيها هاء حدثت عن القاسم حدثنا محمد بن محمد العطار عن القاسم وحدثنا أحمد والعطار جميعا عن القاسم قال ثنا ابن مهدي عن ابن المبارك قال ثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانئ البربري قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلني بكتف شاة الى أبي بن كعب فيها لم يتسن وفأمهل الكافرين ولا تبديل للخلق قال فدعا بالدواة فمحا احدى اللامين وكتب لا تبديل لخلق الله ومحا فامهل وكتب فهل الكافرين وكتب لم يتسنه ألحق فيها الهاء ولو كان ذلك من يتسن أو يتسنن لما ألحق فيه أي هؤلاء موضع ولا أمر عثمان بالحاقها فيها وقد روي عن زيد بن ثابت في ذلك نحو الذي روي فيه عن أبي بن كعب * واختلف أهل التاويل في تاويل قوله لم يتسنه فقال بعضهم بمثل الذي قلنا فيه من أن معناه لم يتغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه لم يتسنه لم يتغير حدثنا بشر قال

ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع فى مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت تبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ماسوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يتسنه لم يتغير **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه يقول لم يتغير فيحمض التين والعنب ولم يختمر العصير هما حلوان كما هما وذلك انه مر جائيا من الشام على حماره معه عصير وعنب وتين فاماته الله وأمات حماره ومر عليهما مائة سنة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وقد أتى عليه مائة عام **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لم يتسنه لم يتغير **حدثنا** سفيان قال ثنا أبى عن النضر عن عكرمة لم يتسنه لم يتغير **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يتسنه لم يتغير فى مائة سنة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن نصر قال يزعمون فى بعض الكتب ان أرمياء كان بايليا حين خربها بختنصر فخرج منها الى مصر فكان بها فاوحى الله اليه ان اخرج منها الى بيت المقدس فاتاها فاذا هى خربة فنظر اليها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حى قائم على رباطه واذا طعامه سل عنب وسل تين لم يتغير عن حاله قال يونس قال لنا سالم الخواص كان طعامه وشرابه سل عنب وسل تين وزق عصير * وقال آخرون معنى ذلك لم ينتن ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لم يتسنه لم ينتن **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن جريج قوله الى طعامك قال سل تين وشرابك دن خمر لم يتسنه يقول لم ينتن وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال فى ذلك بقولهما رأوا أن قوله لم يتسنه من قول الله تعالى ذكره من حامسنون بمعنى المتغير الريح بالنتن من قول القائل تسنن وقد بينت الدلالة فيما مضى على أن ذلك ليس كذلك فان ظن ظان انه من الاسن من قول القائل أسن هذا الماء ياسن اسنا كما قال الله تعالى ذكره فيها أنهار من ماء غير آسن فان ذلك لو كان كذلك لكان الكلام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتأسن ولم يكن يتسنه فانه منه غير انه ترك همزه قبل فائه وان ترك همزه غير جائز تشديد نونه لان النون غير مشددة وهى فى يتسنه مشددة ولو نطق من يتأسن بترك الهمز لقيل يتسنن بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه ففى ذلك بيان واضح انه غير جائز أن يكون من الاسن ۞ القول فى تاويل قوله (وانظر الى حمارك) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله وانظر الى حمارك فقال بعضهم معنى ذلك وانظر الى احيائى حمارك والى عظامك كيف أنشزها ثم أكسوها لحما * ثم اختلف متأولو ذلك هذا التاويل فقال بعضهم قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان أحياه خلقا سويا ثم أراد أن يحيى حماره تعريفا منه تعالى ذكره له كيفية احيائه القرية التى رآها خاوية على عروشها فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها مستنكرا احياء الله اياها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه قال بعثه الله فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم الى قوله ثم نكسوها لحما قال فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد كان مات معه بالعروق والعصب ثم كساذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم ان الله على كل شئ قدير **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان الله أحياعزيرا فقال كم

ملازمة الظاهر والباطن فى طاعة الله وانابة القلب الى الغناء فى الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلى تبت اليك أى عن هذه الافاقة وكان مخصوصا عن عالمى زمانه بالايمان العيانى وشريكا مع القوم بالايمان البيانى كما قيل شعر

لى سكرتان وللندمان واحدة
شئ خصصت به من بينهم وحدى.

ثم العروة الوثقى التى استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شئ هالك الا وجهه ولا تكون أيضا من بطشك والا كانت منفصمة بل تكون من بطشة ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه فى الايمان فهى للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التى تغنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم

جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين لان الثقلين وأعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات.

النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أى هم أولياء الطاغوت كقوله أندادا يحبونهم كحب الله فان (٢٦) الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان أو النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أولئك أى أرواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى و يميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس فانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) القراآت ربى الذى مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح أنا أحيى بالمد أبو جعفر ونافع وكذلك ما أشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد أبو نشيط بالمد فى المكسورة فى قوله

لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه وانظر الى عظامه كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ثم ان الله كسا العظام لحما ودما فقام حمارا من لحم ودم وليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فنهق الحمار فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير فتأويل الكلام على من تأوله قائل هذا القول وانظر الى احيائنا حمارك والى عظامه كيف ننشرها ثم نكسوها لحما ولنجعلك آية للناس فيكون فى قوله وانظر الى حمارك متروك من الكلام استغنى بدلالة ظاهره عليه من ذكره وتكون الالف فى قوله وانظر الى العظام بدلا من الهاء المرادة فى المعنى لان معناه وانظر الى عظامه يعنى الى عظام الحمار *وقال آخرون منهم بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد ان نفخ فيه الروح فى عينه قالوا وهى أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح وذلك بعد أن سواه خلقا سويا وقبل أن يحيى حماره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان هذا رجلا من بنى اسرائيل نفخ الروح فى عينيه فنظر الى خلقه كله حين يحييه الله والى حماره حين يحييه الله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح ثم بعظامه فانشزها ثم وصل بعضها الى بعض ثم كساها العصب ثم العروق ثم اللحم ثم نظر الى حماره فاذا حماره قد بلى وابيضت عظامه فى المكان الذى ربطه فيه فنودى يا عظام اجتمعى فان الله منزل عليك روحا فسعى كل عظم الى صاحبه فوصل العظام ثم العصب ثم العروق ثم اللحم ثم الجلد ثم الشعر وكان حماره جذعا فاحياه الله كبيرا قد تسنن فلم يبق منه الا الجلد من طول الزمن وكان طعامه سل عنب وشرابه دن خمر قال ابن جريج عن مجاهد نفخ الروح فى عينيه ثم نظر بهما الى خلقه كله حين نشره الله والى حماره حين يحييه الله * وقال آخرون بل جعل الله الروح فى رأسه وبصره وجسده ميتا فرأى حمارا قائما كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حل البقعة ثم قال الله له انظر الى عظام نفسك كيف ننشرها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول رد الله روح الحياة فى عين أرمياء وآخر جسده ميت فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة فى عنق الحمار لم تتغير جديدة **حدثت** عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما قد مكث مائة عام والى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مائة عام وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فكان أول شئ أحيا الله منه رأسه فجعل ينظر الى سائر جسده يخلق **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن الضحاك فى قوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما والى طعامه وشرابه لم يتغير فكان أول شئ خلق منه رأسه فجعل ينظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير **حدثنا** بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا انه أول ما خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها الى بعض و بعين نبى الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك فقال أعلم ان الله على كل شئ قدير **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وكان حماره عنده كما هو ولنجعلك آية للناس وانظر الى

العظام

تعالى ان أنا الانذير واشباه ذلك مثله وبابه مثل فتنة وقد مر لبث وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما أصلية مجزومة بلم أو هاء سكت وأجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة على غير ليث وأبي حدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وأبو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بن شنبوذ عن أهل مكة ننشرها بالراء أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال أعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الامر حمزة وعلى الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ أبو بكر وحماد جزأ مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة * الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك وبمت لا لان قال عامل اذ وأميت ط كفر ط الظالمين لا للعطف بأو للتعجب عروشها ج لان مابعده من تتمة كلام قبله من غير عطف ومثلها ج لتمام المقول مع العطف بفاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك بإضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك أي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لما ط لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قدره الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم * التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلاثا أولها في اثبات العلم بالصانع والباقيتان في اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم ملك

العظام كيف ننشرها قال الربيع ذكر لنا والله أعلم انه أول ما خلق منه عيناه ثم قيل انظر فجعل ينظر الى العظام يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل أعلم ان الله على كل شئ قدير **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد قال قوله وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك واقفا عليك منذ مائة سنة ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام يقول وانظر الى عظامك كيف نحييها حين سألتنا كيف نحيي هذه الارض بعد موتها قال فجعل الله الروح في بصره وفي لسانه ثم قال ادع الآن بلسانك الذي جعل الله فيه الروح وانظر ببصرك قال فكان ينظر الى الجمجمة قال فنادى ليلحق كل عظم باليغه قال فجاء كل عظم الى صاحبه حتى اتصلت وهو يراها حتى ان الكسرة من العظم لتاتي الى الموضع الذي انكسرت فيه فتلتصق به حتى وصل الى جمجمته وهو يرى ذلك فلما اتصلت شدها بالعصب والعروق وأجرى عليها اللحم والجلد ثم نفخ فيها الروح ثم قال انظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له ذلك قال أعلم ان الله على كل شئ قدير قال ثم أمر فنادى تلك العظام التي قال اني يحيي هذه بعد موتها كما نادى عظام نفسه ثم أحياها الله كما أحياه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن نصر قال يزعمون في بعض الكتب ان الله أمات أرميا مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حي قائم على رباطه قال ورد الله اليه بصره وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ثم نظر الى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله قال فيقولون والله أعلم انه الذي قال الله تعالى ذكره أو كالذي مر على قرية وهي خاوية الآية ومعنى الآية على تاويل هؤلاء وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى عظامك كيف ننشرها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فانحيها بحياتك فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها * وأولى الاقوال في هذه الآية بالصواب قول من قال ان الله تعالى ذكره بعث قائل اني يحيي هذه الله بعد موتها من مماته ثم أراه نظير ما استنكر من احياء الله القرية التي مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره فجعل تعالى ذكره ما أراه من احيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من احيائه اهل القرية التي مر بها خاوية على عروشها وجعل ما أراه من العبرة في طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه في كيفية احياء منازل القرية وجنانها وذلك هو معنى قول مجاهد الذي ذكرناه قبل وانما قلنا ذلك أولى بتاويل الآية لان قوله وانظر الى العظام انما هو بمعنى وانظر الى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشرها ثم نكسوها لحما وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التاويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب فلم يكن صرف معنى قوله وانظر الى العظام الى انه أمره بالنظر الى عظام الحمار دون عظام المامور بالنظر اليها ولا الى انه أمره بالنظر الى عظام نفسه دون عظام الحمار واذا كان ذلك كذلك وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره كان الاولى بالتاويل أن يكون الامر بالنظر الى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لان الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة ❁ القول في تاويل قوله (ولنجعلك آية للناس) يعني تعالى ذكره بذلك ولنجعلك آية للناس أمتناك مائة عام ثم بعثناك وانما أدخلت اللام مع الواو التي في قوله ولنجعلك آية للناس وهو بمعنى كي لان في دخولها في كي وأخواتها دلالة على انها شرط لفعل بعدها بمعنى ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك ولو لم تكن قبل اللام أعني لام كي واو كانت اللام شرطا للفعل الذي قبلها وكان يكون معناه وانظر الى حمارك لنجعلك آية للناس وانما عنى بقوله ولنجعلك آية ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي وأنا القادر على فعل ما أشاء من اماتة واحياء وافناء وانشاء وانعام واذلال واقتار واغناء بيدي ذلك كله لا يملكه أحد دوني ولا يقدر عليه غيري وكان بعض أهل التاويل يقول كان آية للناس بانه جاء بعد مائة عام الى ولده وولد ولده شابا وهم شيوخ ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال أخبرنا

زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو أول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير في ربه لابراهيم ويحتمل أن يكون لنمرود والهاء في ان آتاه قيل لابراهيم لانه أقرب في الذكر ولانه لا يجوز أن يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذي حاج ابراهيم ولا يبعد أن يعطي الله الكافر بن بسطة وسعة في الدنيا ومعنى أن آتاه الله أي لان الله آتاه الملك فابطره وأورثه الكبر والعتو أو جعل محاجته في ربه شكرا له كقولك عاداني فلان لاني أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز أن يكون المعنى حاج وقت ان آتاه وعن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت وهذا دليل في غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلابد أن يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان وأشكاله بصير باعضائه وأحواله ولامر ما ذكره الله تعالى في مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وهو الذي خلقكم من تراب ألم نخلقكم من ماء مهين ويروى أن الكافر دعا حينئذ شخصين فاستبقى أحدهما وقتل الآخر وقال أنا أيضا أحيي وأميت ثم للناس في هذا المقام طريقان الاول وعليه أكثر المفسرين أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من نمرود أنه ألقى تلك الشبهة عدل عن ذلك بهما الى دليل آخر أو مثال آخر أوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فالواو في هذا ليس على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وأورد عليه أن الشبهة اذا وقعت في الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب أن يذكر الجواب في الحال ازالة

اسحق قال ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان قال سمعت الاعمش يقول ولنجعلك آية للناس قال جاء شابا وولده شيوخ. وقال آخرون معنى ذلك آية جاء وقد هلك من يعرفه فكان آية لمن قدم عليه من قومه ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال رجع الى أهله فوجد داره قد بيعت وبنيت وهلك من كان يعرفه فقال اخرجوا من داري قالوا ومن أنت قال أنا عزير قالوا أليس قد هلك عزير منذ كذا وكذا قال فان عزيرا أنا هو وكان من حالي وكان فلما عرفوا ذلك خرجوا له من الدار ودفعوها اليه والذي هو أولى بتاويل الآية من القول أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر انه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته واحياء الله اياه بعد مماته وعلى من بعث اليه منهم ۞ القول في تاويل قوله (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر اليها هي عظام نفسه وحماره وذكرنا اختلاف المختلفين في تاويل ذلك ومامعنى كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله كيف ننشرها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعضهم فانظر الى العظام كيف ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين بمعنى وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك الى مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع ومنه قيل قد نشز الغلام اذا ارتفع طوله وشب وهيئة نشوز المرأة على زوجها ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الارض نشز ونشزة ونشازة فاذا أردت انك رفعته قلت أنشزته انشازا ونشزه واذا ارتفع فمعنى قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها في قراءة من قرأ ذلك بالزاي كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردها الى أماكنها من الجسم وممن تاول ذلك هذا التاويل جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كيف ننشزها كيف نخرجها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي كيف نشزها قال نخرجها وقرأ ذلك آخرون وانظر الى العظام كيف ننشرها بضم النون قالوا من قول القائل انشر الله الموتى فهو ينشرهم انشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى وانظر الى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كيف ننشرها قال نظر اليها حين يحييها الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها قال كيف نحييها واحتج بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله ثم اذا شاء أنشره فرأى من الصواب الحاق قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها به وقرأ ذلك بعضهم وانظر الى العظام كيف ننشرها بفتح النون من أوله وبالراء كأنه وجه ذلك الى مثل معنى نشر الشيء وطيه وذلك قراءة غير محمودة لان العرب لا تقول نشر الموتى وانما تقول أنشر الله الموتى فنشروا هم بمعنى أحياهم فحيوا هم ويدل على ذلك قوله ثم اذا شاء أنشره وقوله آلهة من الارض هم ينشرون وعلى انه اذا أريد به حي الميت وعاش بعد مماته قيل نشر قول أعشى بني ثعلبة

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وروي سماعا من العرب كان به حرب فنشر اذا عاد وحي والقول في ذلك عندي أن معنى الانشار ومعنى الانشاز متقاربان لان معنى الانشاز التركيب والاثبات ورد العظام من العظام واعادتها لا شك أنه ردها الى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها اياها فهما وان اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى وقد جاءت القراءة

لذلك الجهل والتلبس ولما طعن الملك الكافر في الدليل الاول أو في المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام أن كلامه الاول كان ضعيفا وان سلمنا أن الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب أن يكون المنتقل اليه أرضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان

بهما الامة بحجة تقطع العذر وتوجب الحجة فبأيهما قرأ القارئ فصيب لانقياد معنييهما ولا حجة توجب لاحداهما من القضاء بالصواب على الاخرى فان ظن ظان أن الانشار اذا كان احياء فهو بالصواب أولى لان المأمور بالنظر الى العظام وهي تنشر انما أمر به ليرى عيانا ما أنكره بقوله انى يحيي هذه الله بعد موتها فان احياء العظام لاشك في هذا الموضع انما عنى به ردها الى أماكنها من جسد المنظور اليه وهو يحيي لا عادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات والذي يدل على ذلك قوله ثم نكسوها لحما ولاشك ان الروح انما نفخت في العظام التي أنشرت بعد ان كسيت اللحم واذا كان ذلك كذلك وكان معنى الانشار تركيب العظام ورد ها الى أماكنها من الجسد وكان ذلك معنى الانشار كان معلوما استواء معنييهما وانهما متفقا المعنى لا مختلفاه ففي ذلك ابانة عن صحة ما قلنا فيه وأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي وهي قراءة من قرأ كيف ننشرها بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب ۞ القول في تاويل قوله ثم نكسوها لحما) يعني تعالى ذكره بذلك ثم نكسوها أي العظام لحما والهاء التي في قوله ثم نكسوها لحما من ذكر العظام ومعنى نكسوها نلبسها ونواريها به كما توارى جسد الانسان كسوته التي يلبسها وكذلك تفعل العرب تجعل كل شئ غطى شيأ وواراه لباسا له وكسوة ومنه قول النابغة الجعدي

فالحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فجعل الاسلام اذ غطى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة له وسربالا ۞ القول في تاويل قوله (فلما تبين له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بقوله فلما تبين له فلما اتضح عيانا ما كان مستنكرا من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك قال اعلم الآن بعد المعاينة والاتضاح به والبيان ان الله على كل شئ قدير ثم اختلفت القراء في قراءة قوله قال اعلم أن الله فقرأه بعضهم قال اعلم على معنى الامر بوصل الالف من اعلم وجزم الميم منها وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة ويذكرون انها في قراءة عبد الله قيل اعلم على وجه الامر من الله الذي أحيى بعد مماته فامر بالنظر الى ما يحييه الله بعد مماته وكذلك روي عن ابن عباس حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي قال ثنا القاسم بن سلام قال ثني حجاج عن هرون قال هي في قراءة عبد الله قيل اعلم ان الله على وجه الامر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أحسبه شك أبو جعفر الطبري سمعت ابن عباس يقرأ فلما تبين له قال اعلم قال انما قيل ذلك له حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا ان الله أعلم انه قيل له أنظر فجعل ينظر الى العظام كيف يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينه فقيل اعلم أن الله على كل شئ قدير فعلى هذا القول تاويل ذلك فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته قال الله له اعلم الآن ان الله على كل شئ قدير ولو صرف متأول قوله قال اعلم وقد قرأه على وجه الامر الى أنه من قبل المخبر عنه بما اقتص في هذه الآية من قصته كان وجها صحيحا وكان ذلك كما يقول القائل اعلم ان قد كان كذا وكذا على وجه الامر منه لغيره وهو يعني به نفسه وقرأ ذلك آخرون قال أعلم على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به بهمز ألف اعلم وقطعها ورفع الميم بمعنى فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه قال أليس ذلك أعلم الآن انا أن الله على كل شئ قدير وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق وبذلك من التأويل تاوله جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ممن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما عاين من قدرة الله ما عاين قال اعلم أن الله على كل شئ قدير ثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول فلما تبين

جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه وأما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وأيضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات أقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وأيضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس أن يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فعجل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو أورد هذا السؤال لكان من الواجب أن يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم أن الاشتغال باظهار فساد سؤاله في الاحياء والاماتة أسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذي حمل ابراهيم على أن ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام

اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر أتدعي الاحياء والاماتة من الله ابتداء أم بواسطة الاسباب الارضية والسماوية أما الاول فلا سبيل اليه وأما الثاني فنظيره أو ما يقرب اليه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب

ابراهيم عليه السلام بناء على معتقدهم وكانوا أصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لابد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الارض والسموات قلت وفيه أيضا طريق آخر نذكره في التأويلات ان شاء الله تعالى فبهت الذي كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد

قرئ بهما وأفصح منهما القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوبا فيعلم منه أن الكل بقضاء الله وقدره وبمشيئته وارادته

القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي وأكثر النحويين الى أنه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر

فلسنا بالجبال ولا الحديدا
وعن الاخفش أن الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابراهيم أو ألم تر الى مثل الذي مر واختلف في المار فقيل هو عزير وقيل كافر اسمه ارميا وقيل هو كافر اسمه عبد يشوع وقيل هو كافر اسمه نمرود وقيل هو كافر اسمه أرميا بن حلقيا وقيل هو كافر اسمه أرميا بن سروخا وقيل هو كافر اسمه أرميا بن سروخا وقيل هو كافر اسمه أرميا بن سروخا وقيل هو كافر اسمه أرميا بن سروخا

له قال اعلم أن الله على كل شئ قدير ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يعني نبي الله صلى الله عليه وسلم يعني انشار العظام اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال قال عزير عند ذلك يعني عند معاينة احياء الله حماره اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال نظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شئ قدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نحوه * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ اعلم بوصل الالف وجزم الميم على وجه الامر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته بالامر بان يعلم ان الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من احيائه اياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عاد كهيئتهما يوم قبض أرواحهما وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شئ قادر كذلك وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره لان ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به وذلك قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها فلما تبين ذلك له جوابا عن مسئلته ربه اني يحيي هذه الله بعد موتها قال الله له اعلم ان الله الذي فعل هذه الاشياء على ما رأيت على غير ذلك من الاشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله كما قال تعالى ذكره لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعد ان أجابه عن مسئلته اياه في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى واعلم ان الله عزيز حكيم فأمر ابراهيم بان يعلم بعد ان أراه كيفية احيائه الموتى انه عزيز حكيم وكذلك أمر الذي سأل فقال اني يحيي هذه الله بعد موتها بعد ان أراه كيفية احيائه اياها ان يعلم ان الله على كل شئ قدير ۞ القول في تأويل قوله (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني فانما صلح أن يعطف بقوله واذ قال ابراهيم على قوله أو كالذي مر على قرية وقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه لان قوله ألم تر ليس معناه ألم تر بعينيك وانما معناه ألم تر بقلبك فعناه ألم تعلم فتذكر فهو وان كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام وأحيانا بما يوافق معناه واختلف أهل التأويل في سبب مسئلة ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى فقال بعضهم كانت مسالته ذلك ربه انه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير فسأل ربه ان يريه كيفية احيائه اياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الارض ليرى ذلك عيانا فيزداد يقينا بروية ذلك عيانا الى علمه به خبرا فاوحى الله ذلك مثلا بما أخبر انه أمره به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ذكر لنا ان خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى قال مر ابراهيم على دابة ميت قد بلى وتقسمته الرياح والسباع فقدم ينظر فقال سبحان الله كيف يحيي الله هذا وقد علم ان الله قادر على ذلك فذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج بلغني ان ابراهيم بيناهو يسير على الطريق اذا هو بحيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقي عظامها فلما ذهبت السباع وطارت الطير على الجبال والآكام فوقف وتعجب ثم قال رب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليس الخبر كالمعاينة

حدثني المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله أنى يحيي استبعاد وأنه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على أن ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله واعلم أن الله على كل شئ قدير وذهب سائر المفسرين الى أنه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك

والسدى هو غزير وقال عطاء عن ابن عباس هو أرميا ثم من هؤلاء من قال ان أرمياهو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان أرمياهو النبي الذي بعثه الله عند ماخرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله أني يحيي هذه الله بعد موتها يدل على أنه كان عالما بانه (٣١) وبانه تعالى يصح منه الاحياء في

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سر ابراهيم يحوت نصفه في البر ونصفه في البحر فما كان منه في البحر فدواب البحر تاكله وما كان منه في البر فالسباع ودواب البر تاكله فقال له الخبيث يا ابراهيم متى يجمع الله هؤلاء من بطون هؤلاء فقال يارب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * وقال آخرون بل كان سبب مسئلته ربه ذلك المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال لما جرى بين ابراهيم وبين قومه ماجرى مما قصه الله في سورة الانبياء قال نمرود فيما يذكرون لابراهيم أرأيت الهك هذا الذي تعبد وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ماهو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت ثم ذكر ماقص الله من محاجته اياه قال فقال ابراهيم عند ذلك رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ولكنه أحب ان يعلم ذلك وتاق اليه قلبه فقال ليطمئن قلبي أي ماتاق اليه اذا هو علمه وهذان القولان أعني الاول وهذا الآخر متقاربا المعنى في ان مسئلة ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عيانا ما كان عنده من علم ذلك خبرا وقال آخرون بل كانت مسئلته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بانه اتخذه خليلا فسال ربه ان يريه عاجلا من العلامة على ذلك ليطمئن قلبه بانه قد اصطفاه لنفسه خليلا ويكون ذلك لما عنده مؤيدا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان يأذن له ان يبشر ابراهيم بذلك فأذن له فاتى ابراهيم وليس في البيت فدخل داره وكان ابراهيم أغير الناس ان خرج اغلق الباب فلما جاء وجد في داره رجلا فثار اليه ليأخذه قال من أذن لك ان تدخل داري قال ملك الموت اذن لي رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف أنه ملك الموت قال من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك بان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله وقال يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض فاعرض ابراهيم ثم نظر اليه فاذا هو برجل اسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده الا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فارني كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال فاعرض فاعرض ابراهيم ثم التفت فاذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا في ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عندربه من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه فانطلق ملك الموت وقام ابراهيم يدعو ربه يقول رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم اني خليلك قال أولم تؤمن بانني خليلك يقول تصدق قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بخلولتك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد ابن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال بالخلة وقال آخرون قال ذلك لربه لانه شك في قدرة الله على احياء الموتى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب في قوله ولكن ليطمئن قلبي قال قال ابن عباس ما في القرآن آية أرجى عندي منها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال انعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو ان يجتمعا قال ونحن يومئذ شبية فقال أحدهما لصاحبه أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الامة فقال عبد الله بن عمرو يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى ختم الآية فقال ابن عباس اما

الجلة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وأيضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر لنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له أيضا روى عن ابن عباس أن بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاءهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم يرفيها أحدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها أي من أين يتوقع عمارتها الا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في أن مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عنه في موته أبصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام

فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض تلوح وقد تفرقت أوصاله فسمع صوتا أيتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور

من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فعزير فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن شرحيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم (٣٢) التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع

ان كنت تقول انها وان أرجى منها لهذه الامة قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى قال فخذ أربعة من الطير ليربه **حدثني** زكرياء بن يحيى بن أبان المصري قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثني بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وهو قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن وان تكون مسئلته ربه ما سأله ان يريه من احياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفا من ان ابراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر قد تعاوده دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل ابراهيم حينئذ ربه ان يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عيانا فلا يقدر بعد ذلك الشيطان ان يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما يرى من ذلك فقال له ربه أولم تؤمن يقول أولم تصدق يا ابراهيم بأني على ذلك قادر قال بلى يا رب لكن سألتك ان تريني ذلك ليطمئن قلبي فلا يقدر الشيطان ان يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت **حدثني** بذلك يونس قال أخبرنا ابن عبد الوهاب عن ابن زيد ومعنى قوله ليطمئن قلبي ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه وهذا التأويل الذي قلنا في ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله ليطمئن قلبي الى انه ليزداد ايمانا أو الى انه ليوفق ذكر من قال ذلك ليوفق أو ليزداد يقينا أو ايمانا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليوفق ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقينا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولكن ليطمئن قلبي يقول ليزداد يقينا **حدثنا** بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن ليطمئن قلبي قال وأراد نبي الله ابراهيم ليزداد يقينا الى يقينه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر وقال قتادة ليزداد يقينا **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ولكن ليطمئن قلبي قال اراد ابراهيم ان يزداد يقينا **حدثني** المثنى قال ثنا محمد بن كثير البصري قال ثنا اسرائيل قال ثنا ابو الهيثم عن سعيد ابن جبير ليطمئن قلبي قال ليزداد يقينا **حدثني** المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن ابي الهيثم عن سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبي قال ليزداد يقينا قال ثنا صالح بن مسمار قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا خلف بن خليفة قال ثنا ليث بن ابي سليم عن مجاهد وابراهيم في قوله ليطمئن قلبي قال لازداد ايمانا مع ايماني **حدثنا** صالح قال ثنا زيد قال اخبرنا زياد عن عبد الله العامري قال ثنا ليث عن ابي الهيثم عن سعيد بن جبير في قول الله ليطمئن قلبي قال لازداد ايمانا مع ايماني وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال معنى

وأخرجت وعورضت بما أملاه فاختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير بن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتسا قطت على سقوف المنهدمة وهذا من أحسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل أن يكون من خوى المنزل اذا خلا عن أهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن أي خاوية عن عروشها ويجوز أن يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز أن يراد ان القرية خاوية قوله مع كون أشجارها معروشة وكان التعجب من ذلك أكثر لان الغالب من القرية الخالية أن يبطل ما فيها من عروش الغراكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة أقرب فيكون أدخل في كونه آية ثم بعثه أي احياءه كما كان أولا عاقلا فهما مستعد النظر والاستدلال

فى المعارف الالهية ولو قال أحياء لم تحصل هذه الفوائد قال كم لبثت أى كم مدة فحذف المميز والحكمة فى السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والامن المعلوم أن الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا أن يعلم أن مدة موته طويلة أو قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما أو بعض يوم روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم والظاهر انه علم أن ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها فى نفسه وفى حماره لم يتسنه لم يتغير وأصله من السنة أى لم يأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على ان أصل سنة سنوة بدليل سنوات فى الجمع وسنية فى التحقير وقولهم سانيت الرجل مسانأة اذا عامله سنة واما أصلية على ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنهة فى التصغير وقولهم أجرت الدار مسانهة وقيل أصله يتسن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حمإ مسنون أى متغير منتن واما من السنة أيضا بناء على ما نقل الواحدى من أن أصل سنة يجوز أن يكون سنهة بدليل سنينة فى تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين أبدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازى فى تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت فى الوقف وعن أبى على الفارسى أن السن هو الصب فقوله لم يتسن أى الشراب بقى بحاله لم ينصب

قوله ليطمئن قلبى بانى خليلك وقال آخرون معنى قوله ليطمئن قلبى لاعلم انك تجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سالتك ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليطمئن قلبى قال اعلم انك تجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سالتك وأما تاويل قوله قال أولم تؤمن فانه اولم تصدق كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى **وحدثنا** احمد بن اسحق قال ثنا ابو احمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله اولم تؤمن قال أولم توقن بانى خليلك ثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اولم تؤمن قال اولم توقن

القول فى تاويل قوله (قال فخذ اربعة من الطير) يعنى تعالى ذكره بذلك قال الله له فخذ اربعة من الطير فذكر ان الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم ان اهل الكتاب الاول يذكرون انه اخذ طاوسا وديكا وغرابا وحماما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال فخذ اربعة من الطير قال ابن جريج زعموا انه ديك وغراب وطاوس وحمامة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فخذ أربعة من الطير قال فاخذ طاوسا وحماما وغرابا وديكا مخالفة أجناسها وألوانها

القول فى تاويل قوله (فصرهن اليك) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة فصرهن اليك بضم الصاد من قول القائل صرت هذا الامر اذا ملته اليه اصوره صورا ويقال انى اليكم لاصور أى مشتاق مائل ومنه قول الشاعر

الله يعلم انا فى تلفتنا * يوم الفراق الى جيراننا صور

وهو جمع اصور وصوراء وصور مثل اسود وسوداء وسود ومنه قول الطرماح

عفائف الاذيال وان يصورها هوى * ٢ والهوى للعاشقين صروع

يعنى بقوله وان يصورها هوى يميلها فمعنى قوله فصرهن اليك اضممهن اليك وجههن نحوك كما يقال صر وجهك الى أى اقبل به الى ومن وجه قوله فصرهن اليك الى هذا التاويل كان فى الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ويكون معناه حينئذ عنده قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك اذا قرئ كذلك بضم الصاد قطعهن كما قال توبة بن الحمير

فلما جذبت الحبل اطت بسوعه * باطراف عيدان شديد اسورها

فادنت لى الاسباب حتى بلغتها * بنهضى وقد كاد ارتقائى يصورها

يعنى يقطعها واذا كان ذلك تاويل قوله فصرهن اليك كان فى الكلام تقديم وتاخير ويكون معناه فخذ أربعة من الطير اليك فصرهن ويكون اليك من صلة خذ وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فصرهن اليك بالكسر بمعنى قطعهن وقد زعم جماعة من نحوى الكوفة انهم لا يعرفون فصرهن ولا فصرهن بمعنى قطعهن فى كلام العرب وانهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها فى ذلك الا بمعنى واحد وانهما جميعا لغتان بمعنى الاماله وان كسر الصاد منها لغة فى هذيل وسليم وأنشدوا لبعض بنى سليم

وفرع يصير الجيد حتى كانه * على الليت قنوان الكروم الدوالح ٧

يعنى بقوله يصير يميل وان أهل هذه اللغة يقولون صاره وهو يصيره صيرا وصير وجهك الى أى أمله كما يقول صره وزعم بعض نحوى الكوفة انه لا يعرف لقوله فصرهن ولا لقراءة من قرأ فصرهن بضم الصاد وكسرها

فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده وبوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وأما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه أن يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما أو بعض

يوم فالجواب أن الشبهة كلما كانت أقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها أشد ولهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن أن يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بان شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته (٣٤) لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة فى الحال ولكن

انقلاب عظام الحمار الى حالة الحياة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا أسود الرأس وبنوبنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير وأما فائدة الواو فى قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله فى القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة أى كيف نحييها وقرئ كيف ننشزها من نشز الله الموتى بمعنى أنشزهم ويحتمل أن يكون من النشز ضد الطى فان الحياة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء فى قوله من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة

وجها فى التقطيع الا أن يكون فصرهن اليك فى قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب وذلك ان تكون لام فعله جعلت مكان عينه وعينه مكان لامه فيكون من صرى يصرى صريا فان العرب تقول بات يصرى فى حوضه اذا استقى ثم قطع واستقى ومن ذلك قول الشاعر

صرت نظرة لو صادفت جون دارع * غداة العواصى من دم الجون تنعر ٣

صرت قطعت نظرة ومنه قول الآخر

يقولون ان الشام يقتل أهله * فمن لى اذا لم آته بخلود

تعرب آبائى فهلا صرارهم * من الموت ان لم يذهبوا وجدودى

يعنى قطعهن ثم نقلت ياؤها التى هى لام الفعل فجعلت عينا للفعل وحولت عينها فجعلت لامها فقيل صار يصير كما قيل عنى يعنى عنا ثم حولت لامها فجعلت عينها فقيل عاث يعيث فاما نحوى البصرة فانهم قالوا فصرهن اليك سواء معناه اذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر فى انه معنى به فى هذا الموضع التقطيع قالوا وهما لغتان احداهما صار يصور والاخرى صار يصير واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذى ذكرنا قبل وبيت المعلى بن حماد العبدى

وجاءت جلعة دهشى صغايا * يصور عنقها الحوى زنيم

يعنى يفرق عنقها ويقطعها وببيت خنسا * اظلت الشمس منها وهى تنصار * يعنى بالشمس الجبال انها تتصدع وتتفرق وببيت أبى ذؤيب

فابصرن من فرع وسد فروعة * غير صوار وافنان واجدع ٣

قالوا فلقول القائل صرت الشئ معنيان أملته وقطعته وحكوا سمعا صرنا به الحكم فصلنا به الحكم وهذا القول الذى ذكرناه عن البصريين من ان معنى الضم فى الصاد من قوله فصرهن اليك والكسر سواء بمعنى واحد وانهما لغتان معناهما فى هذا الموضع فقطعهن وان معنى اليك تقديمها قبل فصرهن من أجل انها صلة قوله فخذ أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحوى الكوفيين الذين أنكروا أن يكون للتقطيع فى ذلك وجه مفهوم الا على معنى القلب الذى ذكرت لاجماع جميع أهل التأويل على ان معنى قوله فصرهن غير خارج من احدى معنيين اما قطعهن واما ضمهن اليك بالكسر قرئ ذلك أو بالضم ففى اجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ولا تفريق منهم بين معنيى القراءتين أعنى الكسر والضم أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحوى أهل البصرة فى ذلك ما حكينا عنهم من القول وخطأ قول نحوى الكوفيين لانهم لو كانوا انما تاولوا قوله فصرهن بمعنى فقطعهن على ان أصل الكلام فاصرهن ثم قلبت فقيل فصرهن بكسر الصاد لتحول يا فاصرهن مكان رائه وانتقال رائه مكان يائه لكان لاشك مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم قد فصلوا بين معنى ذلك اذا قرئ بكسر صاده وبينه اذا قرئ بضمها اذ كان غير جائز لمن قلب فاصرهن الى فصرهن ان يقرأه فصرهن بضم الصاد وهو مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تاولوه تاويلا واحدا على أحد الوجهين اللذين ذكرنا فى ذلك أوضح الدليل على خطأ قول من قال ان ذلك اذا قرئ بكسر الصاد بتاويل التقطيع مقلوب من صرى يصرى الى صار يصير وجهل من زعم ان قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف فى كلام العرب بمعنى قطع ذكر من حضرنا قوله فى تاويل قول الله تعالى ذكره فصرهن انه بمعنى فقطعهن حدثنا سليمان بن الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة

٣ هذا الشاهد وما قبله من الابيات فى هذا الموضع هو كذلك بالاصل ولا يخلو من تحريف فليراجع من مظانه اه مصححه

عن

لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف فى موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشزها الا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيما قبله ثم أكثر المفسرين على أن المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد أن العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى أحيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى أجزاء عظام نفسه فرآها (٣٥) تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما أو بعض يوم انما يليق لمن لا يرى فى نفسه أثر التغير لا لمن شاهد أجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وأيضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التى أماتها وقيل هى عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شئ قدير قال أعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قوله ضربنى وضربت زيدا أو التقدير فلما تبين له ما أشكل عليه من أمر الاماتة والاحياء قال أعلم وتاويله انى قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه انه عند التبين أمر نفسه بذلك أو الله تعالى أمره بذلك كما فى آخر قصة ابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم قال القاضى القراءة الاولى أولى لان الامر بالشئ انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك أما الاخبار عن انه حصل

عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فصرهن قال هى بالنبطية فشققهن **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى جمرة عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك قال انما هو مثل قطعهن ثم اجعلهن فى أرباع الدنيا بعاههنا وربعاههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فصرهن قال قطعهن **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله فصرهن اليك يقول قطعهن **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن ابى مالك مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فصرهن قال قال جناح ذه عندرأس ذه ورأس ذه عند جناح ذه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم أبو عمرو عن عكرمة فى قوله فصرهن اليك قال قال عكرمة بالنبطية قطعهن **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن يحيى عن مجاهد فصرهن اليك قال قطعهن **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصرهن اليك انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ثم اخلط لحومهن بريشهن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصرهن اليك قال انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فصرهن اليك أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ أربعة من الطير فيذبحن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فصرهن اليك قال فزقهن قال أمر ان يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش ثم جعل على كل جبل منهن جزأ **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فصرهن اليك يقول فشققهن وهو بالنبطية صرى وهو التشقيق **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فصرهن اليك يقول قطعهن **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فصرهن اليك يقول قطعهن اليك ومزقهن تمزيقا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة بن اسحق فصرهن اليك أى قطعهن وهو الصور فى كلام العرب ففيما ذكرنا من اقوال من روينا قوله فى تاويل قوله فصرهن اليك أنه بمعنى فقطعهن اليك دلالة واضحة على صحة ما قلنا فى ذلك وفساد قول من خالفنا فيه واذ كان ذلك كذلك سواء قرأ القارئ ذلك بضم الصاد فصرهن اليك أو كسرها فصرهن ان كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد غير ان الامر وان كان كذلك فان أحبهما الى ان أقرأ به فصرهن اليك بضم الصاد لانها أعلا اللغتين وأشهرهما واكثرهما فى احياء العرب وعند نفر قليل من أهل التاويل أنها بمعنى أوثق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فصرهن اليك صرهن أو نقهن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فصرهن اليك قال اضممهن اليك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فصرهن اليك قال اجعهن ۞ القول فى تاويل قوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا) اختلف أهل التاويل فى تاويل قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فقال بعضهم يعنى بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزء منهن ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى جمرة عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال اجعلهن فى أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

فائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شئ آخر غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد أمر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا أوردت القضية كلية نعم لو قيل أعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشبه أن يكون أمرا بتحصيل الحاصل على أن ذلك أيضا نوع فان الامر حينئذ يعود الى شئ آخر غير حاصل هو

علم الشك فيما يستأنف من الزمان أي لتكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعترض لك شك فيما فيها بعد وذلك كقوله للمتحرك تحرك أي واطب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القرآن السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة * الثالثة قوله عم طوله واذ قال ابراهيم التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذي أي ألم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي انه لم ينعم عزيرا في قصته بل قال أو كالذي مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم أثنى على الله أولا بقوله رب أرني وأيضا ان عزيرا استبعد الاحياء فارى ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله أرني فارى ذلك في غيره ومعنى أرني بصرني وذكر وافي سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا أكل السباع جاءت الطيور فاكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل أولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال أن يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر أنا أحيي وأميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب أرني كيف تحيي الموتى لتنكشف هذه المسئلة عند نمرود واتباعه وبزول الانكار عن قلوبهم وروى ان نمرود قال له قل لربك يحيي والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي أي بنجاتي من القتل أو ليطمئن قلبي بقوة يقيني وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن

أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال لما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزأ **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على أربعة أجبل فذكر لنا انه شكل ٧ على أجنحتهن وأمسك برؤسهن بيده فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم دعاهن فاتينه سعيا على أرجلهن ويلقى كل طير برأسه وهذا مثل آتاه الله ابراهيم يقول كما بعث هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بين لحومهن وريشهن ثم قسمهن على أربعة أجزاء فجعل على كل جبل منهن جزأ فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم ثم دعاهن فاتينه سعيا يقول شدا على أرجلهن وهذا مثل أراه الله ابراهيم يقول كما بعثت هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم ان أهل الكتاب يذكرون انه أخذ الاطيار الاربعة ثم قطع كل طير باربعة أجزاء ثم عمد الى أربعة أجبال فجعل على كل جبل ربعا من كل طائر فكان على كل جبل ربع من الطاوس وربع من الديك وربع من الغراب وربع من الحمام ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله كما كنتن فوثب كل ربع منها الى صاحبه حتى اجتمعن فكان كل طائر كما كان قبل ان يقطعه ثم أقبلن اليه سعيا كما قال الله وقيل يا ابراهيم هكذا يجمع الله العباد ويحيي الموتى للبعث من مشارق الارض ومغاربها وشامها ويمنها فاراه الله احياء الموتى بقدرته حتى عرف ذلك بغير ما قال نمرود من الكذب والباطل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال فاخذ طاوسا وحمامة وغرابا وديكا ثم قال فرقهن اجعل رأس كل واحد وجوشون الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه فقطعهن وفرقهن أرباعا على الجبال ثم دعاهن فجئنه جميعا فقال الله كما ناديتهن فجئنك فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا فكذلك أجمع هؤلاء أيضا يعني الموتى وقال آخرون بل معنى ذلك ثم اجعل على كل جبل من الاجبال التي كانت الاطيار والسباع التي كانت تاكل من لحم الدابة التي رآها ابراهيم ميتة فسأل ابراهيم عند رؤيته اياها ان ربه كيف يحييها وسائر الاموات غيرها وقالوا كانت سبعة أجبال ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قال ابراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التي تفرقت الطير والسباع عنها حين دنا منها وسال ربه ما سال قال فخذ أربعة من الطير قال ابن جريج فذبحها ثم خلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ حيث رأيت الطير ذهبت والسباع قال فجعلهن سبعة أجزاء وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن باذن الله فنظر الى كل قطرة من دم تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل بضعة وكل عظم يطير بعضه الى بعض من رؤس الجبال حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على سبعة أجبال فاجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا فاخذ ابراهيم أربعة من الطير فقطعهن أعضاء لم يجعل عضوا من طير مع صاحبه ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا وصدر هذا مع جناح هذا وقسمهن على سبعة أجبال ثم دعاهن فطار كل عضو الى صاحبه ثم أقبلن اليه جميعا وقال آخرون بل أمره الله ان يجعل ذلك على كل جبل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد

عباس وسعيد بن جبير والسدى ان الله تعالى أوحى اليه انى أتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهى ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيى الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم عليه السلام فى درجات العبودية وأداء الرسالة خطر بباله انى لعلى أكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى فقال الله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على انى خليل لك * الرابع لا يبعد أن يقال انه لما جاء الملك

ابن عمر وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال ثم بددهن على كل جبل يا تينك سعيا وكذلك يحيى الله الموتى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن يا تينك سعيا كذلك يحيى الله الموتى هو مثل ضربه الله لابراهيم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم بددهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن تعالين باذن الله فكذلك يحيى الله الموتى مثل ضربه الله لابراهيم صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أمره ان يخالف بين قوائمهن ورؤسهن وأجنحتهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزأ **حدثت** عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فخالف ابراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن وأولى التاويلات بالآية ما قاله مجاهد وهو ان الله تعالى ذكره أمر ابراهيم بتفريق اعضاء الاطيار الاربعة بعد تقطيعه اياهن على جميع الاجبال التى كان يصل ابراهيم فى وقت تكليف الله اياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء لان الله تعالى ذكره قال له ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ والكل حرف يدل على الاحاطة بما أضيف اليه لفظه واحد ومعناه الجمع فاذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التى أمر الله ابراهيم بتفريق أجزاء الاطيار الاربعة عليها خارجة من أحد معنيين اما أن تكون بعضا أو جعافان كانت بعضا فغير جائز أن يكون ذلك البعض الا ما كان لابراهيم السبيل على تفريق أعضاء الاطيار الاربعة عليه أو يكون جعا فيكون أيضا كذلك وقد أخبر الله تعالى ذكره انه أمره بان يجعل ذلك على كل جبل وذلك اما كل جبل قد عرفهن ابراهيم باعيانهن واما ما فى الارض من الجبال فاما قول من قال ان ذلك أربعة أجبل وقول من قال هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شئ من ذلك فنستجيز القول به وانما أمر الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الاطيار الاربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليرى ابراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهن متفرقات مبتددات فى أماكن مختلفة شتى حتى يؤلف بعضهن الى بعض فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطيارا حيا يطرن فيطمئن قلب ابراهيم ويعلم ان كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتاليفه أجزاءهم بعد البلى وردكل عضو من أعضائهم الى موضعه كالذى كان قبل الرد والجزء من كل شئ هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم لان السهم من الشئ هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة ولذلك كثر استعمال الناس فى كلامهم عند ذكرهم انصباءهم من المواريث السهام دون الاجزاء وأما قوله ثم ادعهن فان معناه ماذكرت آنفا عن مجاهد أنه قال هو انه أمر أن يقول لاجزاء الاطيار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين باذن الله فان قال قائل أمر ابراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤس الجبال أمواتا أم بعد ما أحيين فان كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لا أرواح فيهن فما وجه أمر من لا حياة فيه بالاقبال وان كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين فما كانت حاجة ابراهيم الى دعائهن وقد أبصرهن ينشرن على رؤس الجبال قيل ان أمر الله تعالى ذكره ابراهيم صلى الله عليه وسلم بدعائهن وهن أجزاء متفرقات انما هو أمر تكوين كقول الله للذين مسخهم قردة بعد ما كانوا انسا كونوا قردة خاسئين لا أمر عبادة فيكون محالا الا بعد وجود المأمور والمتعبد ۞ القول فى تاويل قوله (واعلم ان الله عزيز حكيم) يعنى تعالى ذكره بذلك واعلم يا ابراهيم ان الذى أحياه هذه الاطيار بعد تمزيقك اياهن وتفريقك اياهن على الجبال فجمعهن ورد اليهن الروح حتى أعادهن كهيئتهن قبل

الى ابراهيم وأخبره بان الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على أن الآتى ملك كريم لا شيطان رجيم * الخامس لعله طالع فى الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيى الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس أقل منزلة عند الله من عيسى وانه من أولاده * السادس أمر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهى أمرتنى ان أجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفنى بان تجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح * السابع أراد أن يخصه الله بهذا التشريف فى الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر فى الآخرة * الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة وأما ان ابراهيم عليه السلام كان شاكا فى المعاد فلا ينبغى أن يعتقد فيه ومن كفر النبى المعصوم فهو بالكفر أولى وكيف يظن ذلك بابراهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبى كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك فى قدرة الله يوجب الشك فى

نبوة نفسه والذى جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتعظيما لابراهيم على نفسه نحن أحق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام فى قوله أولم تؤمن للتقرير كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * وأيضا المقصود من هذا السؤال ان

تغريقكم عزيز في بطشه اذا بطش ممن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره وعصوا رسله وعبدوا غيره وفي نقمته حتى ينتقم منهم حكيم في أمره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق واعلم أن الله عزيز حكيم قال عزيز في بطشه حكيم في أمره **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واعلم أن الله عزيز في نقمته حكيم في أمره ۞ القول في تاويل قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وهذه الآية مردودة الى قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون والآيات التي بعدها الى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله من قصص بني اسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت وما بعد ذلك من نبا الذي حاج ابراهيم مع ابراهيم وأمر الذي مر على القرية الخاوية على عروشها وقصة ابراهيم ومسئلته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجا منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة وحض منه ببعضه المؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم يعرفهم فيه أنه ناصرهم وان قل عددهم وكثر عدد عدوهم ويعدهم النصرة عليهم ويعلمهم سننه فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله انه مؤيدهم وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بانه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم وقطع منه ببعضه عذر اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيه عليه من خفي أمورهم ومكتوم أسرارهم أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله فانه ليس بتخريص ولا اختلاق واعذارا منه به الى أهل النفاق منهم ليحذروا بأسكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته مثل الذي أحلها بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكها فتركها خاوية على عروشها ثم دعا تعالى ذكره الى الخير الذي يقرض الله قرضا حسنا وما عنده له من الثواب على قرضه فقال مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني بذلك مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بانفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الارض التي تسنبل سنبلة بذرها زارع فانبتت يعني فاخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة يقول فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله له أجره بسبعمائة ضعف على الواحد من نفقته كما **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله فله سبعمائة **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء قال هذا الذي ينفق على نفسه في سبيل الله ويخرج **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الآية فكان من بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ورابط مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يكف وجها الا باذنه كانت الحسنة له بسبعمائة ضعف ومن بايع على الاسلام كانت الحسنة عشرة أمثالها فان قال قائل وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله ماله قيل ان يكن ذلك موجودا فهو ذاك والا فجائز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها ويحتمل أن يكون معناه في كل سنبلة مائة حبة يعني انها اذا هي بذرت أنبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضافا اليها لانه كان عنها

أربعة من الطير عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامه بدل النسر فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره أي أملهن وضمهن اليك وقال الاخفش يعني وجههن اليك وفائدة أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها أن يتاملها ويعرف أشكالها وهيئتها وحلاها كيلا تلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وفي الآية حذف كانه قيل أملهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روي انه أمر بذبحها وتنفير بشها وأن يقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي أرضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وأنكر أبو مسلم هذه القصة وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله أراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الاماله والتمرين على الاجابة أي وقد فعود الطيور الاربعة بحيث اذا دعوتها أجابتك حال الحياة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن أي الطيور لا الاجزاء يأتينك سعيا وزيف قول أبي مسلم بانه خلاف اجماع المفسرين وبان ماذكره غير مختص

بابراهيم فلا يلزمه مزية وأيضا ان ظاهر الآية يدل على انه أجيب الى ما سأل وعلى قوله لا تكون الاجابة حاصلة ولان قوله على كل جبل منهن جزأ دليل ظاهر على تجزئة الطير وجعل الجزء على أحد الطيور الاربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كانه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن (٣٩) عباس والحسن وقتادة والربيع أربعة جبال على حسب الطيور الاربعة والجهات الاربع وقال السدى وابن جريج المراد كل جبل كان بشاهده ابراهيم وكان سبعة أما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا فقيل عدوا ومشيا على أرجلهن لان ذلك أبلغ في الحجة وقيل طيرانا وردبانه لا يقال للطير اذا طار سعى وأجيب بان السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت أو طيرانا واحتج الاصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحياة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على انه لابد من البنية من حيث انه وجب التقطيع بطلان حياتها والجواب أن حصول المقارنة لا يدل على وجوب المقارنة أما الانفكاك عنه في بعض الاحوال فيدل على أن المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على أن البنية ليست شرطا للحياة واعلم ان الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الامور وغايات الاشياء * التأويل ان الله تعالى لما أعطى نمرود ملكا ما أعطى أحدا قبله ادعى الربوبية وما ادعاها أحد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب وغاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فمتى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا لسيره الطبيعي لانه خلق من تراب وطبعه الميل الى السفل فيرى الكمال في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف

و قد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة قال كل سنبلة أنبتت مائة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴿ القول في تأويل قوله (والله يضاعف لمن يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال بعضهم والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسنات بعد الذي أعطى المنفق في سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة فاما المنفق في غير سبيله فلا نفقته ما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا يضاعف لمن أنفق في سبيل الله يعني السبعمائة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم يعني لغير المنفق في سبيله * وقال آخرون بل معنى ذلك والله يضاعف لمن يشاء على السبعمائة لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة الى ألفي ألف ضعف وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد اسناده فتركت ذكره والذي هو أولى بتأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء والله يضاعف على السبعمائة لمن يشاء من التضعيف الى ما يشاء من المنفقين في سبيله لانه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره في هذه الآية من التضعيف الى أنه عدة منه على العمل على غير النفقة في سبيل الله ﴿ القول في تأويل قوله (والله واسع عليم) يعني تعالى ذكره والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعده أن يزيده عليم من يستحق منهم الزيادة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم قال واسع أن يزيد من سعته عليم عالم بمن يزيده وقال آخرون معنى ذلك والله واسع لتلك الاضعاف عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله ﴿ القول في تأويل قوله (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني تعالى ذكره بذلك المعطي ماله المجاهدين في سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله يقول تعالى ذكره الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم وفي حملانهم وغير ذلك من مؤنهم ثم لم يتبع نفقته التي أنفقها عليهم منا عليهم بانفاق ذلك عليهم ولا أذى لهم فامنانه به عليهم بان يظهر لهم انه قد اصطنع اليهم بفعله وعطائه الذي أعطاهموه تقوية لهم على جهاد عدوهم معروفا يبدي ذلك اما بلسان أو فعل وأما الاذى فهو شكايته اياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة في سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم في الجهاد وما أشبه ذلك من القول الذي يؤذي به من أنفق عليه وانما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله وأوجب الاجر لمن كان غير مان ولا مؤذ من أنفق عليه في سبيل الله لان النفقة التي هي في سبيل الله مما ابتغي به وجه الله وطلب به ما عنده فاذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا فلا وجه لمن المنفق على من أنفق عليه لانه لا يد له قبله ولا صنيعة يستحق بها عليه ان لم يكافئه عليها المن والاذى اذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتسابا وابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه وبنحو المعنى الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون علم الله أن أناسا يمنون بعطيتهم فكره ذلك وقدم فيه فقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها

المال فيه ثم فى الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات باسرها وقهر ملوك الارض أراد أن ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول أنا أحيى وأميت وليس للعالم رب الا أنا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا اصلح جوهره بحسن تربية النبى صلى الله عليه وسلم أو من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس فى الوجود سوى الله وهذا هو حقيقته فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعنى كن فانيا عن

أذى والله غنى حليم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال للآخرين يعنى قال الله للآخرين وهم الذين لا يخرجون فى جهاد عدوهم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال فشرط عليهم والخارج لم يشرط عليه قليلا ولا كثيرا يعنى بالخارج الخارج فى الجهاد الذى ذكر الله فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الآية قال ابن زيد وكان أبى يقول ان أذن لك أن تعطى من هذا شيأ أو تقوى فقويت فى سبيل الله فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكف سلامك عنه قال ابن زيد فهو خير من السلام قال وقالت امرأة لابى يا أبا اسامة تدلنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقا فانهم لا يخرجون الا ليأكلوا الغواكه عندى جعبة وأسهم فيها فقال لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى اسهمك فقد أسئتهم قبل أن تعطيهم قال وكان رجل يقول لهم اخرجوا وكلوا الغواكه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله لهم أجرهم عند ربهم فانه يعنى للذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله على ما بين والهاء والميم فى لهم عائدة على الذين ومعنى قوله لهم أجرهم عند ربهم لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التى أنفقوها فى سبيل الله ثم لا يتبعونها منا ولا أذى وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يقول وهم مع مالهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التى أنفقوها على ما شرطنا لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ولا فى أهوال القيامة وأن ينالهم من مكارهها أو يصيبهم فيها من عقاب الله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ۞ القول فى تاويل قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) يعنى تعالى ذكره بقوله قول معروف قول جميل ودعا الرجل لاخيه المسلم ومغفرة يعنى وستر منه عليه لما علم من خلته وسوء حالته خير عند الله من صدقة يتصدقها عليه يتبعها أذى يعنى يشتكيه عليها ويؤذيه بسببها كما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى يقول ان يمسك ماله خير من أن ينفق ماله ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله غنى حليم فانه يعنى والله غنى عما يتصدقون به حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من عن بصدقته منكم ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك **ما حدثنا** به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى كمل فى غناه والحليم الذى قد كمل فى حلمه ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم يقول لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والاذى كما أبطل كفر الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو مراآته اياهم بعمله وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس فى الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وانما ينفقه كذلك ظاهر ليحمده الناس عليه فيقولوا هو سخى كريم وهو رجل صالح فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية فى انفاقه ما أنفق فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر وأما قوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فان معناه ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته ولا بانه مبعوث بعد مماته فمجازى على عمله فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده فى معاده وهذه صفة المنافق وانما قلنا انه منافق لان المظهر كفره والمعلن شركه معلوم انه لا يكون بشئ من أعماله مرائيا لان المرائى هو الذى يرائى الناس بالعمل الذى هو فى الظاهر لله وفى الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه والكافر لا يحمل على أحد أمره ان أفعاله كلها انما هى للشيطان اذا كان

الدنيا وكالذى مر على قرية وذلك أن قوما أنكروا حشر الاجساد بعد اعترافهم بحشر الارواح معلنا وزعموا أن الارواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم الكلية التى استفادتها من عالم الحس فما حاجتها أن ترجع الى السجن والقيد كما ان الصبى اذا استفاد العلوم فى المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى أن يرجع الى المكتب ويحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله

معلنا كفره لله ومن كان كذلك فغير كائن مرائيا بعماله ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن حريث قال ان الرجل يغزو ولا يسرق ولا يزني ولا يغل لا يرجع بالكفاف فقيل له لم ذاك قال فان الرجل ليخرج فاذا أصابه من بلاء الذي قد حكم عليه سب ولعن أيامه ولعن ساعة غزا وقال لا أعود لغزوة معه أبدا فهذا عليه وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها منا وأذى فقد ضرب الله مثلها في القرآن يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى ختم الآية ۞ القول في تأويل قوله (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني تعالى ذكره بذلك فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر والهاء في قوله فمثله عائدة على الذي كمثل صفوان والصفوان واحد وجمع فمن جعله جمعا فالواحدة صفوانة بمنزلة تمرة وتمر ونخلة ونخل ومن جعله واحدا جعه صفوان وصفي كما قال الشاعر * مواقع الطير على الصفي * والصفوان هو الصفا وهي الحجارة الملس وقوله عليه تراب يعني على الصفوان تراب فأصابه يعني أصاب الصفوان وابل وهو المطر الشديد العظيم كما قال امرؤ القيس

ساعة ثم انتحاها وابل * ساقط الاكناف واه منهمر

يقال منه وبلت السماء فهي تبل وبلا وقد وبلت الارض فهي توبل وقوله فتركه صلدا يقول فترك الوابل الصفوان صلدا والصلد من الحجارة الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره وهو من الارضين ما لا ينبت فيه شيء وكذلك من الرؤس كما قال رؤبة

لما رأتني حلق المموه * براق أصلاد الجبين الاجله

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي قدر صلود وقد صلدت تصلد صلودا ومنه قول تابط شرا

ولست بحلب حلب وعد وفرة * ولا بصفا صلد عن الخير أعزل

ثم رجع تعالى ذكره الى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لاعمالهم فقال فكذلك أعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب فأصابه الوابل من المطر فذهب بما عليه من التراب فتركه نقيا لا تراب عليه ولا شيء يراهم المسلمون في الظاهر ان لهم أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان بما رأوهم به فاذا كان يوم القيامة وصاروا الى الله اضمحل ذلك كله لانه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب فتركه أملس لا شيء عليه فذلك قوله لا يقدرون يعني به الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا لانهم لم يعملوا لمعاد هم ولا اطلب ما عند الله في الآخرة ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم وانما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها ثم أخبر تعالى ذكره انه لا يهدي القوم الكافرين يقول لا يسددهم لاصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها وهم للباطل عليها مؤثرون ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون فقال تعالى ذكره للمؤمنين لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنكم على من تصدقتم إياها عليه وأذاكم لهم كما بطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فقر أحتى بلغ على شيء مما كسبوا فهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفاة الجرداس عليه شيء أنقى ما كان عليه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تبطلوا

والحمد لله الذي صدقنا وعده ونصرنا على عدوه وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

وأفنته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بان أمات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم أحياهما جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما أحيى عزيرا الروح أحيى معه حمار الجسد وكما ان عزيرا الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤس تجلي صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا طهورا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني

ولحما والجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل أناس مشربهم شعر

شربنا وأهرقنا على الارض قسطها
وللارض من كأس الكرام نصيب

ثم أكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى فيفوح منه رائحة قول موسى رب أرني أنظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فما رأى غير النصب والتعب وأدب بتاديب الخاطئ الجاني وعرك بتعريك ان ترانى وذلك انه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب ري وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر

شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت

فاسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب أرني أنظر اليك ويعربد أخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل مازل قدمه في آداب العبودية في الحضور والغيبة فلاجرم أكرم اليوم بكرامة الشيبة ان أول ما شاب شيبة ابراهيم ويحترم غدا بالكسوتان أول من يكسى ابراهيم ولما ابتلى في ماله فبذل للضيفان وابتلى بولده فاسلم وتله للجبين وابتلى في نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبرائيل فقال أما اليك فلا لاجرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان أول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربي

وأولى من سلك طريق الحق وقال انى ذاهب الى ربى وأول من نطق بالمحبة وقال انى لا أحب الافلين وأول من أظهر الشوق وقال ان لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين وأول من أظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لى الا رب العالمين وأول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب أرنى ولا تفان أن اشتياقه الى الرب انما يكون وقت سؤاله شعر واست حديث العهد شوقا ولوعة * حديث هواكم فى حشاى قديم

ولكنه من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال و يقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربى الذى يحيى و يميت فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد الخليل فرصة المأمول فادرج فى السؤال السؤال فاخفى سره وهو أدنى فى علته وهو كيف تحيى الموتى وهو يعلم انه يعلم السر وأخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان أسمعه من كلامه بفضله و جوده وقال أولم تؤمن فكان فى هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة معان مضمرة أولم تؤمن وقت ما آمنت عند نمرود بانى أحيى وأميت فما كان ايمانك حقيقيا أو لم تؤمن لميعاد رؤيتى فى الجنة فاريك ثمة أولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا فى كل منها الاثبات فى لفظة النفى فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة ببلى سرا بسر أى بلى آمنت وكان ايمانى حقيقيا ولكن ما كان مقصودى الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولكنى سألت ليطمئن قلبى بما تريد أو بلى آمنت بميعاد رؤيتك فى الجنة ولكن ليطمئن قال قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى أو بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء ولكن سألتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كما أن من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم ان يقول أرنى

صدقاتكم بالمن الى قوله والله لا يهدى القوم الكافرين هذا مثل ضربه الله لاعمال الكافرين يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا نقيا لا شئ عليه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى قوله على شئ مما كسبوا أما الصفوان الذى عليه تراب فاصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلدا فكذا هذا الذى ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقيا فكذلك ترك الرياء لا يقدر على شئ مما قدم فقال للمؤمنين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أن لا ينفق الرجل ماله خير من ان ينفقه ثم يتبعه مناوأذى فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فضرب مثلهما جميعا كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا فكذلك من أنفق ماله ثم اتبعه مناوأذى **حدثنى** محمد بن سعيد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى الى كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا ليس عليه شئ وكذلك المنافق يوم القيامة لا يقدر على شئ مما كسب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال يمن بصدقته و يؤذيه فيها حتى يبطلها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى فقرأ يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى حتى بلغ لا يقدرون على شئ مما كسبوا ثم قال أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيأ فكذلك منك وأذاك لم يدع مما أنفقت شيأ وقرأ قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقرأ وما أنفقتم من خير فلانفسكم فقرأ حتى بلغ وأنتم لا تظلمون ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (صفوان) قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية غير انا أردنا ذكر من قال مثل قولنا فى ذلك من أهل التاويل **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كمثل صفوان كمثل الصفاة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل صفوان والصفوان الصفا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما صفوان فهو الحجر الذى يسمى الصفاة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صفوان يعنى الحجر ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فاصابه وابل) قد مضى البيان عنه وهذا ذكر من قال قولنا فيه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اما وابل فمطر شديد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فاصابه وابل والوابل المطر الشديد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فتركه صلدا) ذكر من قال نحو ما قلنا فى ذلك **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتركه صلدا يقول نقيا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فتركه صلدا قال تركها نقية ليس عليها شئ **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله فتركه صلدا قال ليس عليه شئ **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك صلدا فتركه جردا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق

وجهك لا نظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفى مذهب الملاح الطلب رد والسيل سد فيقول أرنى كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر فى صنعته يريد أن يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب فيقول انظر الى كيف أخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه (٤٣) بذلك فالخليل لما اعتذر عن الجليل من

قال أخبرنا معمر عن قتادة فتركه صلد ليس عليه شئ **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فتركه صلدا ليس عليه شئ ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) يعنى بذلك جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها ويحملون عليها فى سبيل الله ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين فى سبيل الله وفى غير ذلك من طاعة الله طلب مرضاته وتثبيتا من أنفسهم يعنى لهم على انفاق ذلك فى طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا فى هذا الامر اذا صحت عزمه وحقيقته وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتا كما قال ابن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

وانما عنى الله جل وعز بذلك ان أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما أنفقت فى طاعته بغير من ولا أذى فثبتهم فى انفاق أموالهم ابتغاء مرضات الله وصحيح عزمهم وأراهم يقينا منها بذلك وتصديقا بوعد الله اياها ما وعدها ولذلك قال من قال من أهل التأويل فى قوله وتثبيتا وتصديقا ومن قال منهم ويقينا الا ان تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله اياهم انما كان عن يقين منها وتصديق وعد الله ذكر من قال ذلك من أهل التاويل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبى موسى عن الشعبى وتثبيتا من أنفسهم قال تصديقا وتيقينا **حدثنا** أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى موسى عن الشعبى وتثبيتا من أنفسهم قال وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وتثبيتا من أنفسهم قال يقينا من أنفسهم قال التثبيت اليقين **حدثنى** يونس قال ثنا على بن معبد عن أبى معاوية عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وتثبيتا من أنفسهم يقول يقينا من عند أنفسهم * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم أنهم كانوا يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال يثبتون أى يضعون أموالهم **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم فقلت له ما ذلك التثبيت قال يتثبتون أين يضعون أموالهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعونها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن رفاعة عن الحسن فى قوله وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يثبتون أين يضعون أموالهم يعنى زكاتهم **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن على بن على قال سمعت الحسن قرأ ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم قال كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك أمسك وهذا التاويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن تاويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة وذلك أنهم تاولوا قوله وتثبيتا من أنفسهم بمعنى وتثبتا فزعموا أن ذلك انما قيل كذلك لان القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم ولو كان التاويل كذلك لكان وتثبتا من أنفسهم لان المصدر من الكلام ان كان على تفعلت التفعل فيقال تكرمت تكرما وتكلمت تكلما وكما قال جل ثناؤه أو يأخذهم على تخوف من قول القائل تخوف فلان هذا الامر تخوفا فكذلك قوله وتثبتا من أنفسهم لو كان من تثبت القوم فى وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام وتثبتا من أنفسهم لا وتثبيتا ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم اياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل ان هذا مخالف لذلك وذلك أن هذا انما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل

اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرع بين يدى مولاه وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاءه وقال خذ أربعة من الطير الآية والمراد انك محجوب بك عنى فبحجاب صفاتك عن صفاتى محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتى ممنوع فهما تموت عن صفاتك تحيى بصفاتى فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتى فخذ أربعة من الطير وهى الصفات الاربع التى تولدت من العناصر الاربعة التى خمرت طينة الانسان منها فتولدت من أزواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهن الابواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعنى من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهى الطير والاربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال فى نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص وبكوره عن حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه فى الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقى له باب يدخل

به النار فصارت النار عليه لما ألقى فيها بردا وسلاما والمبالغة فى تقطيعهن ونتف ريشها وخلط أجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدى ابراهيم الروح بأمر الشرع ثم اجعل على كل جبل هى الجبال الاربعة التى جبل الانسان عليها النفس النامية وهى النباتية والارواح الثلاثة الحيوانى والطبيعى (٤٤) والانسان الملكى فهذه الجبال كالاشجار والزروع وأجزاء الطيور كالتراب المخلوط بالزبل

يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من أولئك ويتربى بتربيتها ويتصرف فيها الروح الانسانى فيحييها بشورهو من خصائص أرواح الانسان فتكون تلك الصفات ميتة عن أوصافها حية باخلاق الروحانيات هذا لخواص الخلق الذين الغالب على أحوالهم الروح وأما خواص الخواص ومن أدركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيى فيحيى هذه الصفات الفانية عن أوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد فى تلك الحالة حيا بحياته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش كما ان أميا يقول لكاتب أرنى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه فى يد الامى وأخذ يده بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامى على الصحيفة ففى تلك الحالة يظن الامى انه صار كاتبا فيقول أنا الكاتب كقوله

شعر عجبت منك ومنى أفنيتنى بك عنى * أدنيتنى منك حتى ظننت انك أنى فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامى

فيعلم الامى انه أمى والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك أى ذنب حسبان انك كاتب وأنت منى أمى عربى ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان تجلى لخليله بصفة واحدة وهى صفة

اليه فكان فى ظهوره دلالة على متروك من الكلام منه قبل تبتيلا وذلك أن المتروك هو تبتل فيتلك الله اليه تبتيلا وقد تفعل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الافعال التى تقدمتها اذا كانت الافعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه كما قال جل وعز والله أنبتكم من الارض نباتا وقال فانبتها نباتا حسنا والنبات مصدر نبت وانما جاز ذلك لمجىء أنبت قبله فدل على المتروك الذى منه قيل نباتا والمعنى والله أنبتكم فنبتم من الارض نباتا وليس قوله وتبتيلا من أنفسهم كما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن اثباته ومعنى الكلام و يتثبتون فى وضع الصدقات مواضعها فتصرف الى المعانى التى صرف اليها قوله وتبتل اليه تبتيلا وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الافعال التى هى ظاهرة قبلها * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم واحتسابا من أنفسهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتثبيتا من أنفسهم يقول احتسابا من أنفسهم وهذا القول أيضا بعيد المعنى من معنى التثبيت لان التثبيت لا يعرف فى شئ من الكلام بمعنى الاحتساب الا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة فى تثبيتها أصحابها فان كان ذلك كان عنده معنى الكلام فليس الاحتساب بمعنى حينئذ للتثبيت به فيترجم عنه به

القول فى تأويل قوله (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل) يعنى بذلك جل وعز ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها و يتسبلونها فى طاعة الله بغير من على من تصدقوا بها عليه ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله وتصديقا من أنفسهم بوعده كمثل جنة والجنة البستان وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة البستان بما فيه الكفاية من اعادته بربوة والربوة من الارض ما ارتفع منها فارتفع عن السيل وانما وصفها بذلك جل ثناؤه لان ما ارتفع عن المسايل والاودية أغلظ وجنان ما غلظ من الارض أحسن وأزكى ثمرا أو غرسا وزرعا مما رق منها ولذلك قال اعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة

مارضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل

وصفها بانها من رياض الحزن لان الحزن غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الاودية والتلاع وزروعها وفى الربوة لغات ثلاث وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء وهى ربوة بضم الراء وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق وربوة بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام و بعض أهل الكوفة و يقال انها لغة لتميم وربوة بكسر الراء وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس وغير جائز عندى أن يقرأ ذلك الا باحدى اللغتين اما بفتح الراء واما بضمها لان قراءة الناس فى أمصارهم باحداهما وأنا لقراءتها بضمها أشد ايثارا منى بفتحها لانها أشهر اللغتين فى العرب فاما الكسر فان فى رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة وانما سميت الربوة لانها ربت فغلظت وعلت من قول القائل ربا هذا الشئ يربو اذا انتفخ فعظم و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كمثل جنة بربوة قال الربوة المكان الظاهر المستوى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال مجاهد هى الارض المستوية المرتفعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كمثل جنة بربوة يقول بنشز من الارض حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل جنة بربوة والربوة المكان المرتفع الذى لا تجرى فيه الانهار والذى فيه الجنان حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله بربوة برابية من الارض حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع كمثل جنة بربوة والربوة النشز من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس كمثل جنة بربوة

المحيي ليريه آية من آياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال القدر أي من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه وب أرني والحبيب طلبها له ولامته أرنا الاشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته و رفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال أرنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة (٤٥) الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى قول

بربوة قال المكان المرتفع الذى لا تجرى فيه الانهار * وكان آخرون يقولون هى المستوية ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله كمثل جنة بربوة قال هى الارض المستوية التى تعلو فوق المياه وأما قوله أصابها وابل فانه يعنى جل ثناؤه أصاب الجنة التى بالربوة من الارض وابل من المطر وهو الشديد العظيم القطر منه وقوله فآتت أكلها ضعفين فانه يعنى الجنة انها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر والاكل هو الشئ المأكول وهو مثل الرعب والهدر وما أشبه ذلك من الاسماء التى تاتى على فعل وأما الاكل بفتح الالف وتسكين الكاف فهو فعل الآكل يقال منه أكلت أكلا وأكلت أكلة واحدة كما قال الشاعر

وما أكلة أكلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

ففتح الالف لانها بمعنى الفعل ويدلك على ان ذلك كذلك قوله ولا جوعة وان ضممت الالف من الاكلة كان معناه الطعام الذى أكلته فيكون معنى ذلك حينئذ ما طعام أكلته بغنيمة وأما قوله فان لم يصبها وابل فطل فان الطل هو الندى واللين من المطر كما حدثنا عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج فطل ندى عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اما الطل فالندى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان لم يصبها وابل فطل أى طش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فطل قال الطل الرذاذ من المطر يعنى اللين منه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فطل أى طش وانما يعنى تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التى وصفت صفتها حين جاد الوابل فان أخطأ هذا الوابل فالطل كذلك يضعف الله صدقة المتصدق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه من غير من ولا أذى قلت نفقته أو كثرت لا تخيب وتخلف نفقته كما تضعف الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثر يخلف خيرها بحال من الحال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل يقول كما أضعفت ثمرة تلك الجنة فكذلك يضاعف ثمرة هذا المنفق ضعفين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن يقول ليس بخيره خلف كما ليس بخير هذه الجنة خلف على أى حال أصابها وابل وأصابها طل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضات الله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله الآية قال هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن فان قال قائل وكيف قيل فان لم يصبها وابل فطل وهذا خبر عن أمر قد مضى قبل يراد فيه كان ومعنى الكلام فآتت أكلها ضعفين فان لم يكن الوابل أصابها أصابها طل وذلك فى الكلام نحو قول القائل حبست فرسين فان لم أحبس اثنين فواحدا بقيمته بمعنى لا كراه لابد من اضمار كان لانه خبر ومنه قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرى بها بدا

القول فى تاويل قوله (والله بما تعملون بصير) يعنى بذلك والله بما تعملون أيها الناس فى نفقاتكم التى تنفقونها ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسكم بصير لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم غيرها وفى غيرها مما يعلم من المنفق منكم بالمن والاذى

---

٧ قوله بقيمته الخ هكذا هذه العبارة بالاصل ولا معنى لها والمراد انه لابد من اضمار كان وبه يتم الجواب عن السؤال تامل اه مصححه

الكليم تعريضا وفيه أيضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة فى الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية المائية فقال كما هى وهذا هو الملك الحقيق الذى لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز أعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على أسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم

ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) القراآت أنبتت سبع وبابه بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه

ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير مهموز حيث كان يزيد السمونى والخزاعى عن ابن فليح وحمزة
فى الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة أبو عمرو وعلى غير ليث وأبى حمدون وحمدويه و رويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله
النصب من الاعراب كل لقرآن بربوة بفتح (٤٦) الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون بضمها أكلها وبابه ساكنة الكاف ابن

والمنفق ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من نفسه فيحصى عليكم حتى يجازى جميعكم جزاءه على عمله ان خيرا فخير او ان
شرا فشر او انما يعنى بهذا القول جل ذكره التحذير من عقابه فى النفقات التى ينفقها عباده وغير ذلك من
الاعمال ان يأتى أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهى أو يفرط فيما قد أمر به لان ذلك بمرأى من الله ومسمع
يعلمه ويحصيه عليهم وهو بخلقه بالمرصاد ۞ القول فى تأويل قوله (أيود أحدكم أن تكون له جنة من
نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار
فيه نار فاحترقت) يعنى تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شئ مما كسبوا أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات وأصابه الكبر الآية ومعنى قوله أيود أحدكم أيحب أحدكم ان تكون له جنة يعنى بستانا من
نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار يعنى من تحت الجنة وله فيها من كل الثمرات والهاء فى قوله له عائدة على
أحد والهاء والالف فى فيها على الجنة وأصابه يعنى وأصاب أحدكم الكبر وله ذرية ضعفاء وانما جعل جل
ثناؤه البستان من النخيل والاعناب الذى قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين أيود أحدكم أن تكون له مثلا النفقة
المنافق التى ينفقها رياء الناس لا ابتغاء مرضات الله فالناس بما يظهر لهم من صدقته واعطائه لما يعطى
وعمله الظاهر يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته فى حسنه كحسن البستان وهى الجنة التى ضربها
الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات لان فى عمله ذلك الذى يعمله فى الظاهر فى
الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ويكتسب به المحمدة وحسن
الثناء عند الناس ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر احصاؤها له فى ذلك من كل خير فى الدنيا كما
وصف جل ثناؤه والجنة التى وصف مثلا بعمله فان فيها كل الثمرات ثم قال جل ثناؤه وأصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء يعنى ان صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال فأصابها يعنى فأصاب الجنة اعصار
فيه نار فاحترقت يعنى بذلك ان جنته تلك أحرقتها الريح التى فيها النار فى حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرتها
بكبره وضعفه عن عمارتها وفى حال صغر ولده وعجزه عن احيائها والقيام عليها فبقى لا شئ له أحوج ما كان
الى جنته وثمارها بالآفة التى أصابتها من الاعصار التى فيه النار فكذلك المنفق ماله رياء الناس اطفى الله
نوره وأذهب بهاء عمله وأحبط أجره حتى لقيه وعاد اليه أحوج ما كان الى عمله حتى لا مستعتب له ولا اقالة من
ذنوبه ولا توبة واضمحل عمله كما احترقت الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته
أحوج ما كان اليها فبطلت منافعها عنه وهذا المثل الذى ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس فى هذه
الآية نظير المثل الآخر الذى ضربه لهم بقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا
لا يقدرون على شئ مما كسبوا وقد تنازع أهل التأويل فى تأويل هذه الآية الا ان معانى قولهم فى ذلك
وان اختلفت تصاريفهم فيها عائدة الى المعنى الذى قلنا فى ذلك وأحسنهم ابانة لمعناها وأقربهم الى الصواب
قولا فيها السدى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أيود أحدكم ان تكون له
جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها
اعصار فيه نار فاحترقت هذا مثل آخر لنفقة الرياء انه ينفق ماله مرائى الناس به فيذهب ماله منه وهو مرائى
فلا يأجره الله فيه فاذا كان يوم القيامة واحتاج الى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت كما أنفق هذا الرجل
على جنته حتى اذا بلغت وكثر عياله واحتاج الى جنته جاءت ريح فيها سمرة فاحرقت جنته فلم يجد منها شيأ

والمنفق ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من نفسه فيحصى عليكم حتى يجازى جميعكم جزاءه على عمله ان خيرا فخير او ان
شرا فشر او انما يعنى بهذا القول جل ذكره التحذير من عقابه فى النفقات التى ينفقها عباده وغير ذلك من
الاعمال ان يأتى أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهى أو يفرط فيما قد أمر به لان ذلك بمرأى من الله ومسمع
يعلمه ويحصيه عليهم وهو بخلقه بالمرصاد ۞ القول فى تأويل قوله (أيود أحدكم أن تكون له جنة من
نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار
فيه نار فاحترقت) يعنى تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله
رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شئ مما كسبوا أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات وأصابه الكبر الآية ومعنى قوله أيود أحدكم أيحب أحدكم ان تكون له جنة يعنى بستانا من
نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار يعنى من تحت الجنة وله فيها من كل الثمرات والهاء فى قوله له عائدة على
أحد والهاء والالف فى فيها على الجنة وأصابه يعنى وأصاب أحدكم الكبر وله ذرية ضعفاء وانما جعل جل
ثناؤه البستان من النخيل والاعناب الذى قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين أيود أحدكم أن تكون له مثلا النفقة
المنافق التى ينفقها رياء الناس لا ابتغاء مرضات الله فالناس بما يظهر لهم من صدقته واعطائه لما يعطى
وعمله الظاهر يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته فى حسنه كحسن البستان وهى الجنة التى ضربها
الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات لان فى عمله ذلك الذى يعمله فى الظاهر فى
الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ويكتسب به المحمدة وحسن
الثناء عند الناس ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر احصاؤها له فى ذلك من كل خير فى الدنيا كما
وصف جل ثناؤه والجنة التى وصف مثلا بعمله فان فيها كل الثمرات ثم قال جل ثناؤه وأصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء يعنى ان صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال فأصابها يعنى فأصاب الجنة اعصار
فيه نار فاحترقت يعنى بذلك ان جنته تلك أحرقتها الريح التى فيها النار فى حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرتها
بكبره وضعفه عن عمارتها وفى حال صغر ولده وعجزه عن احيائها والقيام عليها فبقى لا شئ له أحوج ما كان
الى جنته وثمارها بالآفة التى أصابتها من الاعصار التى فيه النار فكذلك المنفق ماله رياء الناس اطفى الله
نوره وأذهب بهاء عمله وأحبط أجره حتى لقيه وعاد اليه أحوج ما كان الى عمله حتى لا مستعتب له ولا اقالة من
ذنوبه ولا توبة واضمحل عمله كما احترقت الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته
أحوج ما كان اليها فبطلت منافعها عنه وهذا المثل الذى ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس فى هذه
الآية نظير المثل الآخر الذى ضربه لهم بقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا
لا يقدرون على شئ مما كسبوا وقد تنازع أهل التأويل فى تأويل هذه الآية الا ان معانى قولهم فى ذلك
وان اختلفت تصاريفهم فيها عائدة الى المعنى الذى قلنا فى ذلك وأحسنهم ابانة لمعناها وأقربهم الى الصواب
قولا فيها السدى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أيود أحدكم ان تكون له
جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها
اعصار فيه نار فاحترقت هذا مثل آخر لنفقة الرياء انه ينفق ماله مرائى الناس به فيذهب ماله منه وهو مرائى
فلا يأجره الله فيه فاذا كان يوم القيامة واحتاج الى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت كما أنفق هذا الرجل
على جنته حتى اذا بلغت وكثر عياله واحتاج الى جنته جاءت ريح فيها سمرة فاحرقت جنته فلم يجد منها شيأ

كثير ونافع وافق أبو عمرو
فيما اتصلت بالهاء والالف
بما يعملون بصير بالياء
التحتانية أبو عون عن قنبل
الباقون بالتاء للخطاب
* الوقوف مائة حبة ط لمن
يشاء ط عليم ه عند
ربهم ج بعطف المختلفتين
يحزنون ه أذى ط حليم
ه والاذى لا لتعلق كاف
التشبيه أى ابطالا مثل
ابطال الذى الآخر ط
صلدا ط كسبوا ط
الكافرين ه ضعفين ج
لابتداء الشرط مع فاء
التعقيب واتحاد الكلام
فطل ط بصير ه الانهار
لان ما بعده صفة لجنة أيضا
الثمرات لان الواو للحال
ضعف ص والوصل أولى
والوقف على فاحترقت ط
لتناهى مقصود الاستفهام
والمعنى أيحب أحدكم احتراق
جنة صفتها كذا فى حال
كذا تتفكرون ه نصف
السبع * التفسير انه سبحانه
لما ذكر من أصول المبدأ
والمعاد ما اقتضاه المقام اتبعه
ببيان التكاليف والاحكام
قال القاضى فى كيفية النظم
انه تعالى لما أجمل فى قوله
من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له
أضعافا كثيرة فصل بعد

ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر من الآيتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب فكذلك
المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك وأكملت نعمى عليك بالاحياء والاقدار
وقد علمت قدرتى على المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من

الواحد الى سبعمائة وعن الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار أولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن النزود من الاموال التي يتملكها العباد الا بالانفاق اتبعه أحكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار ليصح التشبيه أي مثل صدقاتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع أبواب الخير والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل أن يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة أو لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة وغيرهما مثل ذلك وسبع سنابل مثل ثلاثة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف أي تلك المضاعفة لمن يشاء لا الكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين في الاخلاص أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستحق ذلك في مشيئته والله واسع كامل القدرة على الجزاء لان فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع

وكذلك المنفق رياء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب كمثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال يقول أيود أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيأ وولده صغار لا يغنون عنها شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ عليه حسرة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحدا يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه يا أمير المؤمنين اني أجد في نفسي منها شيأ قال فتلفت اليه فقال تحول ههنا لم تحقر نفسك قال هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال أيود أحدكم ان يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى ان يختمه بخير حين في عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فافسده كله فخرقه أحوج ما كان اليه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن محمد بن سليم عن ابن أبي مليكة ان عمر تلا هذه الآية أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب قال هذا مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون اليه عمل عمل السوء **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر عن عبيد بن عمير انه سمعه يقول سال عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم ترون أنزلت أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب فقالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضرب الله مثلا لعمل قال عمر أي عمل قال لعمل فقال عمر رجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها قال وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس سمعه منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر انه سمع عبيد بن عمير قال ابن جريج وسمعت عبد الله بن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس قالا جميعا ان عمر بن الخطاب سال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا انه قال عمر للرجل يعمل بالحسنات ثم يبعث الله له الشيطان فيعمل بالمعاصي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سالت عطاء عنها ثم قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال اضربت مثلا للاعمال قال ابن جريج وقال ابن عباس ضربت مثلا للعمل يبدأ فيعمل عملا صالحا فيكون مثلا للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات ثم يسيء في آخر عمره فيتمادى على الاساءة حتى يموت على ذلك فيكون الاعصار الذي فيه نار التي أحرقت الجنة مثلا لاساءته التي مات وهو عليها قال ابن عباس الجنة عيشه وعياش ولده فاحترقت فلم يستطع ان يدفع عن جنته من أجل كبره ولم يستطع ورثته ان يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى احترقت يقول هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان الى فلا يجده عندي شيا ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده ان يعملوا جنة كذلك لا توبة اذا انقطع العمل حين مات قال ابن جريج عن مجاهد سمعت ابن عباس قال هو مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال ابن جريج وقال مجاهد أيود أحدكم ان تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنة فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيا وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيا وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ

عمل عامل له عنده ثم لما عظم أمر الانفاق أردف ببيان الامور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح مسائله ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله والعباد عباده وان المعطي هو الله واذا كان العبد

فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات وأما الاذى فنهم من حمله على أذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو أن يتطاول على الفقير بما أدلى اليه ويقول له ألست الامير ما وأنت الاثيل وباعد الله ما بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين

عليه حسرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار الآية يقول أصابها ريح فيها سموم شديد كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فهذا مثل فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله فانه قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته على بقية ذلك كاحوج ما يكون اليه يقول أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة كاحوج ما يكون اليه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة الى قوله فاحترقت يقول فذهبت جنته كاحوج ما كان اليها حين كبرت سنه وضعف عن الكسب وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه قال وكان الحسن يقول فاحترقت فذهبت أحوج ما كان اليها فذلك قوله أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان اليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى وقال أبو أيوب أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل الى قوله فيها من كل الثمرات يقول صنعه فى شبيبته فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره فجاءه اعصار فيه نار فاحرق بستانه فلم يكن عندهم قوة ان سلب خيرا يعودون به عليه وكذلك الكافر يوم القيامة اذا ردا الى الله تعالى يوم القيامة ليس له خير فيستعتب كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجد خيرا قدم لنفسه يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا فى الدنيا كيف نجا المؤمن فى الآخرة وذخر له من الكرامة والنعيم وخزن عنه المال فى الدنيا وبسط للكافر فى الدنيا من المال ما هو منقطع وخزن له من الشر ما ليس يفارقه أبدا ويخلد فيها ما انا من أجل انه فخر على صاحبه ووثق بما عنده ولم يستيقن انه ملاق ربه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية قال هذا مثل ضربه الله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات والرجل قد كبر سنه وضعف وله أولاد صغار وابتلاهم الله فى جنتهم فبعث الله عليها اعصارا فيه نار فاحترقت فلم يستطع الرجل ان يدفع عن جنته من الكبر ولا ولده اصغرهم فذهبت جنته أحوج ما كان اليها يقول أيحب أحدكم أن يعيش فى الضلالة والمعاصى حتى يأتيه الموت فيجىء يوم القيامة قد ضل عنه عمله أحوج ما كان اليه فيقول ابن آدم أتيتنى أحوج ما كنت قط الى خير فاين ما قدمت لنفسك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ضرب ذلك مثلا فقال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب حتى بلغ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال حرث أنهارها وثمارها وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت أيود أحدكم هذا فما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى اذا كان له عندى جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده وولده أصابها ريح اعصار فحرقها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار رجل غرس بستانا فيه من كل الثمرات فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كبره ولم يستطع ذريته ان يدفعوا عن بستانه فذهبت معيشته ومعيشة ذريته فهذا مثل ضربه الله للكافر يقول يلقانى يوم القيامة وهو أحوج ما يكون الى خير يصيبه فلا يجد له عندى خيرا ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ وانما دللنا ان الذى هو أولى بتاويل ذلك ما ذكرناه لان الله جل ثناؤه تقدم الى عباده

الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما ذكرتا فى سياق النفى لهم أجرهم وقال فيما يجىء فلهم أجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنا لك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنا لك أنسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أى لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم أجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون أن المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتدادها احتجت المعتزلة بالآية من وجهين الاول أن العمل يوجب الاجر لقوله لهم أجرهم واجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى المؤمنين أن الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له أصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك أن يرد السائل بطريق أحسن وعدة حسنة ومغفرة عفو عن السائل اذا

وجد منه ما يثقل على المسؤل لانه اذا رد بغير مقصود فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان وقيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو عفو عن جهة السائل بان يعذر المسؤل اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها أذى لانه اذا تبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما يفوت ثواب النفع بعقاب الضرر وأما القول المعروف ففيه انفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى ومن

المؤمنين بالنهى عن المن والاذى فى صدقاتهم ثم ضرب مثلا لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة مثله بالمرائى من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظير ما ضرب لهم من المثل قبلها فكان الحاقها بنظيرتها أولى من حمل تاويلها على أنه مثل مالم يجر له ذكر قبلها ولا معها فان قال لنا قائل وكيف قيل وأصابه الكبر وهو فعل ماض فعطف به على قوله أيود أحدكم قيل ان ذلك كذلك لان قوله أيود يصح ان يوضع فيه لو مكان ان فلما صلحت بلو وان ومعناهما جميعا الاستقبال استجازت العرب ان يردوا فعل بتاويل لو على تفعل مع ان فلذلك قال فاصابها وهو فى مذهبه بمنزلة لو اذا ضارعت ان فى معنى الجزاء فوضعت فى مواضعها وأجيب ان بجواب لو ولو بجواب ان فكانه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات فان قال وكيف قيل ههنا وله ذرية ضعفاء وقال فى النساء وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قيل لان فعيلا يجمع على فعلاء وفعال فيقال رجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف وأما الاعصار فانه الريح العاصف تهب من الارض الى السماء كانها عمود تجمع أعاصير ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميرى

أناس أجاروا نافكان جوارهم أعاصير من سوء العراق المنذر

واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله اعصار فيه نار فاحترقت فقال بعضهم معنى ذلك ريح فيها سموم شديدة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبد الله بن يزيد قال ثنا يوسف بن خالد السمتى قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اعصار فيه نار ريح فيها سموم شديدة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فى اعصار فيه نار قال السموم الحارة التى خلق منها الجان التى تحرق **حدثنا** حميد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هى السموم الحارة **حدثنا** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ابن اسحق عن التيمى عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت التى تقتل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن ذكره عن ابن عباس قال ان السموم التى خلق منها الجان جزء من سبعين جزأ من النار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت هى ريح فيها سموم شديد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اعصار فيه نار قال سموم شديد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اعصار فيه نار يقول أصابها ريح فيها سموم شديدة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اعصار فيه نار فاحترقت أما الاعصار فالريح وأما النار فالسموم **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع اعصار فيه نار يقول ريح فيها سموم شديد * وقال آخرون هى ريح فيها برد شديد ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول فى قوله اعصار فيه نار فاحترقت فيها صر وبرد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك اعصار فيه نار فاحترقت يعنى بالاعصار ريح فيها برد ۞ القول فى تاويل قوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) يعنى بذلك جل ثناؤه كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى فى أمر النفقة فى سبيله وكيف وجهها لكم وما ليس لكم فعله فيها كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها ويوضح لكم حججها انعاما منه بذلك عليكم لعلكم

الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غنى عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذى وغير المؤذى مثلا فقال يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن ابن عباس المن على الله والاذى للفقير كالذى أى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس وهو أن يرائى بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة ويجوز أن تكون الكاف فى محل النصب على الحال أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذى ينفق فشمله الضمير اما أن يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه المان بالمرائى المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما أن يعود الى المان المؤذى على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر

 العظيم القطر والصلد الاجرد النقى ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذى ولعمل المنافق فان الناس يرون فى الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من

التراب وأما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة أوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى أزالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذى أو المنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح (٥٠) بذر في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا أصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شئ فيه ألا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور وأي لا يقدر أحد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين في قرن شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي اما لان من والذي متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه أشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة أنه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من أنفسهم قيل أي يوطنون أنفسهم على حفظ في هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها أمر ان الحياة العاجلة والمال فاذا

تتفكرون يقول لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكامها فتطيعوا الله به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري قال قال مجاهد لعلكم تتفكرون قال تطيعون **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) يعني جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله وآي كتابه ويعني بقوله أنفقوا زكوا وتصدقوا كما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول تصدقوا ۞ القول في تاويل قوله (من طيبات ما كسبتم) يعني بذلك جل ثناؤه وزكوا من طيب ما كسبتم بتصرفكم اما بتجارة واما بصناعة من الذهب والفضة ويعني بالطيبات الجياد يقول زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالا واعطوا في زكاتكم الذهب والفضة الجياد منها دون الردىء كما **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة **حدثني** موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد بن الحباب قال وأخبرني شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثني** حاتم بن بكر الضبي قال ثنا وهب عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال التجارة الحلال **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن معقل أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال ليس في مال المؤمن من خبيث ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون **حدثني** عصام بن داود بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا بن أبي طالب صلوات الله عليه عن قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من الذهب والفضة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من طيبات ما كسبتم قال التجارة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول من أطيب أموالكم وأنفسه **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال هذا من الذهب والفضة ۞ القول في تاويل قوله جل وعز (ومما أخرجنا لكم من الارض) يعني بذلك جل ثناؤه وأنفقوا أيضا مما أخرجنا لكم من الارض فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الارض كما **حدثني** عصام بن رواد قال ثني أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل ومما أخرجنا لكم من الارض قال يعني من الحب والثمر وكل شئ عليه زكاة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومما أخرجنا لكم من الارض قال النخل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومما أخرجنا لكم من الارض قال من ثمر النخل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة ومما أخرجنا لكم من الارض من الثمار **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ومما أخرجنا لكم من الارض قال هذا في التمر والحب ۞ القول

بذل ماله وروحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره فى الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد أنهم (٥١) يثبتون أنفسهم تثبيتا فى طلب المستحق وصرف المال فى وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا أنفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمئن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل أن يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد يظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورينها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء فى زكاتها عند الله كمثل جنة وهى البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشئ يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا فى المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كما أن الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان ذا البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة أرض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا على الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ماذكرنا ان هذا المثل فى مقابلة المثل الاول فكما أن الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغى أن تكون هذه الارض بحيث تربو

فى تاويل قوله جل وعز (ولا تيمموا الخبيث) يعنى بقوله جل ثناؤه ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا ولا تقصدوا وقد ذكر ان ذلك فى قراءة عبد الله ولا تاموا من أممت وهذه من تيممت والمعنى واحد وان اختلفت الالفاظ يقال تامت فلانا وتيممته وأممته بمعنى قصدته وتعمدته كما قال ميمون بن قيس الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه * من الارض من مهمه ذى شزن

وكما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تيمموا لا تعمدوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مثله ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) يعنى جل ثناؤه بالخبيث الردىء غير الجيد يقول لا تعمدوا الردىء من أموالكم فى صدقاتكم فتصدقوا منه ولكن تصدقوا من الطيب الجيد وذلك ان هذه الآية نزلت فى سبب رجل من الانصار علق قنوا من حشف فى الموضع الذى كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن ابن محمد بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى عن اسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب فى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض الى قوله والله غنى حميد قال نزلت فى الانصار كانت الانصار اذا كان أيام جداذ النخل أخرجت من حيطانها اقناء البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع اقناء البسر يظن ان ذلك جائز فانزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال لا تيمموا الحشف منه تنفقون حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط زعم السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب بنحوه الا انه قال فكان يعمد بعضهم فيدخل قنوا الحشف ويظن انه جائز عنه فى كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون القنو الذى قد حشف ولو أهدى لكم ما قبلتموه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عن البراء بن عازب قال كانوا يجيئون فى الصدقة بارد أتمرهم وأردأ طعامهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية حدثنى عصام بن رواد قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن ابن سيرين عن عبيدة السلمانى قال سألت عليا عن قول الله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فقال على نزلت هذه الآية فى الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد الى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية فاذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردىء فقال عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الجليل بن حميد اليحصبى ان ابن شهاب حدثه قال ثنى أبو أسامة بن سهل بن حنيف فى الآية التى قال الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال هو الجعرور ولون خبيق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ فى الصدقة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال كانوا يتصدقون يعنى من النخل بحشفه وشراره فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدقوا بطيبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله واعلموا أن الله غنى حميد ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائط ان على عهد نبى الله صلى الله عليه وسلم فيعمد الى أردئهما تمرا فيتصدق به ويخلط فيه من الحشف فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه حدثنا الحسن بن

وتنموفا تت أكلها أى ثمرتها ومايؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد منها وقيل مثلى مايكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القدر يصيبها ولا ينتقص شئ من ثمرها الكرم منبتها أو المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من أن تثمر قل أم كثر وكذلك من أخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وفرام نزر و يحتمل أن (٥٢) يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما أن كل

يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال تعمد الى ردئ لك مالك فتصدق به ولست بآخذه الا ان تغمض فيه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال كان الرجل يتصدق برذالة ماله فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون **حدثنا** المثنى قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنا عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فى الاقناء التى تعلق فرأى فيها حشفا فقال ماهذا قال ابن جريج سمعت عطاء يقول علق انسان حشفا فى الاقناء التى تعلق بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا يا سماعلق هذا فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال آخرون معنى ذلك ولا تيمموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون وتدعوا ان تنفقوا الحلال الطيب ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال الخبيث الحرام لا تتيممه تنفق منه فان الله عز وجل لا يقبل وتاويل الآية هو التأويل الذى حكيناه عن حكينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق أهل التأويل فى ذلك دون الذى قاله ابن زيد ۞ القول فى تاويل قوله (ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه) يعنى بذلك جل ثناؤه ولستم بآخذى الخبيث فى حقوقكم والهاء فى قوله بآخذيه من ذكر الخبيث الا ان تغمضوا فيه يعنى الا ان تجافوا فى أخذكم اياه عن بعض الواجب لكم من حقكم فترخصوا فيه لانفسكم يقال منه أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض ومن ذلك قول الطرماح بن حكيم

لم يغتنا بالوترقوم والضيم * رجال يرضون بالاغماض

واختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولستم بآخذى الردئ من غرمائكم فى واجب حقوقكم قبلهم الا عن اغماض منكم لهم فى الواجب لكم عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** عصام ابن رواد قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا عنه فقال ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول ولا ياخذ أحدكم هذا الردئ حتى يغمضه له **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لرجل على رجل فاعطاه ذلك لم ياخذه الا انه يرى انه قد نقصه من حقه **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تاخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه فذلك قوله الا ان تغمضوا فيه فكيف ترضون لى مالا ترضون لانفسكم وحتى عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها وهو قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لا تاخذونه من غرمائكم ولا فى بيوعكم الا بزيادة على الطيب فى الكيل **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وذلك ان رجالا كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر فكانوا يعطون الخشف فى الزكاة فقال لو كان بعضهم يطلب بعضا ثم قضاه لم ياخذه الا ان يرى انه قد أغمض عنه حقه **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان ذلك عليه هل كنت تاخذ ذلك منه الا وأنت له كاره **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله

واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازى بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثالا آخر فقال أيود أحدكم والهمزة للانكار البالغ أى لن يود وقرئ له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة أوصاف الاول كونها من نخيل وأعناب وكان الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولاشك ان ذلك يزيد فى رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب أولا بالذكر لانها أكرم الشجر أو أكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيهما كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف أى صبيان وأطفال فاصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت أى الجنة ولا يخفى ان هذا المثل فى المقصود أبلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك أوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا أصيب وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون فى قلبه من الحسرة وفى عينه من

يا أيها

الحسيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا أتبع الانفاق النفاق او المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذى يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة التأويل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون أرواحهم وقلوبهم فى سبيل الله فلهم الله ومن أعطى تمرة الى فقير يأخذها الله بيمينه ويربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله (٥٣) حتى تكون أعظم من الجبل

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله الا أن تغمضوا فيه قال كانوا حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة يجىء الرجل من المنافقين بارذأ طعام له من تمره وغيره فكره الله ذلك وقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض يقول لستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه الا وهو يعلم انه قد نقصه فلا ترضوا لى مالا ترضون لانفسكم فيأخذ شيأ وهو مغمض عليه انقص من حقه وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث اذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد الا بانغماض منهم لكم فى ثمنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن الحسن ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو وجدتموه فى السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم ثمنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لستم بآخذى هذا الردىء بسعر هذا الطيب الا أن يغمض لكم فيه * وقال آخرون معناه ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث لو أهدى لكم الا أن تغمضوا فيه فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى عن اسباط عن السدى عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أهدى لكم ما قبلتموه الا على استحياء من صاحبه انه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدى عن عدى بن ثابت عن البراء نحوه الا أنه قال على استحياء من صاحبه وغيظا أنه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى هذا الردىء من حقكم الا أن تغمضوا من حقكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولستم بآخذيه يقول ولستم بآخذيه من حق هو لكم الا أن تغمضوا فيه يقول أغمض لك من حقى * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذى الحرام الا أن تغمضوا على ما فيه من الاثم عليكم فى أخذه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال يقول لست آخذ ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الاثم قال وفى كلام العرب أما والله لقد أخذه ولقد أغمض على ما فيه وهو يعلم انه حرام باطل * والذى هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل حث عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها فصار ما فرض من ذلك فى أموالهم حقا لاهل السهمان الصدقة ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيب وهو الجيد من أموالهم الطيب وذلك ان أهل السهمان شركاء أرباب الاموال فى أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها فلا شك ان كل شريكين فى مال فلكل واحد منهما بقدر ملكه وليس لاحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذى هو فيه شريكه باعطائه بمقدار حقه منه من غيره مما هو أردأ منه أو أحسن فكذلك المزكى ماله حرم الله عليه أن يعطى أهل السهمان مما وجب لهم فى ماله من الطيب الجيد من الحق فصار وافيه شركاءه من الخبيث الردىء غيره ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم فى الطيب من ماله الجيد كما لو كان مال رب المال رديا كله غير جيد فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذى منه حقهم فقال تبارك وتعالى لارباب الاموال الزكوا من جيد أموالكم الجيد ولا تيمموا الخبيث الردىء تعطونه أهل سهمان الصدقة وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب فى أموالكم ولستم بآخذى الردىء لانفسكم مكان الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم الا عن انغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لاخذه يقول ولا تأتوا من الفعل

فمن أعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين أصبعى جلاله حتى يصير أعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايتاء صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وأرباب الصدق للقيام بامورهم فى تشفى مافى صدورهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا لينصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله فى طلبه لا فى طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناعلى الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لى عليك الاجر ولا أذى بان يطلب من الله غير الله رأى أحمد بن خضرويه ربه فى المنام فقال له كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى لهم أجرهم عند ربهم نزلهم فى مرتبة العندية عند ملك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله فى طلب المعروف ومغفرته وان لم

يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل أذى طلب غير الحق من الحق والله غنى عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار فى الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل على حقوقه فى الاعمال فما

ذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء أي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغنى لان الفقير يأخذ منه الدنيا ويعطيه الآخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لانفق للآخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فاصابه وابل هو وابل الردا نا أغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شئ مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلب شهود جماله فحرموا عن دولة وصاله وتثبيتا من أنفسهم وتخليصا لقيامهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ أنفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق أصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الا لها مات فاتت أكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي أهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي أهل الدنيا نصيبا من الآخرة فكذلك يعطي أهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطي أهل الآخرة مالا هل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضاة أو لاستيفاء اللذات من واستبقاء الحياة ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في أحسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها انهار

الى من وجب له في أموالكم حق مالا ترضون من غيركم أن يأتيه اليكم في حقوقكم الواجبة لكم في أموالهم فاما اذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة فاني وان كرهت له أن يعطي فيها الا أجود ماله وأطيبه لان الله عز وجل أحق من يقرب اليه باكرم الاموال وأطيبها والصدقة قربان المؤمن فلست أحرم عليه أن يعطي فيها غير الجيد لان ما دون الجيد بما كان أعم نفعا لكثرته أو لاعظم خطره وأحسن موقعا من المسكين وممن أعطيه قربة الى الله عز وجل من الجيد لقلته أو لاصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه ومثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل العلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال ذلك في الزكاة الدرهم الزائف أحب الي من التمرة **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سالت عبيدة عن ذلك فقال انما ذلك في الزكاة والدرهم الزائف أحب الي من التمرة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين قال سالت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه فقال عبيدة انما هذا في الواجب ولا باس أن يتطوع الرجل بالتمرة والدرهم الزائف خير من التمرة **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال انما هذا في الزكاة المفروضة فاما التطوع فلا باس أن يتصدق الرجل بالدرهم الزائف والدرهم الزائف خير من التمرة ۞ القول في تاويل قوله (واعلموا أن الله غني حميد) يعني بذلك جل ثناؤه واعلموا أيها الناس ان الله عز وجل غني عن صدقتكم وعن غيرها وانما أمركم بها وفرضها في أموالكم رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم ويقوي بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم لا من حاجة به فيها اليكم ويعني بقوله حميد انه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه وبسط لهم من فضله كما **حدثني** الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن اسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب في قوله والله غني حميد عن صدقاتكم ۞ القول في تاويل قوله (الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) يعني بذلك تعالى ذكره الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأداء الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ويامركم بالفحشاء يعني ويامركم بمعاصي الله عز وجل وترك طاعته والله يعدكم مغفرة منه يعني ان الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون وفضلا يعني ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم من أرزاقكم كما **حدثنا** محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال اثنان من الله واثنان من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر يقول لا تنفق مالك وامسكه عليك فانك تحتاج اليه ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلا في الرزق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا يقول مغفرة لفحشائكم وفضلا لفقركم **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله

الهداية وأصاب لصاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية فى غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من أعمال البر فيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى احسانه معكم بابتداء الاستعداد (٥٥) الفطرى فلا تبطلوه بقبيح فعالكم

من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشر ابن سليمان قال ثنا عمرو عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال ان للانسان من الملك لمة ومن الشيطان لمة فاللمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق واللمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وتلا عبد الله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال عمرو سمعنا فى هذا الحديث أنه كان يقال اذا أحس أحدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله وليسأله من فضله واذا أحس من لمة الشيطان شيأ فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى الاحوص أو عن مرة قال قال عبد الله الا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وذلكم بان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم فاذا وجدتم من هذه شيأ فاحمدوا الله عليه واذا وجدتم من هذه شيأ فتعوذوا بالله من الشيطان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود فى قوله الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجدها فليحمد الله ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجدها فليستعذ بالله **حدثنى** المثنى بن ابراهيم قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمدانى أن ابن مسعود قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاده بالشر وتكذيب بالحق فمن أحس من لمة الملك شيأ فليحمد الله عليه ومن أحس من لمة الشيطان شيأ فليتعوذ بالله منه ثم تلا هذه الآية الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن قطر عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة عن عبد الله بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مرة بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال ان للشيطان لمة وللملك لمة فاما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وايعاد بالشر وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله وليحمد الله عليه ومن وجد الاخرى فليستعذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ۞ القول فى تاويل قوله (والله واسع عليم) يعنى تعالى ذكره والله واسع الفضل الذى يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التى تنفقون وتصدقون بها يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه فى آخرتكم ۞ القول فى تاويل قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يعنى بذلك جل ثناؤه يؤتى الله الاصابة فى القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة فى ذلك منهم فقد أوتى خيرا كثيرا * واختلف أهل التاويل فى ذلك فقال بعضهم الحكمة التى ذكرها الله فى هذا الموضع هى القرآن والفقه به ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا يعنى المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يؤتى الحكمة من يشاء قال الحكمة القرآن والفقه فى القرآن **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا والحكمة الفقه فى القرآن **حدثنا** محمد بن عبد الله الهلالى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا مهدى بن ميمون قال ثنا

ولا تضيعوا أعمالكم فى طلب آمالكم وتستعدوا للموت قبل حلول آجالكم والله المستعان وهو حسبى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) القراآت ولا تيمموا بتشديد الياء ومد الالف البزى وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب أى من يؤتيه الله الباقون بالفتح فنعما هى ساكنة العين أبو عمرو والمفضل

ويحيى وأبو جعفر ونافع غير ورش فنعماهي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخراز الباقون فنعما هيَ بكسر النون والعين والميم مشددة في القراآت ونكفر بالنون والراء ساكنة أبو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون (٥٦) ورفع الراء يحسبهم وبابه بفتح السين ابن عامر وزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة

يسيماهم بالامالة حمزة وعلي وابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى * الوقوف من الارض ز لعطف المتفقتين نغمضوا فيه ط جيده بالفحشاء ج وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق فضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل أجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط أنصار ه فنعما هي ج خيرا لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون أو الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خيرا لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا يظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من أحصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استئنافا والحال أوجه أي يحسبهم الجاهل أغنياء وأنت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحاف وقد يجعل لا يسئلون استئنافا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه * التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد منهما مثلا ذكر بعد ذلك أن المال الذي أمر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب أن يكون فقال أنفقوا من طيبات

شعيب بن الحبحاب عن أبي العالية ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الكتاب والفهم فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله يؤتي الحكمة من يشاء الآية قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفقه في القرآن * وقال آخرون يعني بالحكمة الاصابة في القول والفعل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا قال ومن يؤت الحكمة قال الاصابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء قال يؤتي الاصابة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يؤتي الحكمة من يشاء قال الكتاب يؤتي اصابته من يشاء * وقال آخرون هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتي الحكمة من يشاء العقل في الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك وما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له * وقال آخرون الحكمة الفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان عن أبي حمزة عن ابراهيم قال الحكمة هي الفهم * وقال آخرون هي الخشية ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة الخشية لان رأس كل شئ خشية الله وقرأ انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال آخرون هي النبوة ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة هي النبوة وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وانها ما خوذة من الحكم وفصل القضاء وانها الاصابة بما دل على صحته فاغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع فاذا كان ذلك كذلك معناه كان جميع الاقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لان الاصابة في الامور انما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة واذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما وكان النبوة من أقسامه لان الانبياء مسددون مغهمون وموفقون لاصابة الصواب في الامور والنبوة بعض معاني الحكمة فتاويل الكلام يؤتي الله اصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا ۞ القول في تاويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعني بذلك جل ثناؤه وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها وفي غيرها من آي كتابه فيذكر وعده ووعيده فيها فينزجر عما زجره عنه ربه ويطيعه فيما أمره به الا أولوا الالباب يعني الا أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه فاخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة الا أولي الحجا والحلوم وأن الذكرى غير ناهية الا أهل النهى والعقول ۞ القول في تاويل قوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار) يعني بذلك جل ثناؤه وأي نفقة أنفقتم يعني أي صدقة تصدقتم أو أي نذر نذرتم يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله وتقربا به اليه من صدقة أو عمل خير فان الله يعلمه أي ان جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شئ ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذوره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب

ما كسبتم ومما أخرجنا أى من طيبات ما أخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن أن المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على أن ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكاة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن على والحسن ومجاهد أن بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه فى الصدقة

وأليم العذاب كالذى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ويحصيه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ونذوره طاعة للشيطان فقال وما للظالمين من أنصار يعنى ومالمن أنفق ماله رياء الناس وفى معصية الله وكانت نذوره للشيطان وفى طاعته من أنصار وهم جمع نصير كالاشراف جمع شريف ويعنى بقوله من أنصار من ينصرهم من الله يوم القيامة فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ولا بفدية وقد دل الناعلى أن الظالم هو الواضع للشئ فى غير موضعه وانما سمى الله المنفق رياء الناس والناذر فى غير طاعته ظالما لوضعه انفاق ماله فى غير موضعه ونذره فى غير ماله وضعه فيه فكان ذلك ظلما فان قال لنا قائل فكيف قال فان الله يعلمه ولم يقل يعلمهما وقد ذكر النذر والنفقة قيل انما قال فان الله يعلمه لانه أراد فان الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم فلذلك وحد الكناية ۞ القول فى تاويل قوله (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) يعنى بقوله جل ثناؤه ان تبدوا الصدقات ان تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعما هى يقول فنعم الشئ هى وان تخفوها يقول وان تسروها فلم تعلنوها وتؤتوها الفقراء يعنى وتعطوها الفقراء فى السر فهو خير لكم يقول فاخفاؤكم اياها خير لكم من اعلانكم اوذلك فى صدقة التطوع كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم كل مقبول اذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل وذكر لنا ان الصدقة يطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال كل مقبول اذا كانت النية صادقة والصدقة فى السر أفضل وكان يقول ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم يجعل الله صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بقال بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل والاشياء كلها **حدثنى** عبد الله بن محمد الحنفى قال ثنا عبد الله بن عثمان قال ثنا عبد الله ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال يقول هو سوى الزكاة * وقال آخرون انما عنى الله عز وجل بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى ان تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو خير لكم قالوا وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوع فاخفاؤه أفضل من علانيته ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الرحمن بن شريح انه سمع يزيد بن أبى حبيب يقول انما نزلت هذه الآية ان تبدوا الصدقات فنعما هى فى الصدقة على اليهود والنصارى **حدثنى** عبد الله بن محمد الحنفى قال أخبرنا عبد الله بن عثمان قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال كان يزيد بن ابى حبيب يأمر بقسم الزكاة فى السر قال عبد الله أحب أن تعطى فى العلانية يعنى الزكاة ولم يخصص الله من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى فذلك على العموم الا ما كان من زكاة واجبة فان الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على ان الفضل فى اعلانه واظهاره سوى الزكاة التى ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع اجماع جميعهم على انها واجبة فحكمها فى ان الفضل فى أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها ۞ القول فى تاويل قوله

لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط و يتفرع على قول الوجوب وجوب الزكاة فى كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكاة التجارة وزكاة الذهب والفضة وزكاة النعم وزكاة كل ما ينبت من الارض الا أن العلماء خصصوها بالاقوات لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة فى أربعة فى التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفى الزكاة فى غير الاربعة لكن ثبت أخذ الزكاة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكاة فى الاقوات دون غيرها ولا يكفى فى وجوب الزكاة كون الشئ مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعى بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش

لا زكاة فيها لان الناس لا يتعهدونها وأيضا لا تجب الزكاة فى القوت ما لم يبلغ خمسة أوسق وبه قال مالك وأحمد لرواية أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وقال أبو حنيفة يجب العشر فى القليل والكثير استدلالا بعموم الآية وتفصيل الكلام فى الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منهما مشهور

مذكور فى الفروع فلذلك واطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب فى الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردى على ما مر فى سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة أموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز أخذه بالاغماض وبغيره والآية دالت على جواز أخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد أن الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم بآخذيه وأنتم تعلمون أنه محرم الا أن ترخصوا لانفسكم أخذ الحرام ولا تبالوا من أى وجه أخذتم المال من حلاله أو من حرامه ويحتمل أن يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة أيضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم أن المال الزكوى ان كان كله شريفا وجب أن يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان المأخوذ فى هذه الحال لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان فى المال جيد وردىء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكاة من ردىء مالك ولا تكلف أيضا جيدا لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم وإياك وكرائم أموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق فى الآية التطوع أو هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى أن يتقربوا اليه بأفضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممته وتأممته كله بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم أن المنهى عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه أى اذا كان فى المال طيب وخبيث ويحتمل أن يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم

(ونكفر عنكم من سيآتكم) اختلف القراء فى قراءة ذلك فروى عن ابن عباس انه كان يقرؤه وتكفر عنكم بالتاء ومن قرأه كذلك فانه يعنى به وتكفر الصدقات عنكم من سيآتكم وقرأ آخرون ويكفر عنكم بالياء بمعنى ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر فى الآية من سيآتكم وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف يعنى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم بمعنى مجازاة الله عز وجل بخفى الصدقة تكفير بعض سيآته بصدقته التى أخفاها وأولى القراآت فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف على معنى الخبر من الله عن نفسه انه يجازى المخفى صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيآته واذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء فى قوله فهو خير لكم لان الفاء هنا لك حلت محل جواب الخبر فان قال لنا قائل وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام فى النسق على جواب الخبر الرافع وانما الجزم تجويز قيل اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه ان التكفير أعنى تكفير الله من سيئات المصدق لا محالة داخل فيما وعد الله المصدق ان يجازيه به على صدقته لان ذلك اذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة ولو رفع كان قد يحتمل ان يكون داخلا فيما وعده الله ان يجازيه به وان يكون خبرا مستأنفا انه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم لان ما بعد الفاء فى جواب الجزاء استئناف فالمعطوف على الخبر المستأنف فى حكم المعطوف عليه فى انه غير داخل فى الجزاء ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفا به على موضع الفاء من قوله فهو خير لكم وقراءته بالنون فان قال قائل وما وجه دخول من فى قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم قيل وجه دخولها فى ذلك بمعنى ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التى يخفيها المتصدق فيجترؤا على حدوده ومعاصيه وقال بعض نحوى البصرة معنى من الاسقاط من هذا الموضع ويتأول معنى ذلك ونكفر عنكم سيئاتكم ۞ القول فى تأويل قوله (والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه والله بما تعملون فى صدقاتكم من اخفائها واعلان واسرار بها واجهار وفى غير ذلك من أعمالكم خبير يعنى بذلك ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو بجميعه محيط وكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يعنى تعالى ذكره ليس عليك هداهم يا محمد هدى المشركين الى الاسلام فتمنعهم صدقة التطوع ولا تعطيهم منها ليدخلوا فى الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله هو يهدى من يشاء من خلقه الى الاسلام فيوفقهم له فلا تمنعهم الصدقة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن شعبة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين فنزلت وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله فتصدق عليهم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو داود عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن سعيد بن جبير قال كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين حتى نزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لانسابهم من المشركين فنزلت ليس

لا تأخذونه فى حقوقكم الا بالاغماض وهو غض البصر وا طباق جفن على جفن وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبائع أغمض أى لا تستقص كأنك لا تبصر وأصله ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا أى لو أهدى لكم مثل هذه الاشياء لما أخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لى (٥٩) مالا ترضونه لانفسكم ويحتمل أن يراد الا اذا أغمضتم بصر البائع أى كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه فى السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم حميد محمود على ما أنعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدى أو حامدا شاكرا على انفاقكم كقوله فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب فى أجود ما يملكه الانسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر أما الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل فى الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن أن يكون استعماله فى الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وأصل الفقر فى اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو ان يبذل كل ماله فى سبيل الله والطرف الافحش ان لا ينفق شيأ الا الجيد ولا الردى، والوسط أن يبخل بالجيد وينفق الردى، فالشيطان اذا أراد نقله من الافضل الى الافحش فمن خفى حيلته أن يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو أمره بالفحشاء وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يمكنه أن يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هى التخويف بالفقر اذا أنفق الجيد من

عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء فرخص لهم **حدثنا** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اناس من الانصار لهم أنساب وقرابة من قريظة والنضير وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدون أن يسلموا فنزلت ليس عليك هداهم الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا ان رجالا من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم قالوا أنتصدق على من ليس من أهل ديننا فانزل الله فى ذلك القرآن ليس عليك هداهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء قال كان الرجل من المسلمين اذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدق عليه يقول ليس من أهل دينى فانزل الله عز وجل ليس عليك هداهم الآية **حدثنى** محمد قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعنى المشركين وأما النفقة فبين أهلها **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال كانوا يتصدقون كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون قال هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه انما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك ۞ القول فى تاويل قوله (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا) أما قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله فبيان من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها ومعنى الكلام وما تنفقوا من خير فلانفسكم تنفقون للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله واللام التى فى الفقراء مردودة على موضع اللام فى فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير يعنى به وما تتصدقوا به من مال فللفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله فلما اعترض فى الكلام بقوله فلانفسكم فادخل الفاء التى هى جواب الجزاء فيه ترك اعادتها فى قوله للفقراء اذ كان الكلام مفهوما معناه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعنى المشركين وأما النفقة فبين أهلها فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله وقيل ان هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله فى هذه الآية فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله مهاجرى قريش بالمدينة مع النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة عليهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قوله للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله الآية قال هم فقراء المهاجرين بالمدينة **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله قال فقراء المهاجرين ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (الذين أحصروا فى سبيل الله) يعنى تعالى ذكره بذلك الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرون أنفسهم فيحبسونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرفا وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الاحصار تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاد عدوه وغير ذلك من علله الى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف فى أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك بنحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الذين أحصروا فى سبيل الله قال أحصروا أنفسهم

ماله فاذا أطاعه زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى أن يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكاة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة (٦٠) اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول أولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه ووعد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة أخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو موهم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول وأيضا لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها ألم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم لاسيما وقد قرن به لفظة منه فانه غاية كرمه ونهاية جوده مما يجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل أن يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في آية أخرى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أو ان يجعل شفيعا في تعرفهم غفران ذنوب اخوانه المؤمنين وأما الفضل فيحتمل أن يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك أن المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي

في سبيل الله للغزو حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال كانت الارض كلها كفرا لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغي من فضل الله اذا خرج خرج في كفر وقيل كانت الارض كلها حربا على أهل هذا البلد وكانوا لا يتوجهون جهة الا لهم فيها عدو فقال الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية كانوا ههنا في سبيل الله وقال آخرون بل معنى ذلك الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرف ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله حصرهم المشركون في المدينة ولو كان تاويل الآية على ما تاوله السدي لكان الكلام للفقراء الذين حصروا في سبيل الله ولكنه أحصروا فدل ذلك على ان خوفهم من العدو الذي صير هؤلاء الفقراء الى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم لا ان العدو هم كانوا الحابسهم وانما يقال لمن حبسه العدو حصره العدو واذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل أحصره خوف العدو ۞ القول في تاويل قوله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني بذلك جل ثناؤه لا يستطيعون تقلبا في الارض وسفرا في البلاد ابتغاء المعاش وطلب المكاسب فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدو وخوفا على أنفسهم منهم كما حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا يستطيعون ضربا في الارض حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدو فلا يستطيعون تجارة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا يستطيعون ضربا في الارض يعني التجارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله لا يستطيعون ضربا في الارض كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فضل الله ۞ القول في تاويل قوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) يعني بذلك يحسبهم الجاهل بامرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسئلة وتركهم التعرض لما في أيدي الناس صبرا منهم على البأساء والضراء كما حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ويعني بقوله من التعفف من ترك مسئلة الناس وهو التفعل من العفة عن الشئ والعفة عن الشئ تركه كما قال رؤبة * يعف عن اسرارها بعد الغسق * يعني يرئ وتجنب ۞ القول في تاويل قوله (تعرفهم بسيماهم) يعني بذلك جل ثناؤه تعرفهم يا محمد بسيماهم يعني بعلامتهم وآثارهم من قول الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود وهذه لغة قريش ومن العرب من يقول بسيمائهم فيمدها وأما ثقيف وبعض أسد فانهم يقولون بسيماهم ومن ذلك قول الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر

وقد اختلف أهل التاويل في السيما التي أخبر الله جل ثناؤه انهم الهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم وانهم يعرفون بها فقال بعضهم هو التخشع والتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعرفهم بسيماهم قال التخشع حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث قال كان مجاهد يقول هو التخشع وقال آخرون يعني بذلك تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي تعرفهم بسيماهم بسيما الفقر عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعرفهم بسيماهم يقول تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة وقال آخرون معنى ذلك تعرفهم برثاثة ثيابهم وقالوا الجوع خفي ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد

واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق أولى وأفضل وأيضا متى حصلت ملكة الانفاق زال عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وأيضا مهما عرف من الانسان انه منفق كانت الهمم معقودة على أن يفتح الله عليه أبواب الرزق ولمثل ذلك من التأثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للمخلف قادر على انجاز

تعرفهم بسيماهم قال السيما رثاثة ثيابهم والجوع خفي على الناس ولم يستطع الثياب التي يخرجون فيها تخفي على الناس وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان فيعرفهم وأصحابه بها كما يدرك المريض فيعلم انه مريض بالمعاينة وقد يجوز ان تكون تلك السيما كانت تخشعا منهم وان تكون كانت أثر الحاجة والضر وان تكون كانت رثاثة الثياب وأن تكون كانت جميع ذلك وانما تدرك علامات الحاجة وآثار الضر في الانسان ويعلم انها من الحاجة والضر بالمعاينة دون الوصف وذلك ان المريض قد يضرب به في بعض أحوال مرضه من المرض نظير آثار المجهود من الفاقة والحاجة وقد يلبس الغني ذو المال الكثير الثياب الرثة فيتزيا بزي أهل الحاجة فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختل ذو فاقة وانما يدرى ذلك عند المعاينة بسيماه كما وصفهم الله نظير ما يعرف انه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته ۞ القول في تأويل قوله (لا يسئلون الناس الحافا) يقال قد ألحف السائل في مسئلته اذا ألح فهو يلح فيها الحاحا فان قال قائل فكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير الحاف قيل غير جائز أن يكون كانوا يسئلون الناس شيأ على وجه الصدقة الحافا وغير الحاف وذلك ان الله عز وجل وصفهم بانهم كانوا أهل تعفف وانهم انما كانوا يعرفون بسيماهم فلو كانت المسئلة من شانهم لم تكن صفتهم التعفف ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم الى علم معرفتهم بالادلة والعلامة حاجة وكانت المسئلة الظاهرة تنبي عن حالهم وأمرهم وفي الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن هلال بن حصن عن أبي سعيد الخدري قال أعوز نا مرة فقيل لي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانطلقت اليه معتفا فكان أول ما واجهني به من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه ومن سألنا لم نذخر عنه شيأ نجده قال فرجعت الى نفسي فقلت ألا أستعف فيعفني الله فرجعت فما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا الا من عصم الله الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسئلة من الشخص الواحد وان من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسئلة الحافا وغير الحاف فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فما وجه قوله لا يسئلون الناس الحافا وهم لا يسئلون الناس الحافا وغير الحاف قيل له وجه ذلك ان الله تعالى ذكر ما وصفهم بالتعفف وعرف عباده أنهم ليسوا أهل مسئلة بحال بقوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وأنهم انما يعرفون بالسيما زاد عباده ابانة لامرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال عنهم وقال كما قد بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل قلما رأيت مثل فلان ولعله لم ير مثله أحدا ولا نظير او نحو الذي قلنا في معنى الالحاف قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يسئلون الناس الحافا قال لا يلحفون في المسئلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يسئلون الناس الحافا قال هو الذي يلح في المسئلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسئلون الناس الحافا ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله يحب الحليم الغني المستعفف ويبغض الغني الفاحش البذي السائل الملحف قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فاذا شئت رأيته في قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته حتى يلقي حنقه على فراشه لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته نصيبا واذا شئت رأيته ذا مال في شهوته ولذاته وملاعبه وبعده عن حق الله

ما وعد عليه بحال من أنفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما ترجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلوم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات

الحاصلة منها واعلم أن كمال الانسان في شيئين أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ورجع الثاني الى فعل العدل والصواب ولذلك سال ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية وألحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام اني أنا الله لا اله الا أنا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى عليه السلام انه قال اني

عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وكلها النظرية وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وجميعها العملية وقال في حق محمد فاعلم أنه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا وانه الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة

العملية فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنخلة من النخل ورجل حكيم اذا كان ذا مجاولب واصابة رأي فعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فيهما يفرق كل أمر حكيم أي محكوم وفي الآية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هي بايتاء الله تعالى والذين جعلوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا الا ان وسعوا الدائرة اذ لابد من الانتهاء اليه ان سلكوا وما يذكر الا أولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى أنفسهم بل يرقون الى أسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول وأما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ماله وما عليه وعند ذلك تقدم أو تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية الاخلاص أو الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيأ منها فقال وما أنفقتم من نفقة لله أو للشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو معصيته فان الله يعلمه وتذكير يا كلون الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه وأصله من الخوف كأنه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده ومنه الانذار بلاغ مع تخويف واعلم أن النذر قسمان

وكثرت بذلك اضاعة المال وان شئت رأيته باسطا ذراعيه يسأل الناس في كفيه فاذا أعطى أفرط في جدهم وان منع أفرط في ذمهم القول في تاويل قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر عن أيمن بن نائل قال حدثني شيخ من غافق ان أبا الدرداء كان ينظر الى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن فيقول أهل هذه يعني الخيل من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقال آخرون عنى بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله في غير اسراف ولا تقتير ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم الى قوله ولا هم يحزنون هؤلاء أهل الجنة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الا من قال المكثرون هم الاسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال حتى خشوا أن تكون قد مضت فليس لها رد حتى قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وهكذا بين يديه وهكذا خلفه وقليل ما هم هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله التي افترض وارتضى في غير سرف ولا املاق ولا تبذير ولا فساد وقد قيل ان هذه الآيات من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كان مما يعمل قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات فلما نزلت براءة قصروا عليها ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات اليها ۞ القول في تاويل قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) يعني بذلك جل ثناؤه الذين يربون والارباء الزيادة على الشيء يقال منه أربى فلان على فلان اذا زاد عليه يربي ارباء والزيادة هي الربا وربا الشيء اذا زاد على ما كان عليه فعظم فهو يربو ربوا وانما قيل للربية لزيادتها في العظم والاشراف على ما استوى من الارض مما حولها من قولهم ربا يربو ومن ذلك قيل فلان في ربا قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم فاصل الربا الاناقة والزيادة ثم يقال أربى فلان أي أبان صيره زائدا وانما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا أو لزيادته عليه فيه لسبب الاجل الذي يؤخره اليه فيزيد الى أجله الذي كان له قبل حل دينه ولذلك قال جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة ومثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في الربا الذي نهى الله عنه كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان ربا أهل الجاهلية بيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخر عنه فقال جل ثناؤه للذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبطه الشيطان في الدنيا وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس يعني من الجنون ومثل ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين

نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر أما الاول فهو أن يمنع نفسه من الفعل أو يحثه عليه بتعليق التزام قربة بالفعل أو الترك كقوله ان كلمت فلانا أو فعلت كذا أو دخلت الدار أو لم أخرج من البلد فلله على صوم شهر او صلاة أو حج أو اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه أو دخل أو لم يخرج فللعلماء ثلاثة أقوال أحدها يلزمه الوفاء بما التزم والثانى وهو الاصح أن عليه كفارة يمين لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة وأما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة فى مقابلة حدوث نعمة أو اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضى أو رزقنى ولدا فلله على ان أعتق رقبة أو أصوم أو أصلى كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التبرع وهو ان يلتزم ابتداء غير معلق على شئ كقوله لله على ان أصوم أو أصلى أو أعتق فالاصح أنه يصح ويلزم الوفاء به لاطلاق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصى واما الطاعات واما المباحات فالمعاصى كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم أيام الحيض ونذر قراءة القرآن فى حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر فى معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد أو ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه أن يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج

يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره **حدثنا** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس الآية قال يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الآية وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة بعثوا وبهم خبل من الشيطان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هو التخبل الذى يتخبله الشيطان من الجنون **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان وهى فى بعض القراءة لا يقومون يوم القيامة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطا كالذى يتخبطه الشيطان من المس **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يعنى من الجنون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هذا مثلهم يوم القيامة لا يقومون يوم القيامة مع الناس الا كما يقوم الذى يخنق مع الناس يوم القيامة كأنه خنق كأنه مجنون ومعنى قوله يتخبطه الشيطان من المس يتخبله من مسه اياه يقال منه قد مس الرجل والق فهو ممسوس ومالوق كل ذلك اذا ألم به اللمم فجن ومنه قول الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا ومنه قول الاعشى

وتصبح عن غب السرى وكأنما * ألم بها من طائف الجن أولق

فان قال لنا قائل أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا فى تجارته ولم يأكله أيستحق هذا الوعيد من الله قيل نعم وليس المقصود من الربا فى هذه الآية الاكل الا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم وما كلهم من الربا فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ومقبحا اليهم الحال التى هم عليها فى مطاعمهم وفى قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله الآية ما بين على صحة ما قلنا فى ذلك وان التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الربا وان سواء العمل به وأكله وأخذه واعطاؤه كالذى تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه اذا علموا به ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا) يعنى بذلك جل ثناؤه ذلك الذى وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذى يتخبطه الشيطان من المس من الجنون فقال تعالى ذكره هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حل بهم من أجل أنهم كانوا فى الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذى أحله الله لعباده مثل الربا وذلك ان الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريمه الحق زدنى فى الاجل وأزيدك فى مالك فكان يقال لهما اذا فعلا

وأما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا أو غير معلق وكذا لو نذر أن لا يشرب الخمر ولا يزنى واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح وأما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهى التى وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فتلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلاة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات

التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفى الصلاة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم أيضا وكما يلزم أصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلاة بشرط طول القراءة أو الركوع أو السجود أو الحج (٦٤) بشرط المشى اذا جعلناه أفضل من الركوب وهو الاصح ولو أفرد الصفة بالالتزام

والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود أو القراءة فى الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها وأما الاعمال والاخلاق المحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها أيضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها وأما المباحات التى لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها أو تركها لم ينعقد نذره وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما فى الشمس فسأل عنه فقالوا نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله على نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو للرياء أو لا يفون بالنذور أو ينذرون فى المعاصى من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كاصحاب فى صاحب أو قالت جمع نصير كاشراف فى شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا فى نفى الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر وردبان الشفيع فى العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وأيضا ان هذا الدليل النافى عام فى حق كل الظالمين وفى كل الاوقات

ذلك هذا ربا لا يحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا فى أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله فى قيلهم فقال وأحل الله البيع ۞ القول فى تاويل قوله (وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى جل ثناؤه وأحل الله الارباح فى التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعنى الزيادة التى يزادرب المال بسبب زيادته غريمه فى الاجل وتاخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تاخير المال والزيادة فى الاجل سواء وذلك أنى حرمت احدى الزيادتين وهى التى من وجه تاخير المال والزيادة فى الاجل وأحللت الاخرى منهما وهى التى من وجه الزيادة على رأس المال الذى ابتاع به البائع سلعته التى يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لانى أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمرى والخلق خلقى أقضى فيهم ما أشاء واستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض فى حكمى ولا أن يخالف أمرى وانما عليهم طاعتى والتسليم لحكمى ثم قال جل ثناؤه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى يعنى بالموعظة التذكير والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آى القرآن وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب يقول جل ثناؤه فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه فله ما سلف يعنى ما أكل وأخذ فضى قبل مجىء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك وأمره الى الله يعنى وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم وبعد انتهاءه ما أكله عن أكله الى الله فى عصمته وتوفيقه ان شاء عصمه عن أكله وثبته فى انتهائه عنه وان شاء خذله عن ذلك ومن عاد يقول ومن عاد لاكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة من الله بالتحريم من قوله انما البيع مثل الربا فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعنى فقاءلوذلك وقائلوه هم أهل النار يعنى نار جهنم فيها خالدون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله أما الموعظة فالقرآن وأما ما سلف فله ما أكل من الربا ۞ القول فى تاويل قوله (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يعنى عز وجل بقوله يمحق الله الربا يبغض الله الربا فيذهبه كما حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يمحق الله الربا قال ينقصه وهذا الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الربا وان كثر فالى قل وأما قوله ويربى الصدقات فانه جل ثناؤه يعنى أنه يضاعف أجرها لربها وينميها له وقد بينا معنى الربا قبل والارباء وما أصله بما فيه الكفاية من اعادتها فان قال لنا قائل وكيف ارباء الله الصدقات قيل اضعافه الاجر لربها كما قال جل ثناؤه مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة وكما قال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وكما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا عباد بن منصور عن القاسم انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربى الصدقات حدثنى سليمان بن عمر بن خالد الاقطع قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد عن أبى هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله عز وجل يقبل الصدقة ولا يقبل الا الطيب حدثنى محمد بن عمرو بن على المقدمى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عباد عن القاسم عن عائشة

والدليل المثبت للشفاعة خاص فى حق البعض وفى بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وأيضا اللفظ لا يكون قاطعا فى الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوى فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها الا الطيب وربيها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل يمحق الله الربا ويربى الصدقات **حدثنى** محمد بن عبد الملك قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه وياخذها بيمينه ويربيها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله أو قال فى كف الله عز وجل حتى تكون مثل أحد فتصدقوا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن إسليمان قال سمعت يونس عن صاحب له عن القاسم بن محمد قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ولا يقبل منها الا ما كان طيبا والله يربى لاحدكم لقمته كما يربى أحدكم مهره وفصيله حتى يوافى بها يوم القيامة وهى أعظم من أحد وأما قوله والله لا يحب كل كفار أثيم فانه يعنى به والله لا يحب كل مصر على كفر مقيم عليه مستحل أكل الربا واطعامه أثيم متمادى فى الاثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوى عنه ولا يتعظ بموعظة ربه التى وعظه بها فى تنزيله وآى كتابه ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا خبر من الله عز وجل بان الذين آمنوا يعنى الذين صدقوا بالله ورسوله وبما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه وعملوا الصالحات التى أمرهم الله عز وجل بها والتى ندبهم اليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأدوها بسننها وآتوا الزكاة المفروضة عليهم فى أموالهم بعد الذى سلف منهم من أكل الربا قبل مجىء الموعظة فيه من عند ربهم لهم أجرهم يعنى ثواب ذلك من أعمالهم وايمانهم وصدقتهم عند ربهم يوم حاجتهم اليه فى معادهم ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم فى جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من انابتهم وتوبتهم الى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم وتصديقهم بوعد الله ووعيده ولا هم يحزنون على تركهم ما كانوا تركوا فى الدنيا من أكل الربا والعمل به اذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى وهم على تركهم ما تركوا من ذلك فى الدنيا ابتغاء رضوانه فى الآخرة فوصلوا الى ما وعدوا على تركه ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) يعنى جل ثناؤه بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله اتقوا الله يقول خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا يعنى ودعوا ما بقى من الربا يقول اتركوا طلب ما بقى لكم من فضل على رؤس أموالكم التى كانت لكم قبل أن تربوا عليها ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم محققين ايمانكم قولا وتصديقكم بالسنتكم بافعالكم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أسلموا ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم فكانوا قد قبضوا بعضه منهم وبقى بعض فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية وحرم عليهم اقتضاء ما بقى منه ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى لا تظالمون قال نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة كانا شريكين فى الجاهلية سلفا فى الربا الى أناس من ثقيف من بنى عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله ذروا ما بقى من فضل كان فى الجاهلية من الربا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا

وصدق فلان فى خبره اذا أخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد الصداق به يتم ويكمل والزكاة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله فى ايمانه فنعما هى من قرأ بسكون العين فمحمول على انه أوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والالزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة * نعم الساعون فى الامر المبر * قال سيبويه ما فى تاويل الشئ أى نعم الشئ هى وقال أبو على الجيد فى مثله أن يقال ما فى تاويل شئ لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هى مخصوصة بالمدح فالتقدير نعم شيا ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة أو نعم اشيا تلك الصدقات أو تلك الخصلة

 وهى الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء فى صدقة التطوع أفضل كما أن الاظهار فى الزكاة أفضل أما الاول فلان ذلك أشق على النفس فيكون أكثر ثوابا ولانه أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مرائ ولا منان ولا متحدث بصدقته لاشك أنه يطلب السمعة

والمعطى فى ملأ من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم فى الاخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقى الصدقة فى يد الاعمى وبعضهم يلقيها فى طريق الفقير أو فى موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطى وبعض يشدها فى ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال أيضا ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب فى الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وأيضا فى الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما أنكر الناس على الفقير أخذ تلك الصدقة لفان الاستغناء به فيقع الفقير فى المذمة والناس فى الغيبة ولان فى الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال مؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من أهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيأ فيقع فى حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا أظهرها اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه أن يكون الاظهار أفضل وروى ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء واعلم أن الانسان اذا أتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفى نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان فى محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه عباس يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روى عن ابن عباس صدقات السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عباد اراضوا أنفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم فى بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى

ان كنتم مؤمنين قال كانت ثقيف قد صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان الفتح استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم فى الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كبير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم فى الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله الى ولا تظلمون فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فاذنهم بحرب قال ابن جريج عن عكرمة قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا قال كانوا يأخذون الربا على بنى المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير فهم الذين كان لهم الربا على بنى المغيرة فأسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود **حدثنى** على بن أبى طلحة قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين قال كان ربا يتبايعون به فى الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم ۞ القول فى تاويل قوله (فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) يعنى جل ثناؤه بقوله فان لم تفعلوا فان لم تذروا مابقى من الربا واختلف القراء فى قراءة قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فقرأته عامة قراء أهل المدينة فاذنوا بقصر الالف من فاذنوا وفتح ذال الهاء بمعنى كونوا على علم واذن وقرأه آخرون وهى قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الالف من قوله فآذنوا وكسر ذال الهاء بمعنى فآذنوا غيركم اعلموهم واخبروهم بانكم على حربهم وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ فاذنوا بقصر ألفها وفتح ذال الهاء بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه وكونوا على اذن من الله عز وجل لكم بذلك وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبذ الى من قام على شركه الذى لا يقر على المقام عليه وأن يقتل المرتد عن الاسلام منهم بكل حال الا أن يراجع الاسلام أذنه المشركون بانهم على حربه أولم يأذنوه فاذ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كان مشركا مقيما على شركه الذى لا يقر عليه أو يكون كان مسلما فارتد واذن بحرب فاى الامرين كان فانما نبذ اليه بحرب لانه أمر بالانذار بها ان عزم على ذلك لان الامر ان كان اليه فاقام على أكل الربا مستحلا له ولم يؤذن المسلمون بالحرب لم يلزمهم حربه وليس ذلك حكمه فى واحدة من الحالين فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها وعلى هذا التأويل تأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدلآكل الربا بالقتل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن

المجاهدة فاذا أعلنوا بالعمل أرادوا ان يقتدى بهم غيرهم فهم كاملون فى أنفسهم ويسعون فى تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء أئمة الهدى واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى فى الذهاب الى الله وأما ان الاظهار فى أعطاء الزكاة أفضل فلان الله أمر الائمة بتوجيه السعاة لطلب الزكوات وفى دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفى التهمة ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم كان أكثر صلاته فى البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكى ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له أفضل ولا سيما اذا خاف الظلمة أن يطمعوا فى ماله وعن بعضهم أن معنى قوله خير لكم انه فى نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الله وانما قيل ونؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق أن يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم أخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط فى الاخفاء أن يحصل معه ايتاء الفقراء وأما فى الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل فى الشرط والجزاء أن يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدأ محذوف فقوله فهو فى تاويل فيكون خير لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ مجزوما فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن أعظم أجرا وأما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر فى النون والضمير لله أو للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء

عباس قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله وهذه الاخبار كلها تنبئ عن ان قوله فاذنوا بحرب من الله ايذان من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل لا أمر لهم باذان غيرهم ۞ القول فى تاويل قوله (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم) يعنى جل ثناؤه بذلك ان تبتم فتركتم أكل الربا وأنبتم الى الله عز وجل فلكم رؤس أموالكم من الدين التى لكم على الناس دون الزيادة التى أحدثتموها على ذلك ربا منكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم المال الذى لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغى لهم أن ياخذوا منه شيأ حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال وضع الله الربا وجعل لهم رؤس أموالهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم قال ما كان لهم من دين فجعل لهم أن ياخذوا رؤس أموالهم ولا يزدادوا عليه شيأ حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وان تبتم فلكم رؤس أموالكم الذى أسلفتم وسقط الربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم الفتح ألا ان ربا الجاهلية موضوع كله أول ربا ابتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته ان كل ربا موضوع وأول ربا يوضع ربا العباس ۞ القول فى تاويل قوله (لا تظلمون ولا تظلمون) يعنى بقوله لا تظلمون بأخذكم رؤس أموالكم التى كانت لكم قبل الارباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التى زدتموها ربا على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم فتاخذوا منهم ما ليس لكم أخذه أولم يكن لكم قبل ولا تظلمون بقول ولا الغريم الذى يعطيكم ذلك دون الربا الذى كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة فى الاجل يبخسكم حقا لكم عليه فيمنعكموه لان مازاد على رؤس أموالكم لم يكن حقا لكم عليه فيكون بمنعه اياكم ذلك ظالما لكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قال لا تنقصون من أموالكم ولا تاخذون باطلا لا يحل لكم ۞ القول فى تاويل قوله (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) يعنى جل ثناؤه بذلك وان كان من تقبضون منه من غرمائكم رؤس أموالكم ذو عسرة يعنى معسرا برؤس أموالكم التى كانت لكم عليهم قبل الارباء فانظروهم الى ميسرتهم وقوله ذو عسرة مرفوع بكان فالخبر متروك وهو ما ذكرنا وانما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب اخبارها ولو وجهت كان فى هذا الموضع الى أنها بمعنى الفعل المكتفى بنفسه التام لكان وجها صحيحا ولم يكن بها حاجة حينئذ الى خبر فيكون تاويل الكلام عند ذلك وان وجد ذو عسرة من غرمائكم برؤس أموالكم فنظرة الى ميسرة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب وان كان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وذلك وان كان فى العربية جائزا فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين وأما قوله فنظرة الى ميسرة فانه يعنى فعليكم أن تنظروه الى ميسرة كما قال فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل فاغنى عن تكريره والميسرة المفعلة من اليسر مثل المرحمة والمشأمة ومعنى الكلام وان كان من غرمائكم

والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم خبر لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه أي ستر ذنب الحنث وقوله من سيآتكم يحتمل أن يكون من للتبعيض لان السيآت كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم أبهم الكلام في ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها (٦٨) وأحسن أحوال العبد أن يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل أن يكون للتعليل أي من أجل سيآتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك أي من أجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون خبير كأنه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو أبعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه أسماء بنت أبي بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدتها فسألتاها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيأ حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما قال الكلبي ولها وجه آخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وراودوهم أن يسلموا واستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على أهل دينكم فانزل الله ليس عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على أهل الاديان وعن بعض العلماء أخبرنا

ذو عسرة فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما ليس لكم فيه يسر من أهل اليسر به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الربا **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين أن رجلا خاصم رجلا الى شريح قال فقضى عليه وأمر بحبسه قال فقال رجل عند شريح انه معسر والله يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فقال شريح انما قال ذلك في الربا وان الله قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يامرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال ذلك في الربا **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الحسن أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول أي فلان ان كنت موسرا فادان كنت معسرا فالى ميسرة **حدثنا** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال جاء رجل الى شريح فكلمه فجعل يقول انه معسر انه معسر قال فظننت أنه يكلمه في محبوس فقال شريح ان الربا كان في هذا الحي من الانصار فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقال الله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه أدوا الامانات الى أهلها **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فنظرة الى ميسرة برأس ماله **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انما أمر في الربا أن ينظر المعسر وليست النظرة في الامانة ولكن يؤدي الامانة الى أهلها **حدثني** موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وان كان ذو عسرة فنظرة برأس المال الى ميسرة يقول الى غنى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شان الربا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شان الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة يعني المطلوب **حدثني** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال الموت **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن محمد بن علي مثله **حدثني** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال هذا في الربا **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم في الرجل يتزوج الى الميسرة قال الى الموت أو الى فرقة **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فنظرة الى ميسرة قال ذلك في الربا **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا منذل عن ليث عن مجاهد فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه وكان اذا حل دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره **وحدثني** أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا منذل عن ليث عن مجاهد وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه * وقال آخرون هذه الآية عامة في كل من كان له قبل رجل معسر حق من أي وجهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا ذكر من قال ذلك **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال

أخبرنا

لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء أجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكاة الى غير المسلم فتكون الآية مخصوصة بالتطوع وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وأباه غيره ومعنى الآية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في الاسلام

فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا الدلائل فاما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بيدك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا أو لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه آخر ليس عليك أن تلجئهم الى (٦٩) الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم

أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال من كان ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم قال وكذلك كل دين على مسلم فلا يحل لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة ان يسجنه ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه وانما جعل النظرة في الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك **حدثني** علي ابن حرب قال ثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الدين * والصواب من القول في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انه معني به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامهم عليهم ديون قد أربوا فيها في الجاهلية فادركهم الاسلام قبل ان يقبضوها منهم فامر الله بوضع ما بقي من الربا بعد ما أسلموا وبقبض رؤس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم موسرا وانظار من كان منهم معسرا برؤس أموالهم الى ميسرتهم فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربي على غريمه فان الاسلام يمطل عن غريمه ما كان له عليه من قبل الربا ويلزمه أداء رأس ماله الذي كان أخذ منه أولزمه من قبل الارباء اليه ان كان موسرا وان كان معسرا كان منتظرا برأس مال صاحبه الى ميسرته وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه غير ان الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرناوا ياهم عنى بها فان الحكم الذي حكم الله به من انظاره المعسر برأس مال المربي بعد بطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه وهو بقضائه معسر في انه منظر الى ميسرته لان دين كل ذي دين في مال غريمه وعلى غريمه قضاؤه منه لا في رقبته فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا ببيع وذلك ان مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة اما أن يكون في رقبة غريمه أو في ذمته يقضيه من ماله أو في مال له بعينه وان لم يكن في مال له بعينه فمتى بطل ذلك المال وعدم فقد بطل دين رب المال وذلك مالا يقوله أحد ويكون في رقبته فان يكن كذلك فمتى عدمت نفسه فقد بطل دين رب الدين وان خلف الغريم وفاء بحقه واضعاف ذلك وذلك أيضا لا يقوله أحد فقد تبين اذا اذا كان ذلك كذلك أن دين رب المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته لانه قد عدم ما كان عليه ان يؤدي منه حق صاحبه لو كان موجودا واذا لم يكن على رقبته سبيل لم يكن الى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل لانه غير ما نعه حقا له الى قضائه سبيل فيعاقب بظلمه اياه بالحبس ۞ القول في تاويل قوله (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يعني جل وعز بذلك وأن تتصدقوا برؤس أموالكم على هذا المعسر خير لكم أيها القوم ان تنظروه الى ميسرته لتقبضوا رؤس أموالكم منه اذا أيسر ان كنتم تعلمون موضع الفضل في الصدقة وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه واختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الغني والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم والمال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغي لهم أن ياخذوا منه شيأ وأن تصدقوا خير لكم يقول ان تصدقوا باصل المال خير لكم **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة وأن تصدقوا أي برأس المال فهو خير لكم **وحدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وان تصدقوا خير لكم قال من رؤس أموالكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وأن تصدقوا خير لكم قال ان تصدقوا برؤس أموالكم * وقال آخرون معنى ذلك وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم نحو ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا

فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها أولا لكن المنفي أولا هو الهداية أي الاهتداء على سبيل الاختيار فكذا الثاني ومنه يعلم أن الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وأمته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم أو فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله

أي لستم في صدقتكم على أقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم أو سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي أي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف من

قولك فعلته له لان وجه الشئ أشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وأيضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره أما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه فى الآخرة أضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت (٧٠) معنى التادية وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم لما بين انه يجوز

أسباط عن السدى وأن تصدقوا خير لكم قال وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الفقير فهو خير لكم فتصدق به العباس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم يقول وان تصدقت عليه برأس مالك فهو خير لك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فى قوله وأن تصدقوا خير لكم يعنى على المعسر فاما الموسر فلا ولكن يؤخذ منه رأس المال والمعسر الاخذ منه حلال والصدقة عليه أفضل **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وأن تصدقوا برؤس أموالكم خير لكم من نظره الى ميسرة فاختار الله عز وجل الصدقة على النظارة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم قال من النظرة ان كنتم تعلمون **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم والنظرة واجبة وخير الله عز وجل الصدقة على النظرة والصدقة لكل معسر فاما الموسر فلا وأولى التأويلين بالصواب تاويل من قال معناه وأن تصدقوا على المعسر برؤس أموالكم خير لكم لان تلو ذكر حكمه فى المعنيين والحاقه بالذى يليه أحب الى من الحاقه بالذى بعد منه وقد قيل ان هذه الآيات فى أحكام الربا هن آخر آيات نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد **وحدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وان نبى الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها فدعوا الربا والريبة **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر أن عمر رضى الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه والله ما أدرى لعلنا نامركم بامر لا يصلح لكم وما أدرى لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم وانه كان من آخر القرآن تنزيلا آيات الربا فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم **حدثنى** أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم الاحول عن الشعبى عن ابن عباس قال آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا وانا لنامر بالشئ لا ندرى لعله يسا ونهى عن الشئ لعله ليس به باس ۞ القول فى تاويل قوله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقيل هذه الآية أيضا آخر آية نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس قال آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فهى آخر آية من الكتاب أنزلت **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن أبى خالد عن السدى قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس وحجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آخر آية نزلت من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن جريج يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدا يوم السبت ومات يوم الاثنين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال ثنى سعيد بن المسيب انه بلغه ان أحدث

صرف الصدقة الى أى فقير كان أراد أن يبين ان أشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء أى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فتقول عاقل لبيب أى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء أو المراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحو أربعمائة رجل وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعاون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين أحصروا فى سبيل الله أى حصروا أنفسهم ووقعوا على الجهاد فى سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد فوضع الصدق فيهم يكون أوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى أن هؤلاء قوم أصابتهم جراحات فى الغزوات فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين

حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض أي سيرا فيها وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة أو بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يخبر أمرهم أغنياء من التعفف من أجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا (٧١) منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك

القرآن بالعرش آية الدين يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه الى الله فتلقونه فيه ان تذروا عليه بسيآتكم لمكركم أو بحرمات أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به وانه يوم مجازاة الاعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا أحضرت فتوفى جزاءها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون كيف يظلم من جوزي بالاساءة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها كلا بل عدل عليك أيها المسيئ وتكرم عليك فافضل واسبغ أيها المحسن فاتق امرؤ ربه فاخذ منه حذره وراقبه ان يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقيل ومن صالحات الاعمال خفيف فانه عز وجل حذر فاعذر ووعظ فابلغ ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم يعني اذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به أو تعاطيتم أو أخذتم به الى أجل مسمى يقول الى وقت معلوم وقتموه بينكم وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ما جاز السلم الى أجل معه يصير دينا على بائع ما أسلم اليه فيه ويحتمل مع الحاضر الجائز بيعه من الاملاك بالاثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة الى أجل مسمى اذا كانت آجالها معلومة محدودا موقوفا عليه وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية في السلم خاصة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى الرملي عن سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال ابن عباس في يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا يحيى بن الصامت قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن أبي حيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال نزلت في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا علي بن سهل قال ثنا يزيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن أبي حيان عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه في السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن أبي حيان التيمي عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى في السلف في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن أبي حيان عن ابن عباس قال أشهد أن السلف المضمون الى أجل مسمى ان الله عز وجل قد أحله وأذن فيه ويتلو هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان قال قائل وما وجه قوله بدين وقد دل بقوله اذا تداينتم عليه وهل تكون مداينة بغير دين فاحتيج الى أن يقال بدين قيل ان العرب لما كان مقولا عندها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الاخذ والاعطاء بدين أبان الله بقوله بدين المعنى الذي قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه واعلمهم انه حكم الدين دون حكم المجازاة وقد زعم بعضهم ان ذلك تاكيد كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع ۞ القول في تاويل قوله (فاكتبوه) يعني جل ثناؤه بقوله فاكتبوه الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه هل هو واجب أو هو ندب فقال بعضهم هو حق واجب وفرض لازم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال من باع الى أجل مسمى أمر أن يكتب صغيرا كان أو كبيرا الى أجل مسمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم أي أنت يا محمد أو كل راء بسيماهم والسيما والسيمياء العلامة التي يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزنه فعلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدي أثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع أبو زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهيابة في العيون وقيل آثار الفكر روي انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس الحافا أي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى والتركيب يدل على الستر كانه لزم المسؤل لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بلطف ولم يلحفوا أو رد عليه انه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه أن يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف وأردت أن تمدح أحدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بحواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بحواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد منهم على

أنفسهم لشدة حاجتهم كقوله ولي نفس أقول لها اذا ما * تنازعني لعلي أو عساني وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال عنهم رأسا لان كل سائل فلا بد أن يلح في بعض الاوقات كأنه يقول اذا أرقت ماء وجهي فلا أرجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه أمارات الحاجة فيكون في حال سكوته أنطق مما يكون فترق القلوب له فالمراد انهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال وآثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتجملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح أحد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان يأخذ أحدكم حبلا يحتطب به فيبيعه مد من تمر خير له من أن يسأل الناس وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيه أن ثواب هذا الانفاق الذي هو أعظم المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على أهل الاديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته اني بحسن خدمتك عالم ولحقك عارف كان أبلغ مما لو قال ان أحرك واصل اليك ثم أرشد في خاتمة الآيات الى أكمل وجوه الانفاق بقوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها كاتب

ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في أي في الليل أو النهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية أيضا أي في أوقات السر والعلن أو على وصف المصدر أي انفاقا في علانية سرا أو على الحال ليكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل لما نزل للفقراء الذين أحصروا بعث عبد الرحمن بن عوف

عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال فمن ادان دينا فليكتب ومن باع فليشهد **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فكان هذا واجبا **وحدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وزاد فيه قال ثم قامت الرخصة والسعة قال فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان أبا سليمان المرعشي كان رجلا صاحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له قالوا وكيف يكون ذلك قال رجل باع شيأ فلم يكتب ولم يشهد فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا ربه فلم يستجب له لانه قد عصى ربه وقال آخرون كان الكتاب بالدين فرضا فنسخه قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن شبرمة عن الشعبي قال لا بأس اذا أمنته أن لا تكتب ولا تشهد لقوله فان أمن بعضكم بعضا قال ابن عيينة قال ابن شبرمة عن الشعبي الى هذا انتهى **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قال رخص من ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن الشعبي قال ان ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال فكانوا يرون ان هذه الآية فان امن بعضكم بعضا نسخت ما قبلها في الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال غير عطاء نسخت الكتاب والشهادة فان امن بعضكم بعضا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نسخ ذلك قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قال ولولا هذا الحرف لم يبع لاحد أن يدان بدين الا بكتاب وشهداء أو برهن فلما جاءت هذه نسخت هذا كله صار الى الامانة **حدثني** المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي قال سألت الحسن قلت كل من باع بيعا ينبغي له ان يشهد قال ألم تر ان الله عز وجل يقول فليؤد الذي اؤتمن أمانته **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قال رخص في ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي في قوله فان أمن بعضكم بعضا قال ان أشهدت فحزم وان لم تشهد ففي حل وسعة **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل ابن أبي خالد قال قلت للشعبي أرأيت الرجل يستدين من الرجل الشيء أحتم عليه أن يشهد قال فتمال فقرأ الى قوله فان آمن بعضكم بعضا قد نسخ ما كان قبله **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا محمد ابن مروان العقيلي قال ثنا عبد الملك بن فضالة أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري انه قرأ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال فقرأ الى فان أمن بعضكم بعضا قال هذه نسخت ما قبلها

القول في تأويل قوله (وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله) يعني بذلك جل ثناؤه وليكتب كتاب الدين الى أجل مسمى بين الدائن والمدين كاتب بالعدل يعني بالحق والانصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما مما لا يحيف ذا الحق حقه ولا ينحسه ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ولا يلزمه ما ليس عليه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وليكتب بينكم

بدنانير الى أصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفى تقديم ذكر الليل وتقدم السر على العلانية دليل على ان صدقة على رضى الله عنه كانت أكمل وعن ابن عباس ما كان على رضى الله عنه يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعدلى ربى فقال (٧٣) ذلك لك ونزلت الآية وقيل نزلت فى

كاتب بالعدل قال اتقى الله كاتب فى كتابه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا وأما قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فانه يعنى ولا يابين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك وحرمه كثيرا من خلقه وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتاب على الكاتب اذا استكتب ذلك نظير اختلافهم فى وجوب الكتاب على الذى له الحق ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ولا يأب كاتب قال واجب على الكاتب أن يكتب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب أواجب أن لا يأبى أن يكتب قال نعم قال ابن جريج وقال مجاهد واجب على الكاتب أن يكتب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله قالا اذا لم يجدوا كاتبا فدعيت فلا يأب أن تكتب لهم ذكر من قال هى منسوخة قد ذكرنا جماعة ممن قال كل ما فى هذه الآية من الامر بالكتاب والاشهاد والرهن منسوخ بالآية التى فى آخرها واذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعانى **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا يأب كاتب قال كانت عزيمة فنسختها ولا يضار كاتب ولا شهيد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكان هذا واجبا على الكتاب *وقال آخرون هو على الوجوب ولكنه واجب على الكاتب فى حال فراغه ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله يقول لا يأب كاتب أن يكتب ان كان فارغا *والصواب من القول فى ذلك عندنا ان الله عز وجل أمر المتداينين الى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل وأمر الله فرض لازم الا أن تقوم حجة بانه ارشاد وندب ولا دلالة تدل على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب فى ذلك وان تقدمه الى الكتاب ان لا يابى كتابة ذلك ندب وارشاد فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجا تضييعه ولا وجه لاعتلال من اعتل بان الامر بذلك منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته لان ذلك انما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل الى الكتاب أو الى الكاتب وأما والكتاب والكاتب موجودان فالفرض اذا كان الدين الى أجل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به فى قوله فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله وانما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة على السبيل التى قد بيناها فاما ما كان أحدهما غير نافى حكم الآخر فليس من الناسخ والمنسوخ فى شئ ولو وجب أن يكون قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخا قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله لوجب أن يكون قوله وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ناسخا الوضوء بالماء فى الحضر عند وجود الماء فيه وفى السفر الذى فرضه الله عز وجل بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأن يكون قوله فى كفارة الظهار فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ناسخا قوله فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فيسئل القائل ان قول الله عز وجل فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخ

أبى بكر حين تصدق باربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وكان أبو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال * التأويل أنفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه أحدها لو فسر الطيب بالحلال فليقبل الله منه ولو فسر بالجودة فليجز به بقدر جودته وثانيها ليثاب على التعظيم لامر الله وثالثها ليثاب على الشفقة على خلق الله ورابعها ليثاب على الايثار ويؤثرون على أنفسهم وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها ليثاب على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر

الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفى الآية معنى آخر لطيف أنفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما أخرجنا لكم من أرض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق ولتكن النفقة طيبة من خباثة الشهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية

طيبا منفقها من خبائثه الالتفات والنظر فى الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فالله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده ويربيها قبل أن تقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى انفاقها فالله قبول طيب فاتها أبلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فالله قبول طيب

عن الاغيار بين اصبعين من أصابع الرحمن وهذا تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم باخذى هذا الخبيث لانى أصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة فالروح من أطيب الاطايب لانه أقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم أحياكم بالايمان فالتحيته حياة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا أن تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقسرا كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم تكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارئة عليه عارية لذلك أنزل الله تعالى كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا أن الله غنى عن كل غناء أراد أن يغنيكم بثواب الانفاق جيد على ما أنعم بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة ويذوكل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة

قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ما الفرق بينه وبين القائل فى التيمم ماذكرنا قوله فزعم أن كل ما أبيح فى حال الضرورة لعلة الضرورة ناسخ حكمه فى حال الضرورة حكمه فى كل أحواله نظير قوله فى ان الامر بالكتاب كتب الدين والحقوق منسوخ بقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته فان قال الفرق بينى وبينه ان قوله فان أمن بعضكم بعضا كلام منقطع عن قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة وقد انتهى الحكم فى السفر اذا عدم فيه الكاتب بقوله فرهان مقبوضة وانما عنى بقوله فان أمن بعضكم بعضا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته قيل له وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس وقد انقضى الحكم فى الدين الذى فيه الى الكاتب والكتاب سبيل بقوله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وأما الذين زعموا ان قوله فاكتبوه وقوله ولا يأب كاتب على وجه الندب والارشاد فانهم يسئلون البرهان على دعواهم فى ذلك ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذى أمر فى كتابه ويسئلون الفرق بين ما ادعوا فى ذلك وأنكروه فى غيره فلم يقولوا فى شئ من ذلك قولا الا ألزموا فى الآخر مثله ذكر من قال العدل فى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل الحق ۷ ۞ القول فى تاويل قوله (وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ) يعنى بذلك فليكتب الكاتب وليملل الذى عليه الحق وهو الغريم المدين يقول ليتول المدين املال كتاب ما عليه من دين رب المال على الكاتب وليتق الله ربه المملى الذى عليه الحق فليحذر عقابه فى بخس الذى له الحق من حقه شيأ ان ينقصه منه ظلما أو يذهب به منه تعديا فيؤخذ به حيث لا يقدر على قضائه الا من حسناته أو ان يتحمل من سيئاته كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فليكتب وليملل الذى عليه الحق فكان هذا واجبا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ يقول لا يظلم منه شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يبخس منه شيأ قال لا ينقص من حق هذا الرجل شيأ اذا أملى ۞ القول فى تاويل قوله (فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) يعنى بقوله جل ثناؤه فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا فان كان المدين الذى عليه المال سفيها يعنى جاهلا بالصواب فى الذى عليه ان يمله على الكاتب كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان كان الذى عليه الحق سفيها أما السفيه فالجاهل بالاملاء والامور وقال آخرون بل السفيه فى هذا الموضع الذى عناه الله الطفل الصغير ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فان كان الذى عليه الحق سفيها أما السفيه فهو الصغير حدثنى يحيى ابن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال هو الصبى الصغير فليملل وليه بالعدل * وأولى التاويلين بالآية تاويل من قال السفيه فى هذا الموضع الجاهل بالاملاء وموضع صواب ذلك من خطئه لما قد بينا قبل من ان معنى السفه فى كلام العرب الجهل وقد يدخل فى قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها كل جاهل بصواب ما يمل من خطئه من صغير وكبير وذكر وأنثى غير ان الذى هو أولى بظاهر الآية أن يكون مرادا بها كل جاهل بموضع خطا ما يمل وصوابه من بالغى الرجال الذين لا يولى عليهم والنساء لانه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى والصبى ممن يولى عليه لا يجوز مداينته وان الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرهم باملال كتاب الدين مع السفيه الضعيف ومن لا يستطيع املالا فى فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه فى الصفة ومن لا يستطيع املاء الكتاب التى وصف بها كل واحد منهم ما أنبأ عن ان كل واحد من الاصناف الثلاثة الذين بين منه صفاتهم

۷ هكذا هذه العبارة بالاصل ولم يات بمن قال ذلك فلعل فيه سقطا تامل اه مصححه

الحق أفاض عليه بحال غفرانه و بحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والعفو الامالا ندركه الاوهام للذين أحسنوا لهم الحسنى وزيادة فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات ما تكتسب (٧٥) بالبرهان وهى مشتركة بين أهل

غير الصنفين الآخرين واذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الاملال غير انه وضع عنه فرض الاملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه وان الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن املاله وان كان شديدا رشيدا اما الى لسانه أو خرس به وان الموصوف بانه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من املاله اما بالحبس الذى لا يقدر معه على حضور الكاتب الذى يكتب له الكتاب فيملى عليه واما الغيبة عن موضع الاملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن املال الكتاب فوضع الله عنهم فرض املال ذلك للعلل التى وصفنا اذا كانت بهم وعذرهم بترك الاملال من أجلها وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولى الحق باملاله فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يعنى ولى الحق ولا وجه لقول من زعم ان السفيه فى هذا الموضع هو الصغير وان الضعيف هو الكبير الاحمق لان ذلك وان كان كما قال لو جب أن يكون قوله أو لا يستطيع أن يمل هو هو العاجز من الرجال العقلاء الحائزى الامر فى أموالهم وأنفسهم عن الاملال اما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل واما لغيبته عن موضع الكتاب واذا كان ذلك كذلك معناه بطل معنى قوله فليملل وليه بالعدل لان العاقل الرشيد لا ولى عليه فى ماله وان كان أخرس أو غائبا ولا يجوز حكم أحد فى ماله الا بامره وفى صحة معنى ذلك ما يقضى على فساد قول من زعم أن السفيه فى هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الاحمق ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يقول ولى الحق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل قال يقول ان عجز عن ذلك أمل ولى صاحب الدين بالعدل ذكر الرواية عمن قال عنى بالضعيف فى هذا الموضع الاحمق وبقوله فليملل وليه بالعدل ولى السفيه والضعيف **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا أو لا يستطيع ان يمل هو قال أمر ولى السفيه أو الضعيف ان يمل بالعدل **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما الضعيف فهو الاحمق **حدثنى** المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أما الضعيف فالاحمق **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا لا يعرف فيثبت لهذا حقه و يجهل ذلك فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب فى ذلك وأما قوله فليملل وليه بالعدل فانه يعنى بالحق

القول فى تأويل قوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعنى بذلك جل ثناؤه واستشهدوا على حقوقكم شاهدين يقال فلان شهيدى على هذا المال وشاهدى عليه وأما قوله من رجالكم فانه يعنى من أحراركم المسلمين دون عبيدكم ودون أحراركم الكفار كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستشهدوا شهيدين من رجالكم قال الاحرار **حدثنى** يونس قال أخبرنا على بن سعيد عن هشيم عن داود بن أبى هند عن مجاهد مثله

القول فى تأويل قوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) يعنى بذلك جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فليكن رجلا وامرأتين على الشهادة ورفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون وان شئت قلت فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك وان شئت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه وان قلت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كان صوابا كل ذلك جائز ولو كان فرجل وامرأتان نصبا كان جائزا على تأويل فان لم يكونا

الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا تردالا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ومايذكر الا أولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى لب عالم النور ثم أخبر عن توفية الاجور للمنفق فى المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من أنصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن أذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليتها عن شوب الحظوظ والبه الاشارة فى قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال و رجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله أى عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون فى ظل صدقته يوم القيامة أى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل الجنة وان كانت للهوى كان فى ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات أى

تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعما هى فنعم مرتبة الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين تعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم أخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وأن الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وأنت سيد الاولين والآخرين

وأنت أكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هداهم ولكن الهداية من خصائص شأننا ولوائح برهاننا أنت تدعوهم وتحن نهديهم ثم نبه على أن أفضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى أحصرته المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى أحصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف أخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلاله فى المشرق مذهب ولاله فى المغرب مضرب ولا منه الى غيره مهرب شعر

كأن فجاج الارض ضاقت برحبها
عليه فما تزداد طولا ولا عرضا

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة أهل الغيرية أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فلست غيرى ما رأيت اذ رأيت ولكن الله رأى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم لا يرى بالبصر الانسانى بل يرى من نور ربانى فمن سيماهم فى الظاهر من ظهور آثار أحوال الباطن أنهم لا يسألون الناس الحافا لا يقليل ولا بكثير لان آثار أنوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال أو الجاه أو خدمة بالنفس أو اكرام أو ارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم فى الظاهر أنهم اذا وجدوا مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بل ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون فى الدنيا على ما يفوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الآخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحدثه الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا

رجلين فاستشهدوا رجلا وامرأتين وقوله ممن ترضون من الشهداء يعنى من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم يقول فى الدين فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وذلك فى الدين ممن ترضون من الشهداء يقول عدول حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك واستشهدوا شهيدين من رجالكم أمر الله عز وجل ان يشهدوا ذوى عدل من رجالهم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ۞ القول فى تاويل قوله (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى بفتح الالف من ان ونصب تضل وتذكر بمعنى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كى تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وهو عندهم من المقدم الذى معناه التأخير لان التذكير عندهم هو الذى يجب أن يكون مكان تضل لان المعنى ما وصفنا فى قولهم وقالوا انما نصبنا تذكر لان الجزاء لما تقدم ان تضل بما قبله فصار جوابه مردودا عليه كما تقول فى الكلام انه ليعجبنى ان يسأل السائل فيعطى بمعنى انه ليعجبنى أن يعطى السائل ان سأل أو اذا سأل فالذى يعجبك هو الاعطاء دون المسئلة ولكن قوله ان يسأل لما تقدم اتصل بما قبله وهو قوله ليعجبنى فتح ان ونصب بها ثم اتبع ذلك قوله يعطى فنصبه بنصب قوله ليعجبنى ان يسأل نسقا عليه وان كان فى معنى الجزاء وقرأ ذلك آخرون كذلك غير انهم كانوا يقرؤنه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تاويل قراءتهم اياه كذلك وكان بعضهم يوجهه الى أن معناه فتصير احداهما الاخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى ان شهادتها اذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور فى الدين لان شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون الا باجتماع اثنتين على شهادة واحدة فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور فكأن كل واحدة منهما فى قول متاولى ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا وذهب الى قول العرب لقد أذكرت بفلان أمه أى ولدته ذكرا فهى تذكر به وهى امرأة مذكرة اذا كانت تلد الذكور من الاولاد وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة انه كان يقوله حدث بذلك عن أبى عبيد القاسم بن سلام انه قال حدثت عن سفيان بن عيينة انه قال ليس تاويل قوله فتذكر احداهما الاخرى من الذكر بعد النسيان انما هو من الذكر بمعنى انها اذا شهدت مع الاخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر وقال آخرون منهم يوجهونه الى انه بمعنى الذكر بعد النسيان وقرأ ذلك آخرون فتذكر احداهما الاخرى بكسر ان من قوله ان تضل ورفع تذكر وتشديده كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان ان نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فان احداهما ان ضلت ذكرتها الاخرى على استئناف الخبر عن فعلها ان نسيت احداهما شهادتها من تذكير الاخرى منهما صاحبتها الناسية وهذه قراءة كان الاعمش يقرأها ومن أخذها عنه وانما نصب الاعمش تضل لانها فى محل جزم بحذف الجزاء وهو ان تاويل الكلام على قراءته ان تضل فلما ادغمت احدى اللامين فى الاخرى حركها الى أخف الحركات ووقع تذكر بالتاء لانه جواب الجزاء بالفاء والصواب من القراءة عندنا فى ذلك قراءة من قرأه بفتح ان من قوله أن تضل احداهما وبتشديد الكاف من قوله فتذكر احداهما الاخرى ونصب الراء منه بمعنى فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كى ان ضلت

احداهما

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من (٧٧) الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس

احداهما ذكرتها الاخرى وأما نصب فتذكرها العطف على تضل وفتحت ان يحاولها محل كي وهي في موضع
جزاء والجواب بعده اكتفى بفتحها أعني بفتح ان من كي وسيق بالتاء أعني فتذكر على تضل ليعلم ان الذي قام
مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر فقد دل عليه وادى عن معناه وعمله أي عن كي وانما اخترنا ذلك في القراءة
لاجماع الحجة من قدماء القراء والمتاخرين على ذلك وانفراد الاعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به
عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها وأما اختيارها فتذكر بتشديد الكاف
فانه بمعنى تادية الذكر من احداهما على الاخرى وتعريفها بانها ذلك لتذكر فالتشديد به أولى من التخفيف
وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه فتأويل خطا لا معنى له لوجوه شتى * أحدها انه
خلاف لقول جميع أهل التأويل * والثاني انه معلوم بان ضلال احدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها
انما هو خطؤها عنها بنسيانها اياها كضلال الرجل في دينه اذا تحير فيه فعدل عن الحق واذا صارت احداهما
بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الاخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها فالضالة منهما في
شهادتها حينئذ لا شك انها التذكير أحوج منها الى الاذكار الا ان أراد أن الذاكرة اذا ضعفت صاحبتها
عن ذكر شهادتها ستحدثها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته فقوته بالذكر حتى صيرتها كالرجل في
قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشيء القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في
ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم فان كان ابن عيينة هذا أراد
فهو مذهب من مذاهب تاويل ذلك الا انه اذا تاول ذلك كذلك صار تاويله الى نحو تاويلنا الذي تاولنا فيه
وان خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بان تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته
من تخفيف الكاف من قوله فتذكر ولا نعلم أحدا تاول ذلك كذلك ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى
فالصواب في قوله اذ كان الامر عاما على ما وصفنا ما اخترنا ذكر من تاول قوله ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى نحو تاويلنا الذي قلنا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى علم الله أن ستكون حقوق فاخذ لبعضهم من بعض الثقة فخذوا بثقة الله
فانه أطوع لربكم وأدرك لاموالكم ولعمري لئن كان تقيا لا يزيد الكتاب الا خيرا وان كان فاجرا فبالحري
أن يؤدي اذا علم أن عليه شهودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى يقول ان تنس احداهما فتذكرها الاخرى حدثني
موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أن تضل احداهما يقول تنسى احداهما
الشهادة فتذكرها الاخرى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك
أن تضل احداهما يقول ان تنس احداهما تذكرها الاخرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى قال كلاهما اللغة وهما سواء ونحن نقرأ فتذكر
القول في تاويل قوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله
الشهداء عن اباء الاجابة اذا دعوا بهذه الآية فقال بعضهم معناه لا يأب الشهداء أن يجيبوا اذا دعوا ليشهدوا
على الكتاب والحقوق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
تعالى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة
فلا يتبعه أحد منهم قال وكان قتادة يتأول هذه الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليشهدوا الرجل على رجل

أموالكم لا تظلمون ولا
تظلمون وان كان ذو
عسرة فنظرة الى ميسرة
وأن تصدقوا خير لكم ان
كنتم تعلمون واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون) القراء آت الربا
حيث كان بالامالة حمزة
وعلي وخلف وهذا اذا كان
معرفا ولا يميلون المنكر في
الوصل لاجل التنوين
كقوله وما آتيتم من ربا
ويميلون في الوقف لزوال
التنوين فاذنوا ممدودة
مكسورة الذال حمزة وحماد
وأبو بكر غير ابن غالب
والبرجمي حمزة يقف بغير
همزة أي بالتليين الباقون
فاذنوا بسكون الهمزة وفتح
الذال لا تظلمون ولا تظلمون
الاول مبني للمفعول
والثاني للفاعل المفضل
الباقون بالعكس ميسر
بضم السين نافع ميسره
بضم السين واثبات التاء
زيد عن يعقوب الباقون
بفتح السين وعدم التاء
وأن تصدقوا خفيفا عاصم
الباقون بتشديد الصاد
لادغام تاء التفعل في الصاد
ترجعون بفتح التاء وكسر
الجيم أبو عمرو ويعقوب
عباس مخير الباقون مبنيا

للمفعول * الوقوف من المس ط مثل الربا ه كيلا يظن ان ما بعده من هوائهم وان أمكن جعل وأحل حالا باضمار قد وحرم الربا ط لابتداء
الشرط واستئناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج النار ج خالدون ه الصدقات ط أثيم ه عند ربهم ط يحزنون ه
مؤمنين ه ورسوله ج أموالكم ج لان ما بعده مستأنف أو حال عامله معنى الفعل في لام التمليك ولا تظلمون ه ميسرة ط تعلمون

* لايظلمون * التفسير الحكم الثانى من الاحكام المذكورة فى هذا الموضع حكم الربا وذلك ان بين الصدقة وبين الربا مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما مور بها والربا زيادة منهى عنها وأيضا لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب أن يردف بالكسب الحرام وهو الربا والحلال وهو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين يأكلون الربا أما الاكل فيعم جميع التصرفات الا أنه عبر عن الشئ بعظم مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وأيضا نفس الربا لا يمكن أن يؤكل ولكن يصرف الى المأكول فيؤكل فالمراد التصرف فيه والربا فى اللغة الزيادة من ربا يربو ومن أمالها فلمكان كسرة الراء وهو فى المصاحف مكتوب بالواو وأنت مخير فى كتابتها بالالف والواو وفى الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربا قسمان ربا النسيئة وربا الفضل أما الاول فهو الذى كانوا يتعارفونه فى الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على أن يأخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالب المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زاد فى الحق والاجل وأما ربا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروى عن ابن عباس انه كان لا يحرم الا القسم الاول وكان يقول لا ربا الا فى النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له أبو سعيد الخدرى اشهدت مالم نشهد أسمعت مالم نسمع فروى له الحديث المشهور فى هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء ثم قال أبو سعيد لا أرانى وإياك فى ظل بيت مادمت على هذا فيروى انه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا فى بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة أما

حدثنا عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الرجل يطوف فى القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا فلا يتبعه أحد منهم فانزل الله عز وجل ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لا تأب ان تشهد اذا ما دعيت الى شهادة * وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء الا انهم قالوا يجب فرض ذلك على من دعى للاشهاد على الحقوق اذا لم يوجد غيره فاما اذا وجد غيره فهو فى الاجابة الى ذلك مخير ان شاء أجاب وان شاء لم يجب ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن جابر عن الشعبى قال لا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال ان شاء شهد وان شاء لم يشهد فاذا لم يوجد غيره شهد * وقال آخرون معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للشهادة على من أراد الداعى اشهاده عليه والقيام بما عنده من الشهادة من الاجابة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال قال الحسن الاقامة والشهادة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الحسن يقول جعت أمرين لا تأب اذا كانت عندك شهادة أن تشهد ولا تأب اذا دعيت الى شهادة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يعنى من احتج اليه من المسلمين شهد على شهادة ان كانت عنده ولا يحل له أن يأبى اذا ما دعى **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لاقامتها ولا يبد أبها اذا دعاه ليشهده واذا دعاه ليقيمها * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للقيام بالشهادة التى عندهم للداعى من اجابته الى القيام بها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا شهد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقول اذا كانوا قد أشهدوا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت عندك شهادة فدعيت **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت شهادة فاتها فاذا دعيت لتشهد فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح عن عمران بن حدير قال قلت لابى مجلز ناس يدعوننى لاشهد بينهم وأنا أكره ان أشهد بينهم قال دع ما تكره فاذا شهدت فاجب اذا دعيت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار مالم يشهد **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن يونس عن عكرمة فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لا تأب الشهادة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى عامر عن عطاء قال فى اقامة الشهادة **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو عامر المزنى قال سمعت عطاء يقول ذلك فى اقامة الشهادة يعنى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بحرة أخبرنا عن الحسن انه سأله سائل قال أدعى الى الشهادة وأنا أكره ان أشهد عليها قال فلا تجب ان شئت **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة قال سألت ابراهيم قلت أدعى الى الشهادة وأنا أخاف ان أنسى قال فلا تشهد ان شئت **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن عطاء قال للاقامة

تذكر ونحن فى بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيى ثم بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أنى قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى وأحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وحرم الربا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب أن يبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذى كان يسمى فيما بينهم ربا وهو ربا النسيئة وقد

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كانوا قد شهدوا **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال هو الذى عنده الشهادة **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا يقول لا يأب الشاهد أن يتقدم فيشهد اذا كان فارغا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال هم الذين قد شهدوا قال ولا يضار انسانا أن يأبى ان يشهد ان شاء قلت لعطاء ماشأنه اذا دعى أن يكتب وجب عليه ان لا يأبى واذا دعى أن يشهد لم يجب عليه ان يشهد ان شاء قال كذلك يجب على الكاتب ان يكتب ولا يجب على الشاهد أن يشهد ان شاء الشهداء كثير **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا شهد فلا يأب اذا دعى أن يأتى يؤدى شهادته ويقيمها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يأب الشهداء قال كان الحسن يتأولها اذا كانت عنده شهادة فدعى ليقيمها **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال اذا كتب الرجل شهادته أو أشهد لرجل فشهد والكاتب الذى يكتب الكتاب دعوا الى مقطع الحق فعليهم أن يجيبوا وان يشهدوا بما أشهدوا عليه * وقال آخرون هو أمر من الله عز وجل الرجل والمرأة بالاجابة اذا دعى ليشهد على مالم يشهد عليه من الحقوق ابتداء لاقامة الشهادة ولكنه أمر ندب لا فرض ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى فى قوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا قال أمرت أن تشهد فان شئت فاشهد وان شئت فلا تشهد **حدثنى** أبو العالية قال ثنا أبو قتيبة عن محمد بن ثابت العصرى عن عطاء بمثله * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال ولا يأب الشهداء من الاجابة اذا دعوا الاقامة الشهادة وأدائها عند ذى سلطان أو حاكم يأخذ من الذى عليه ماعليه للذى هو له وانما قلنا هذا القول بالصواب أولى فى ذلك من سائر الاقوال غيره لان الله عز وجل قال ولا يأب الشهداء اذا مادعوا فانما أمرهم بالاجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء الا وقد استشهدوا قبل ذلك فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء فاما قبل أن يستشهدوا على شئ فغير جائز ان يقال لهم شهداء لان ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما استشهدوا على شئ يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الارض أحد له عقل صحيح الا وهو مستحق أن يقال له شاهد بمعنى انه سيشهد أو انه يصلح لان يشهد وان كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم الا من عنده شهادة لغيره أو من قد قام شهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعنى بقوله ولا يأب الشهداء اذا مادعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعى شهادة أو شهد فدعى الى القيام بها لان الذى لم يستشهد ولم يسترع شهادة قبل الاشهاد غيره مستحق اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل مع أن فى دخول الالف واللام فى الشهداء دلالة واضحة على أن المسمى بالنهى عن ترك الاجابة للشهادة اشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة وانهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باشهادهم بقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء واذا كان ذلك كذلك كان معلوما انهم انما أمروا باجابة داعيهم لاقامة شهادتهم بعدما استشهدوا فشهدوا ولو كان ذلك أمرا لمن أعرض من الناس فدعى الى الشهادة فشهد عليها لقيل ولا يأب شاهد اذا مادعى غير ان الامر وان كان كذلك فان الذى نقول به فى الذى يدعى لشهادة ليشهد عليها اذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلح للشهادة أن الفرض عليه اجابة داعيه اليها كما فرض على

تأكد هذا الرأى بما روى اسامة بن زيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا فى النسيئة وفى رواية لا ربا الا فيما كان يدا بيد وذكر أبو المنهال انه سأل البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقالا كنا تاجرين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصح وأما جهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربا فى القسمين أما النسيئة فبالقرآن وأما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربا النقد فى الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى الحق بها ما يشاركها فيه أما الاشياء الاربعة فللشافعى فى علة الربا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسمى الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزانى والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربا فى كل مطعوم مكيل أو موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فيكل ما هو قوت أو يستصلح به القوت كالملح يجرى فيه الربا وعند أبى حنيفة

العلة الكيل حتى ثبت الربا فى الجص والنورة وعن أحمد رواية كابى حنيفة والاخرى كالجديد وأما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما لعينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلى والاوانى المتخذة منهما ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب (٨٠) والفضة لانتفاء العلة وقال أحمد وأبو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه وأما السبب فى تحريم الربا فهو أن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض وأخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء رأس المال فى يده مدة مديدة وتمكينه من أن يتجر فيه وينتفع به أمر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل وأخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا أو نسيئة أعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضى الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغنى من أن يأخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لا يقوم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء أو تخبط الشيطان قيل من

الكاتب اذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه فرض عليه ان يكتب كما فرض على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الايمان وشرائع الاسلام فحضره جاهل بالايمان وبفرائض الله فسأله تعليمه وبيان ذلك له أن يعلمه ويبينه له ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الاجابة للشهادة اذا دعى ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية ولكن بادلة سواها وهى ماذكرنا وقد فرضنا على الرجل احياء ما قدر على احيائه من حق أخيه المسلم والشهداء جمع شهيد ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا تسأموا أيها الذين تداينون الناس الى أجل ان تكتبوا صغير الحق يعنى قليله أو كبيره يعنى أو كثيره الى أجله الى أجل الحق فان الكتاب أحصى للاجل والمال حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله قال هو الدين ومعنى قوله ولا تسأموا الا تملوا يقال منه سئمت فانا اسأم سأما وسآمة ومنه قول لبيد

ولقد سئمت تكاليف الحياة ومن * يعش ثمانين عاما لا أبا لك يسأم

يعنى ملت وقال بعض نحوى البصريين تاويل قوله الى أجله الى أجل الشاهد ومعناه الى الاجل الذى تجوز شهادته فيه وقد بينا القول فيه ۞ القول فى تاويل قوله (ذلكم أقسط عند الله) يعنى جل ثناؤه بقوله ذلكم اكتتاب كتاب الدين الى أجله ويعنى بقوله أقسط أعدل عند الله يقال منه أقسط الحاكم فهو يقسط اقساطا وهو مقسط اذا عدل فى حكمه وأصاب الحق فيه فاذا جار قيل قسط فهو يقسط قسوطا ومنه قول الله عز وجل وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا يعنى الجائرون وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله ذلكم أقسط عند الله يقول أعدل عند الله ۞ القول فى تاويل قوله (وأقوم للشهادة) يعنى بذلك جل ثناؤه وأصوب للشهادة وأصله من قول القائل أقمته من عوجه اذا سويته فاستوى وانما كان الكتاب أعدل عند الله وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه لانه يحوى الالفاظ التى أقربها البائع والمشترى ورب الدين والمستدين على نفسه فلا يقع بين الشهود اختلاف فى ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب واذا اجتمعت شهادتهم على ذلك كان فصل الحكم بينهم أبين لمن احتكم اليه من الحكام مع غير ذلك من الاسباب وهو أعدل عند الله لانه قد أمر به واتباع أمر الله لاشك انه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه ۞ القول فى تاويل قوله (وأدنى ألا ترتابوا) يعنى جل ثناؤه بقوله وأدنى وأقرب من الدنو وهو القرب ويعنى بقوله ألا ترتابوا من أن لا تشكوا فى الشهادة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ذلك أدنى ألا ترتابوا يقول لا تشكوا فى الشهادة وهو تفعيل من الريبة ومعنى الكلام ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذى لكم قبل من داينتموه من الناس الى أجل صغيرا كان ذلك الحق قليلا أو كثيرا فان كتابكم ذلك أعدل عند الله وأصوب لشهادة شهودكم عليه وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والاجل اذا كان مكتوبا ۞ القول فى تاويل قوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) ثم استثنى جل ذكره مما أمرهم به أن يساموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التى لهم عليهم ما وجب لهم قبلهم من حق عن مبايعة بالنقود الحاضرة يدا بيد فرخص لهم فى ترك اكتتاب الكتب بذلك لان كل واحد منهم أغنى من الباعة والمشترى يقبض اذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه بعد اما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة فلا حاجة لهم فى ذلك الى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتابا بما وجب لهم قبلهم وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم فلذلك قال تعالى ذكره

الا

زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس أى مسه الجنى فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا أيضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا أرادوا تقبيح شئ أن يضيفوه الى الشيطان كما فى قوله

تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وأرباب الحزم واللب وأكثر المسلمين على أن الشيطان لا يبعد أن يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الآية أقوال أحدها ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقوله من المس متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع أو يتعلق ببقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا آكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك ان الشيطان يدعو الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وأفعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات آكل الربا على ذلك أورثه الخبط في الآخرة وأوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القياس ان يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا أو نسيئة فهذا حلال وكذا اذا أعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع

الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم لا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء فليس عليكم جناح ألا تكتبوها يقول فلا حرج عليكم ألا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم يقول معكم بالبلد ترونها فتوخذ وتعطى فليس على هؤلاء جناح ألا يكتبوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله الى قوله فليس عليكم جناح ألا تكتبوها قال أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله وأمر ما كان يدا بيد أن يشهد عليه صغيرا كان أو كبيرا ورخص لهم ألا يكتبوه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وعامة القراء الا أن تكون تجارة حاضرة بالرفع وانفرد بعض قراء الكوفيين فقرأه بالنصب وذلك وان كان جائزا في العربية اذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان وتضمر معها في كان مجهولا فتقول ان كان طعاما طيبا فائتنابه وترفعها فتقول ان كان طعام طيب فائتنابه فتتبع النكرة خبرها بمثل اعرابها فان الذي أختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغيره الرفع في التجارة الحاضرة لاجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ولا يعترض بالشاذ على الحجة ومما جاء نصبا في ذلك قول الشاعر

أعيني هلا تبكيان عفاقا * اذا كان طعنا بينهم وعناقا

(وقال الآخر)

ولله قومي أي قوم بحرة * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

وانما تفعل العرب ذلك في النكرات لما وصفنا من اتباع أخبار النكرات أسماءها وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب فاذا رفعوهما جميعهما تذكروا اتباع النكرة خبرها واذا نصبوهما تذكروا صحبة كان منصوب ومرفوع ووحدوا النكرة يتبعها خبرها وأخبر وافي كان مجهولا لاحتمالها الضمير وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك الا أن تكون تجارة حاضرة انما قرأه على معنى الا أن يكون تجارة حاضرة فزعم انه كان يلزم قارئ ذلك أن يقرأ يكون بالياء وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الاعراب وألزمه غير ما يلزمه وذلك ان العرب اذا جعلوا مع كان نكرة مؤنثا تبعها أو خبرها أنثوا كان مرة وذكروها أخرى فقالوا ان كانت جارية صغيرة فاشتروها واذ كر كان وان نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا وتؤنث أحيانا وقد زعم بعض نحوي البصرة أن قوله الا أن تكون تجارة حاضرة مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لان يكون بمعنى التمام ولا حاجة بها الى الخبر بمعنى الا أن توجد أو تقع أو تحدث فالزم نفسه ما لم يكن له الازما لانه انما ألزم نفسه ذلك اذ لم يكن يجد لكان منصوبا ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة وأغفل جواز قوله تديرونها بينكم أن تكون خبرا لكان فيستغني بذلك عن الزام نفسه ما ألزم والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في العربية غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه وفي المعنى أصح وهو أن يكون في قوله تديرونها بينكم وجهان أحدهما أنه في موضع نصب على أنه حال محل خبر كان والتجارة الحاضرة اسمها والآخر أنه في موضع رفع على اتباع التجارة الحاضرة لان خبر النكرة يتبعها فيكون تاويله الا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ۞ القول في تاويل قوله (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعني بذلك جل ثناؤه وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم عاجل ذلك وآجله ونقده ونسائه فان ارخاصي لكم في ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم بدا بيد

الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد فى الحال وسيحصل له اموال كثيرة فى المآل فاعطاه الزيادة عند وجدان المال أسهل عليه من البقاء فى الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله وأحل الله البيع وحرم الربا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من (٨٢) عمل ابليس أمره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال أنا خير منه ثم ظاهر الآية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام على أكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون أكل الربا من الكبائر ويجب تاويل مقدمة الآية بان المراد من أكلهم الربا استطابته واستحلاله كما يقال فلان يأكل مال الله قضما وهضما أى يستحل التصرف فيه الا ان جمهور المفسرين حملوا الآية على وعيد من يتصرف فى مال الربا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قيل ويحتمل أن يكون قوله وأحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد وأكثر المفسرين على خلافه لان جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضماره وان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار أو على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وأيضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة لائقا بالمقام وأيضا المسلمون لم يزالوا متمسكين فى البيع بهذه الآية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعى

ونقد اليس بارخاص منى لكم فى ترك الاشهاد منكم على من يعتموه شيأ وابتعتم منه لان فى ترككم الاشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين أما على المشترى بان يجحد البائع البيع وله بينة على ملكه ما قد باع ولا بينة للمشترى منه على الشراء منه فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه ويقضى له به فيذهب مال المشترى باطلا وأما على البائع فان يجحد المشترى الشراء وقد زال ملك البائع عما باع ووجب له قبل المبتاع ثمن ما باع فيحلف على ذلك فيبطل حق البائع قبل المشترى من ثمن ما باعه فامر الله عز وجل الفريقين بالاشهاد لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر ثم اختلفوا فى معنى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم أهو أمر من الله واجب بالاشهاد عند المبايعة أم هو ندب فقال بعضهم هو ندب ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن وشقيق عن رجل عن الشعبى فى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ألم تسمع الى قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا الربيع بن صبيح قال قلت للحسن أرأيت قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان أشهدت عليه فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد عليه فلا باس **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن صبيح قال قلت للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقد فى شهرين ولا ثلاثة أترى باسا أن لا أشهد عليه قال ان أشهدت فهو ثقة للذى لك وان لم تشهد فلا باس **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن داود عن الشعبى وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاؤا أشهدوا وان شاؤا لم يشهدوا * وقال آخرون الاشهاد على ذلك واجب ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ولكن أشهدوا عليها اذا تبايعتم أمر الله ما كان يدا بيد أن يشهدوا عليه صغيرا كان أو كبيرا **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان بيع حاضر فان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وما كان من بيع الى أجل فامر الله أن يكتب ويشهد عليه وذلك فى المقام وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن الاشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم لما قد بينا من ان كل أمر لله ففرض لا ما قامت حجته من الوجه الذى يجب التسليم له بانه ندب وارشاد وقد دللنا على وهى قول من قال ذلك منسوخ ابقوله فليؤد الذى اؤتمن أمانته فيما مضى فاغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم ذلك نهى من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله فيكتب هذا ما لم يملله المملى ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه ولا شهيد بما لم يستشهد **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس قال كان الحسن يقول لا يضار كاتب فيزيد شيأ أو يحرف ولا شهيد قال لا يكتم الشهادة ولا يشهد الا بحق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد عن قتادة قال اتقى الله شاهد فى شهادته لا ينقص منها حقا ولا يزيد فيها باطلا اتقى الله كاتب فى كتابه فلا يزيدن منه حقا ولا ينقصن فيه باطلا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار

كاتب

وهو ان الآية من المجملات التى لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفى فى العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته أضعف مما لو قيل وأحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك فقد

تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب ثم اطلاق اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وأيضا روى ان عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وأيضا قوله وأحل الله البيع يقتضي أن يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي أن يكون كل ربا حراما لان الربا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من ربه فانتهى امتنع من استحلال الربا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه أخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم أو للتقليل أي موعظة بليغة أو شئ من المواعظ وقيل النهي المتأخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما أكل من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه أول ما يخرج من عصيرها وأمره الى الله لانه ان انتهى عن أكل الربا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن عاد الى استحلال الربا وانه مثل البيع فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى أكل الربا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا وكان بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربا وفعل الصدقة فقال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والمحق نقص الشئ حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من

كاتب فيكتب غير الذي أملى عليه قال والكتاب يومئذ قليل ولا يدرون أي شئ يكتب فضار فيكتب الذي غير الذي أملى عليه فيبطل حقهم قال والشهيد يضار فيحول شهادته فيبطل حقهم فاصل الكلمة على تاويل من ذكرنا من هؤلاء ولا يضار رفع كاتب ولا شهيد ثم أدغمت الراء في الراء لانهما من جنس وحركت الى الفتح وموضعها جزم لان الفتح أخف الحركات * وقال آخرون ممن تاول هذه الكلمة هذا التأويل معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بالامتناع ممن دعاهما الى أداء ما عندهما من العلم والشهادة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول أن يؤديا ما قبلهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضارا أن يؤديا ما عندهما من العلم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال لا يضار كاتب ولا شهيد قال أن يدعوهما فيقولان ان لنا حاجة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد ولا يضار كاتب ولا شهيد قالا واجب على الكاتب أن يكتب ولا شهيد فالا اذا كان قد شهد قبله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يضار المستكتب والمستشهد والكاتب والشهيد وتاويل الكلمة على مذهبهم ولا يضار على وجه ما لم يسم فاعله ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كان عمر يقرأ ولا يضار رفع كاتب ولا شهيد **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال كان ابن مسعود يقرأ ولا يضار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد انه كان يقرأ ولا يضار رفع كاتب ولا شهيد وانه كان يقول في تاويلها ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده الى أن يشهد ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه ان ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته وقال مجاهد لا يقم عن شغله وحاجته فيجد في نفسه أو يخرج **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد والضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله قد أمرك ان لا تابى اذا دعيت فيضاره بذلك وهو مكتف بغيره فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال وان تفعلوا فانه فسوق بكم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول انه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بد فيقول خلوا سبيله **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال يكون به العلة أو يكون مشغولا يقول فلا يضار **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه كان يقول ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول لا يأتي الرجل فيقول انطلق فاكتب لي واشهد لي فيقول ان لي حاجة فالتمس غيري فيقول اتق الله فانك قد أمرت أن تكتب لي فهذه المضارة ويقول دعه والتمس غيره والشاهد بتلك المنزلة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول يدعو الرجل الكاتب والشهيد فيقولان لنا حاجة فيقول الذي يدعوهما ان الله عز وجل أمركما أن تجيبا في الكتابة والشهادة يقول الله عز وجل لا يضارهما **حدثت** عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد هو الرجل يدعو الكاتب والشاهد وهما على حاجة مهمة فيقولان انا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا فيقول والله لقد أمركما أن تجيبا فامره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما يعني لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال

محق الرباو ارباء الصدقات اما فى الدنيا واما فى الآخرة وذلك ان الغالب فى المرابى وان كثر ماله ان تؤل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه وبغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظالمة فى ماله ظنا منهم ان (٨٤) المال فى الحقيقة ليس له وعن ابن عباس فى تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربا لا يبقى عند الموت وتبقى التبعة عليه وقد ثبت فى الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغنى من الحلال فكيف حال الغنى من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربا المثل الذى ضربه فيما تقدم * كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله و يربى الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب وياخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم مهره أو فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وأيضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه وتنقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربا وان كان زيادة فى المال الا انه نقصان فى المآل والصدقة ان كانت نقصانا فى الحال الا انها زيادة فى الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضى به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع والله لا يحب كل كفار أثيم الكفار فعال من الكفر الله ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كختار وقوال والاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو أيضا للمبالغة فى الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدا وجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المتحمل والاثيم الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل

ثنا اسباط عن السدى قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ليس ينبغى أن يعترض رجلا له حاجة فيضاره فيقول له اكتب لى فلا يتركه حتى يكتب له و يفوته حاجته ولا شاهدا من شهود لك وهو مشغول فتقول اذهب فاشهد لى تحبسه عن حاجته وأنت تجد غيره **حدثنى** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لما نزلت هذه الآية ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله كان أحدهم يجىء الى الكاتب فيقول اكتب لى فيقول انى مشغول أولى حاجة فانطلق الى غيرى فيلزمه و يقول انك قد أمرت أن تكتب لى فلا يدعه و يضاره بذلك وهو يجد غيره و ياتى الرجل فيقول انطلق معى فيقول اذهب الى غيرى فانى مشغول أولى حاجة فيلزمه و يقول قد أمرت أن تتبعنى فيضاره بذلك وهو يجد غيره فانزل الله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ان لى حاجة فدعنى فيقول اكتب لى ولا شهيد كذلك * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بمعنى ولا يضارهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بان يابى على هذا الا أن يكتب له وهو مشغول بامر نفسه و يابى على هذا الا أن يجيب الى الشهادة وهو غير فارغ على ما قاله قائلو ذلك من القول الذى ذكرنا قبل وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره لان الخطاب من الله عز وجل فى هذه الآية من مبتدئها الى انقضائها على وجه افعلوا ولا تفعلوا انما هو خطاب لاهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذى تداينوه بينهم من الديون فاما ما كان من أمر أو نهى فيها الغير هم فانما هو على وجه الامر والنهى للغائب عن المخاطب كقوله وليكتب بينكم كاتب وكقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وما أشبه ذلك فالواجب اذا كان المامورون فيها مخاطبين بقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم أشبه منه بان يكون مردودا على الكاتب والشهيد ومع من ذلك ان الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرر لقيل وان يفعلا فانه فسوق بهما لانهما اثنان وانهما غير مخاطبين بقوله ولا يضار بل النهى بقوله ولا يضار نهى للغائب عن المخاطب فتوجيه الكلام الى ما كان نظير المعانى سياق الآية أولى من توجيهه الى ما كان منعدلا عنه ۞ القول فى تاويل قوله (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وان تضاروا الكاتب والشاهد وما نهيتم عنه من ذلك فانه فسوق بكم يعنى اثم بكم ومعصية * واختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وان تفعلوا فانه فسوق بكم يقول ان تفعلوا غير الذى آمركم به فانه فسوق بكم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس وان تفعلوا فانه فسوق بكم والفسوق المعصية **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق العصيان * وقال آخرون معنى ذلك وان يضار كاتب فيكتب غير الذى أملى المملى و يضار شهيد فيحول شهادته و يغيرها فانه فسوق بكم يعنى فانه كذب ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق الكذب قال هذا فسوق لانه كذب الكاتب فحول كتابه فكذب وكذب الشاهد فحول شهادته فاخبرهم الله انه كذب وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد انما معناه لا يضارهما المستكتب والمستشهد بما فيه الكفاية بقوله وان تفعلوا انما هو اخبار منه مضارهما بحكمه فيهما وان من يضارهما فقد عصى ربه واثم به ووكب ما لا يحل له وخرج عن طاعة ربه فى ذلك ۞ القول فى تاويل قوله (واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شئ عليم) يعنى بقوله جل ثناؤه واتقوا الله وخافوا الله أيها المتداينون فى الكتاب والشهود ان تضار وهم وفى غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه و يعنى بقوله و يعلمكم

ان يعود كلاهما الى أكل الربا ويكون تغليظا فى أمر الربا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفى الآية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كاربا فان استحلاله كفر وهو فى نفسه اثم مذموم فى جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقى الآية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذى لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذى لم يواظب على سائر الآثام لم يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافى السكوت عن حكمه ههنا والله أعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان حكما مر وأجيب بانه قال فى الآية وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة وردبان الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى فى غيره على الاصل لهم أجرهم عند ربهم لم يقل على ربهم لان الاول يجرى مجرى ما اذا باع بالنقد وذلك النقد حاضر متى شاء البائع أخذه والثانى جار مجرى البيع فى الذمة نسيئة ولا شك ان الاول أفضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس أى فيما يستقبلهم من أحوال القيامة ولا هم يحزنون بسبب ما تركوه فى الدنيا فان المنتقل من حال

الله ويبين لكم الواجب لكم وعليكم فاعملوا به والله بكل شئ عليم يعنى من أعمالكم وغيرها يحصيها عليكم ليجازيكم بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله ويعلمكم الله قال هذا تعليم علمكموه فخذوا به ۞ القول فى تاويل قوله (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته القراء فى الامصار جميعا كاتبا بمعنى ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجل مسمى فرهان مقبوضة وقرأ جماعة من المتقدمين ولم تجدوا كتابا بمعنى ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين سبيل اما بتعذر الدواة والصحيفة واما بتعذر الكاتب وان وجدتم الدواة والصحيفة والقراءة التى لا تجوز غيرها عندنا هى قراءة الامصار ولم تجدوا كاتبا بمعنى من يكتب لان ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين وان كنتم أيها المداينون فى سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين الذى تداينتموه الى أجل بينكم مسمى الذى أمرتكم باكتتابه والاشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التى تداينتموها الى الاجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينوه كذلك ليكون ثقة لكم باموالكم ذكر من قال ما قلنا فى ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فمن كان على سفر فباع بيعا الى أجل فلم يجد كاتبا فرخص له فى الرهان المقبوضة وليس له ان وجد كاتبا أن يرتهن **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا يقول كاتبا يكتب لكم فرهان مقبوضة **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان من بيع الى أجل فامر الله عز وجل أن يكتب ويشهد عليه وذلك فى المقام فان كان قوم على سفر تبايعوا الى أجل فلم يجدوا فرهان مقبوضة ذكر من تأول ذلك على القراءة التى حكيناها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فان لم تجدوا كاتبا يعنى بالكتاب الكاتب والصحيفة والدواة والقلم **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى أبى عن ابن عباس انه قرأ فان لم تجدوا كتابا قال ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتبا **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا ويقول ربما وجد الكاتب ولم يجد الصحيفة أو المداد ونحو هذا من القول **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا يقول مدادا يقرأها كذلك يقول فان لم تجدوا مدادا فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة فرهن مقبوضة قال لا يكون الرهن الا فى السفر **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب قال ان أبا العالية كان يقرأها فان لم تجدوا كتابا قال أبو العالية يوجد الدواة ولا يوجد الصحيفة * واختلف القراء فى قراءة قوله فرهان مقبوضة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق فرهان مقبوضة بمعنى جماع رهن كما الكباش جمع كبش والبغال جمع بغل والنعال جمع نعل وقرأ ذلك جماعة آخرون فرهن مقبوضة على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم الى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف وقرأه آخرون فرهن مخففة الهاء على معنى جمع رهن كما تجمع السقف سقفا قالوا ولا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهن والرهن والسقف والسقف والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه فرهان مقبوضة لان ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل كما يقال حبل وحبال وكعب وكعاب ونحو ذلك من الاسماء فاما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فنادر قليل انما جاء فى أحرف يسيرة وقيل سقف وسقف وسقف وقاب وقلب وقلب من قلب النخل وحد وحد للحد

الى حال أخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق أهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذى حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة فى الآخرة وأيضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة أزيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين لثواب

أزيد مما وجدناه لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله ولما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت أو الرجل بلغ عارفا بالله وقبل ان يجب عليه الصلاة والزكاة مات فهما بالاتفاق من أهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربا فله ما سلف كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فبين انه يحرم أخذ ما بقي من الربا في ذممهم فان قيل كيف قال يا أيها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب ان هذا كما يقال ان كنت أخي فاكرمني معناه ان من كان أخا أكرم أخاه ومعناه اذ كنتم مؤمنين أو ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان أو يا أيها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا أصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر وأجيب بان المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وظن نفسه على ان تلك الزيادة حصلت له فقط لما مه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون بالانتهاء مما نهى عنه وهذه الآية أصل كبير في أحكام الكفار اذا أسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام

الذي هو بمعنى الخط وأما ما جاء من جمع فعل على فعل فنط ونطع وردد وردود جور وجور وانما دعا الذي قرأ ذلك فرهن مقبوضة الى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فعل انه وجد الرهان مستعملة في رهان الخيل فاحب صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل الذي هو بغير بمعنى الرهان الذي هو جمع رهن ووجد الرهن مقولا في جمع رهن كما قال قعنب

بانت سعاد وأمسى دونها عدن * وعلقت عندها من قبلك الرهن

القول في تاويل قوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه) يعني بذلك جل ثناؤه فان كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهنا بدينه لامانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدين ربه يقول فليخف الله وربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلظ دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه اليه وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عز وجل ناسخ الاحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عز وجل بالشهود والكتاب وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته انما يعني بذلك في السفر فاما الحضر فلا وهو واجد كاتبا فليس له أن يرتهن ولا يأمن بعضهم بعضا وهذا الذي قاله الضحاك من أنه ليس لرب الدين ائتمان المدين وهو واجد الى الكاتب والكتاب والاشهاد عليه سبيلا وان كان في سفر فكما قال لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل وأما ما قال من أن الامر في الرهن أيضا كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله اذا وجد الى الكاتب والشهيد سبيلا في حضر أو سفر فانه قول لا معنى له لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشترى طعاما نساء ورهن به درعا له فجائز للرجل أن يرتهن بما عليه ورتهن بماله من حق في السفر والحضر لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان معلوما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتبا ولا شهيدا لانه لم يكن متعذرا عليه بمدينته في وقت من الاوقات الكاتب والشاهد غير انهما اذا تبايعا رهن فالواجب عليهما اذا وجدا سبيلا الى كاتب وشهيد وكان البيع أو الدين الى أجل مسمى أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرهن وانما يجوز ترك الكتاب والاشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما الى ذلك سبيل القول في تاويل قوله (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال باشهادهم فقال لهم ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام كما شهدتم على ما شهدتم عليه ولكن أجيبوا من شهدتم له اذا دعاكم لاقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وابائه من أدائها والقيام به عند حاجة المستشهد الى قيامه بها عند الحاكم أو ذي سلطان فقال ومن يكتمها يعني ومن يكتم شهادته فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه مكتسب بكتمانه اياها معصية الله كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فلا يحل لاحد أن يكتم شهادة هي عنده وان كانت على نفسه والوالدين ومن يكتمها فقد ركب اثما عظيما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لان الله يقول ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وشهادة الزور

فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمى وهذا مذهب الشافعى وأما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله أعلم انها نزلت فى بنى عمرو بن عوف من ثقيف وفى بنى المغيرة من بنى مخزوم كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فاتى بنو عمرو بن عمير و بنو المغيرة الى عتاب بن أسيد وهو على مكة (٨٧) فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب فى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتى بعدها فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله قال عطاء وعكرمة نزلت فى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا فى الثمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب الثمر لا يبقى لى ما يكفى عيالى ان أنتما أخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما جاء الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقال السدى نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فاذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا أى فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فاذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا لانه خطاب

الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقد روى عن ابن عباس انه كان يقول على الشاهد أن يشهد حيث ما استشهد و يجيز بها حيث استجير **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن مسلم قال أخبرنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فاخبره بها ولا تقل أخبر بها عند الامير أخبره بها لعله يراجع أو يرعوى وأما قوله والله بما تعملون فانه يعنى بما تعملون فى شهاداتكم من اقامتكم والقيام بها أو كتمانكم اياها عند حاجة من استشهدكم اليها و يغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها علیم يحصيه عليكم ليجزيكم بذلك كله جزاءكم اما خيرا واما شرا على قدر استحقاقكم ۞ القول فى تاويل قوله (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) يعنى جل ثناؤه بقوله لله ما فى السموات وما فى الارض لله ملك كل ما فى السموات وما فى الارض من صغير وكبير واليه تدبير جميعه و بيده صرفه وتقليبه لا يخفى عليه منه شئ لانه مدبره ومالكه ومصرفه وانما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة يقول لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يفجر قلبه ولن يخفى على كتمانه ذلك لانى بكل شئ علیم و بيدى صرف كل شئ فى السموات والارض وملكه أعلمه فخفى ذلك وجليه فاتقوا عقابى اياكم على كتمانكم الشهادة وعيدا من الله بذلك من كتمها وتخويفا منه له ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم و بمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فاضمرها أو أظهر موبقة فابداها من نفسه من المحاسبة عليها فقال وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه أيها القول وان تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والانكار وتخفوا ذلك فتضمروا فى أنفسكم وغير ذلك من سيئ أعمالكم يحاسبكم به يعنى بذلك يحتسب به عليه من أعماله فيجازى من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله وغافر منكم لمن شاء من المسلمين ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقال بعضهم مما قلنا من أنه عنى به الشهود فى كتمانهم الشهادة وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا أبو نعيل عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول يعنى فى الشهادة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال سئل داود عن قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فحدثنا عن عكرمة قال هى الشهادة اذا كتمتها **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو وأبى سعيد انه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى عن الشعبى فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نزلت فى كتمان الشهادة واقامتها **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن عكرمة فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يعنى كتمان الشهادة واقامتها على وجهها * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية اعلاما من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لا يعملونه ثم اختلف متأولو ذلك كذلك فقال بعضهم ثم نسخ الله ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن

مع قوم تقدم ذكرهم وماهم الا المخاطبون بقوله يا أيها الذين آمنوا ومعنى قوله فاذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا به من لم ينته عن الربا
بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا أمروا باعلام غيرهم فهم أيضا قد علموا ذلك لكن ليس فى علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة فى
الابلاغ آكد ممن قرأ فاذنوا (٨٨) من أذن بالشئ اذا علم به أى كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه

مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال لما نزلت لله ما فى السموات وما فى الارض
وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فاشتد ذلك على القوم فقالوا يا رسول انا لمؤاخذون بما نحدث به
أنفسنا هلكنا فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية الى قوله وبنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا
قال أجل قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين
من قبلنا الى آخر الآية قال أجل قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم **حدثنا**
أبو كريب قال ثنا وكيع وثنا سفيان بن وكيع قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد بن
خالد قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دخل قلوبهم منها شئ لم يدخلها من شئ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فألقى الله عز وجل الايمان فى قلوبهم قال فانزل الله عز وجل آمن الرسول
بما أنزل اليه من ربه قال أبو كريب فقرأ بنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
حدثنى أبو الرداد المصرى عبد الله بن عبد السلام قال ثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد عن حيوة بن
شريح قال سمعت يزيد بن أبى حبيب يقول قال ابن شهاب حدثنى سعيد بن مرجانة قال جئت عبد الله بن عمر
فتلا هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم قال ابن عمر
لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه قال ثم جئت عبد الله بن العباس فقلت يا أبا
عباس انى جئت ابن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية ثم قال لئن آخذنا بهذه الآية
لنهلكن ثم بكى حتى سالت دموعه فقال ابن عباس يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرق أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها كما فرق ابن عمر منها فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فنسخ الله الوسوسة وأثبت القول والفعل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن زيد
عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة يحدث انه بيناهو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية لله ما فى
السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية فقال والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى
ابن عمر حتى سمع نشيجه فقال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما تلا ابن عمر وما فعل حين
تلاها فقال عبد الله بن عباس يغفر الله لابى عبد الرحمن لعمرى لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد
عبد الله بن عمر فانزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه
الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى ان قضى الله عز وجل ان للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فى القول والفعل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت الزهرى
يقول فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فقرأها ابن عمر فبكى وقال انا لمؤاخذون بما نحدث به فى
أنفسنا فبكى حتى سمع نشيجه فقام رجل من عنده فاتى ابن عباس فذكر ذلك له فقال رحم الله ابن عمر لقد
وجد المسلمون نحوا مما وجد حتى نزلت لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنى**
المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر عن سليمان عن جميد الاعرج عن مجاهد قال كنت
عند ابن عمر فقال ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية فبكى فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك فضحك
ابن عباس فقال يرحم الله ابن عمر أو ما يدرى فيم أنزلت ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم غما شديدا وقالوا يا رسول الله هلكنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا

المغفلة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء فى الخبر من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أصلا فى قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد فى كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه وأجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعى الزكاة وكذا القول لو أجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربا أو عن معاملة الربا فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان هى التى تسمى تامة بمعنى وجد الشئ وحدث فى نفسه فنسختها

لا بمعنى وجد موصوفا بشئ فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم أو المشترى ذا عسرة والقراءة المشهورة أولى كيلا تكون النظرة مقصورة على الغريم المشترى بل تعمه وغيره من أرباب العسرة وهى اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود

من المال والنظرة التأخير والامهال وفى الآية حذف والتقدير فالحكم أو فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره على الامر أى سامحه بالانظار وناظره أى صاحب الحق منتظرة أو ذو نظرة مثل مكان عاشب أى ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلوة (٨٩) واختلفوا فى ان حكم الانظار مختص بالربا أو عام فى الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدى وابراهيم الآية فى الربا قال الكلبى قال بنو عمرو ابنى المغيرة هاتوا رؤس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسرة فاخرونا الى أن تدرك الثمرة فابوا أن يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة فى كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن أداء المال لايجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبى حنيفة والشافعى والاعسار فى الشرع هو أن لايجد فى ملكه مايؤديه بعينه ولايكون له مال لو باعه لامكن أداء الدين من ثمنه ومن وجد دارا أو ثوبا لايعد من ذوى العسارة اذا أمكنه بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس الاقوت يومه لنفسه وعياله ومالابد لهم من كسوة لصلاتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه أن يؤجر نفسه من صاحب الدين أو غيره الاصح انه لايلزمه وكذا البذل غيره له مايؤديه لايلزمه القبول فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه أن يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بماله عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له وديعة فى اعساره جاز أن يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذى لزمه حصل له عن

فنسختها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله الى قوله وعليها ما اكتسبت فتجوزلهم من حديث النفس وأخذوا بالاعمال **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن سالم ان أباه قرأ ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عينه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التى بعدها لايكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال نسخت هذه الآية ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه لايكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه قالوا أنؤاخذ بما حدثنابه أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا قال فنزلت هذه الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت قال فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة لم تعطها الامم قبلها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل عن عامر ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فنسختها الآية بعدها قوله لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها الآية التى بعدها لايكلف الله نفسا الا وسعها وقوله وان تبدوا قال يحاسبكم بما بدا من سر أو اخفى من سر فنسختها التى بعدها **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبى قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التى بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فنسخت ما كان قبلها **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ذكروا عند الشعبى ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه حتى بلغ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فقال الشعبى الى هذا صار رجعت الى آخر الآية **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه قال قال ابن مسعود كانت المحاسبة قبل أن تنزل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلما نزلت نسخت الآية التى كانت قبلها **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يذكر عن ابن مسعود نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال نسخت ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وسفيان عن جابر عن مجاهد وعن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قالوا نسخت هذه الآية لايكلف الله نفسا الا وسعها ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر بمثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن حميد عن الحسن فى قوله ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه الى آخر الآية قال محتها لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه قال نسخت هذه الآية يعنى قوله لايكلف الله نفسا الا وسعها الآية التى كانت قبلها ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها قوله لايكلف الله نفسا الا وسعها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن زيد قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا

عوض كالبيع أو القرض فلا بدله من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك فان لم يكن عن عوض كاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر رأس المال خير لكم ولحصول الثناء الجميل فى (٩٠) الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من

ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الى آخر الآية اشتدت على المسلمين وشقت مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو وقع فى أنفسنا شئ لم نعمل به واخذنا الله به قال فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله قال فنزل القرآن يفرجها عنهم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فصيره الى الاعمال وترك ما يقع فى القلوب **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا هشيم عن سيار أبى الحكم عن الشعبى عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسخت هذه الآية التى بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وسوست به أنفسهم وما عملوا فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ان عمل أحدنا وان لم يعمل أخذنا به والله ما نملك الوسوسة فنسخها الله بهذه الآية التى بعدها بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكان حديث النفس مما لم تطيقوا الآية **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت نسختها قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقال آخرون ممن قال معنى ذلك الاعلام من الله عز وجل عباده انه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه هذه الآية محكمة غير منسوخة والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصروه فى أنفسهم ونووه وأرادوه فيغفره للمؤمنين ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فانهم لم تنسخ ولكن الله عز وجل اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول الله عز وجل انى أخبركم بما أخفيتم فى أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتى فاما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من الشك والنفاق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فذلك سر عملكم وعلانيته يحاسبكم به الله فليس من عبد مؤمن يسر فى نفسه خيرا يعمل به فان عمل به كتبت له به عشر حسنات وان هو لم يقدر أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل انه مؤمن والله يرضى سر المؤمنين وعلانيتهم وان كان سوأ حدث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر وان هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به فان عمل به تجاوز الله عنه كما قال أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال قال ابن عباس ان الله يقول يوم القيامة ان كتابى لم يكتبوا من أعمالكم الا ما ظهر منها فاما ما أسررتم فى أنفسكم فانا أحاسبكم به اليوم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا على بن عاصم قال أخبرنا بيان عن بشر عن قيس بن أبى حازم قال اذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل يسمع الخلائق انما كان كتابى يكتبون عليكم ما ظهر منكم فاما ما أسررتم فلم تكونوا تكتبونه ولا يعلمونه أنا الله أعلم بذلك كله منكم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله كان ابن عباس يقول اذا دعى الناس للحساب

لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده أو تعلمون ان ما يأمركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربا كانوا أصحاب شرف وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم أحكام الربا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصى وفعل الاوامر فى الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تاهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله أى الى ما اعد لكم من ثواب أو عقاب أو الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له أحوال ثلاث

على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا فلا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى فضاء وهنا لك يرى للابوين ولغيرهما أخبرهم تصرف فيه ظاهر الثالثة ما بعد الموت وهنا لك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفى الحقيقة الا لله تعالى فكانه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت أى جزاء ذلك أو المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد ان كل مكلف

فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق يا أكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذى أوقع نفسه فى تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وأزاح عذره وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهل هذا على اصول (٩١) المعتزلة وأما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف فى ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وثمانين يوما وقيل احدى وعشرين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات والله تعالى أعلم بحقيقة الحال التأويل أخبر عن حرص أهل الدنيا وهم أكلة الربا بعد ذكر قناعة أهل العقبى فمثل آكل الربا كمثل من له جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر فانها أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع وفى الحديث مثلان أحدهما للمفرط بحيث يفضى به الى الهلاك فى الدنيا والعقبى فى جمع الدنيا وأشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم وذلك ان الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها فتهلك أو تقارب الهلاك والمثل الآخر المقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك

أخبرهم الله بما كانوا يسرون فى أنفسهم مما لم يعملوه فيقول انه كان لا يعزب عنى شئ وانى مخبركم بما كنتم تسرون من السوء ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه فهذه المحاسبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس نحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال هى محكمة لم ينسخها شئ يقول يحاسبكم به الله يقول يعرفه الله يوم القيامة انك أخفيت فى صدرك كذا وكذا فيؤاخذه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال هى محكمة لم تنسخ **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال من الشك واليقين **حدثنى** محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول فى اليقين والشك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة وان تبدوا ما فى أنفسكم من شئ من الاعمال فتظهروه بايدانكم وجوارحكم أو تخفوه فتسروه فى أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقى أحاسبكم به فاغفر كل ذلك لاهل الايمان وأعذب أهل الشرك والنفاق فى دينى وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه وعلى ما قاله الربيع بن أنس فان تأويلها ان تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى أو تضمروا ارادته فى أنفسكم فتخفوه يعلمكم به الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأما قول مجاهد فشبيه معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة

* وقال آخرون ممن قال هذه الآية محكمة وهى غير منسوخة ووافقوا الذين قالوا معنى ذلك ان الله عز وجل أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا أو أخفوا من أعمالهم معناها ان الله محاسب جميع خلقه بما أبدوا من شئ أعمالهم وجميع ما أسروه ومعاقبهم عليه غير ان عقوبته اياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والامور التى يحزنون عليها ويألمون منها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال كانت عائشة رضى الله عنها تقول من هم بسيئة فلم يعملها فكانت كفارته **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال كانت عائشة تقول كل عبد يهم بمعصية أو يحدث بها نفسه حاسبه الله بها فى الدنيا يخاف ويحزن ويهتم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك قال قالت عائشة فى ذلك كل عبد هم بسوء ومعصية وحدث نفسه به حاسبه الله فى الدنيا يخاف ويحزن ويشتد همه لا يناله من ذلك شئ كاهم بالسوء ولم يعمل منه شيأ **حدثنا** الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أمية انها سألت عائشة عن هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ومن يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها فى طيه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وأولى الاقوال التى ذكرناها بتأويل الآية قول من قال انها محكمة وليست بمنسوخة وذلك ان النسخ لا يكون فى حكم الا بتعبه بآخر له نافٍ من كل وجوهه

ان الخضر ليست من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان (٩٢) بامر الشرع وطريق الحل ما أضر به وأحل الله البيع وحرم الربا يغني كيف يكون ما أزال

وليس في قوله جل وعز لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله أو تخفوه يحاسبكم به الله لان المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فاخبر ان كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها فلم تكن الكتب وان أحصت صغائر الذنوب وكبائرها بموجب احصاؤها على أهل الايمان بالله ورسوله وأهل الطاعة ان يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين لان الله عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر فقال في تنزيله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما فدل أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسب به من الامور التي أخفتها أنفسهم غير موجبة لهم منه عقوبة بل محاسبته اياهم ان شاء الله عليها ليعرفهم بفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي حدثني به أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يدني الله عبده المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بسيئاته يقول هل تعرف فيقول نعم فيقول سترتها في الدنيا واغفرها اليوم ثم يظهر له حسناته فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه أو كما قال وأما الكافر فانه ينادي به على رؤس الاشهاد حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وسعيد وهشام وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا هشام قالا جميعا في حديثهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله ابن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب اغفر مرتين حتى اذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ان الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه اياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضلا له عليه بعفوه له عنها فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته اياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرمه عليه فيستره عليه وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين فقال يغفر لمن يشاء فان قال قائل فان قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينبئ عن ان جميع الخلق غير مؤاخذين الا بما كسبته أنفسهم من ذنب ولا مثابين الا بما كسبته من خير قيل ان ذلك كذلك وغير مؤاخذ العبد بشئ من ذلك الا بفعل ما نهي عن فعله أو ترك ما أمر بفعله فان قال فاذ كان ذلك كذلك فما معنى وعيد الله عز وجل ايانا على ما أخفته أنفسنا بقوله ويعذب من يشاء ان كان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا من هم بذنب أو ارادة لمعصية لم تكتسبه جوارحنا قيل له ان الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين ان يغفر لهم عما هو أعظم مما هم به أحدهم من المعاصي فلم يفعله وهو ما ذكرنا من وعده اياهم العفو عن صغائر ذنوبهم اذا هم اجتنبوا كبائرها وانما الوعيد من الله عز وجل بقوله ويعذب من يشاء على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشك في الله والمرية في وحدانيته أو في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله أو في المعاد والبعث من المنافقين على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ان تاويل قوله أو تخفوه يحاسبكم به الله على الشك واليقين غير انا نقول ان المتوعد بقوله ويعذب من يشاء هو من كان اخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية في الله وفيما يكون الشك فيه

قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذر وا ما بقي من الربا اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا بالله
فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله بيعد منهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس أموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون

بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما أعد لاجله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وأن تصدقوا تبذلوا فيما تمنون من صنوف برنا في الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ثم انه (٩٣) سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع في خاتمة الوحي خلاصة آي القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك ان فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لهدينهم سبلنا من حجب أوصافهم الى درجة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات مازاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى لاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس بداية أنوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة وآخر حالك الجذبة وبهما اصطفى آدم وكرم نبيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا أولاد آدم لان أهل الكرامة منهم من هو

بالله كفروا والموعود الغفران بقول فيغفر لمن يشاء وهو الذي اخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الامور التي كان جائزا ابتداء تحليله وابا حته فخرمه على خلقه جل ثناؤه أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزا ابتداء اباحة تركه فاوجب فعله على خلقه فان الذي هم بذلك من المؤمنين اذا هو لم يصح همه بما يهم به و يحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن ماخوذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فهذا الذي وصفنا هو الذي يحاسب الله به مؤمني عباده ثم لا يعاقبهم عليه فاما من كان ما أخفته نفسه شكا في الله وارتيابا في نبوة أنبيائه فذلك هو الهالك المخلد في النار الذي أوعده جل ثناؤه العذاب الاليم بقوله و يعذب من يشاء فتاويل الآية اذا وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فتظهروه أو تخفوه فتنطوي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله فيعرف مؤمنيكم تفضله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره له و يعذب منافقيكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه ۞ القول في تاويل قوله (والله على كل شئ قدير) يعني بذلك جل ثناؤه والله عز وجل على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه على الشك في توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه وعلى غير ذلك من الامور قادر القول في تاويل قوله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) يعني بذلك جل ثناؤه صدق الرسول يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقر بما أنزل اليه يعني بما أوحي اليه من ربه من الكتاب وما فيه من حلال وحرام و وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال يحق له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال و يحق له ان يؤمن وقد قيل انها نزلت بعد قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله على كل شئ قدير لان المؤمنين برسول الله من أصحابه شق عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو اسرائيل فقالوا بل نقول سمعنا وأطعنا فانزل الله لذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقول وصدق المؤمنون أيضا مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله الآيتين وقد ذكرنا قائلي ذلك قبل واختلف القراء في قراءة قوله وكتبه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة و بعض قراء أهل العراق وكتبه على وجه جمع الكتاب على معنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وكتابه بمعنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و بالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابن عباس انه كان يقرأ ذلك وكتابه و يقول الكتاب أكثر من الكتب وكان ابن عباس يوجه تاويل ذلك الى نحو قوله والعصر ان الانسان لفي خسر بمعنى جنس الناس وجنس الكتاب كما يقال ما أكثر درهم فلان وديناره و برادبه جنس الدراهم والدنانير وذلك وان كان مذهبا من المذاهب معروفا فان الذي هو أعجب الى من القراءة في ذلك ان يقرأ بلفظ الجمع لان الذي قبله جمع والذي بعده كذلك أعني بذلك وملائكته وكتبه و رسله فالحاق الكتب في الجمع لفظا به أعجب الى من توحيده واخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ليكون لاحقا في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده و بمعناه ۞ القول في تاويل قوله جل

بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فبقدر مراتبه في العبودية (٩٤) والتقوى يهتدي الى مقامات القرب من المولى وبحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء

ثناؤه (لانفرق بين أحد من رسله) وأما قوله لانفرق بين أحد من رسله فانه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك ففي الكلام في قراءة من قرأ لانفرق بين أحد من رسله بالنون متروك قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه وذلك المتروك هو يقولون وتأويل الكلام والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لانفرق بين أحد من رسله وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه كما ترك ذكره في قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم بمعنى يقولون سلام وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين لا يفرق بين أحد من رسله بالياء بمعنى والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته ورسله لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ولكنهم يصدقون بجميعهم ويقرون أن ما جاؤا به كان من عند الله وانهم دعوا الى الله والى طاعته ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ومن أشبههم من الامم الذين كذبوا بعض رسل الله وأقروا ببعضهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لانفرق بين أحد من رسله كما صنع القوم يعني بني اسرائيل قالوا فلان نبي وفلان ليس نبيا وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون لانفرق بين أحد من رسله لانها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه التشاغر والتواطؤ والسهو والغلط يعني ما وصفنا من يقولون لانفرق بين أحد من رسله ولا يعترض بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية ۞ القول في تأويل قوله (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) يعني بذلك جل ثناؤه وقال الكل من المؤمنين سمعنا قول ربنا وأمره ايانا بما أمرنا به ونهيه عما نهانا عنه وأطعنا يعني أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له وقوله غفرانك ربنا يعني وقالوا اغفر انك ربنا بمعنى اغفر لنا ربنا غفرانك كما يقال سبحانك بمعنى نسبحك سبحانك وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله على ذنوب من غفر له وصفحه لك عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة وعفوه عن العقوبة عليه وأما قوله واليك المصير فانه يعني جل ثناؤه وانهم قالوا واليك يا رب مصيرنا جعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا فان قال لنا قائل فما الذي نصب قوله غفرانك قيل له وقوعه وهو مصدر موقع الامر وكذلك تفعل العرب بالمصادر والاسماء اذا حلت محل الامر وأدت عن معنى الامر نصبتها فيقولون شكرا لله يا فلان وحمدا له بمعنى أشكر الله وأحمده والصلاة الصلاة بمعنى صلوا ويقولون في الاسماء الله الله يا قوم ولو رفع بمعنى هو الله أو هذا الله ووجه الى الخبر وفيه تأويل الامر كان جائزا كما قال الشاعر

ان قوما منهم عمير وأشبا * ه عمير ومنهم السفاح
لجديرون بالوفاء اذا قا * ل أخو النجدة السلاح السلاح

ولو كان قوله غفرانك ربنا جاء رفعا في القراءة لم يكن خطأ بل كان صوابا على ما وصفنا وقد ذكر ان هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء من الله عليه وعلى أمته قال له جبريل صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء فسل ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن حكيم بن جابر قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قال جبريل ان الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة ۞ القول في تأويل قوله (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني بذلك جل ثناؤه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيتعبدها الا بما يسعها ولا يضيق عليها ولا يجهدها وقد بينا فيما مضى قبل

ولايظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة وضيقه ولا يظلم الشمس عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ان ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) القرآت الا ان يملل هو بسكون الهاء قتيبة والحلواني عن قالون الباقون

بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حزه والفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حزه وجبلة فتذكر بالرفع من الاذكار أبو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار و بالنصب أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء (٩٥) والهاء ابن كثير وأبو عمرو و الباقون

ان الوسع اسم من قول القائل وسعني هذا الامر مثل الجهد والوجد من جهدني هذا الامر ووجدت منه كما
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال الله جل ثناؤه ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال اتقوا الله ما استطعتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت ضج المؤمنون منها ضجة وقالوا يا رسول الله هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان كيف نتوب من الوسوسة كيف نمتنع منها فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها انكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لا يكلف الله نفسا الا وسعها وسعها طاقتها وكان حديث النفس مما لا يطيقون ۞ القول في تأويل قوله (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) يعني بقوله جل ثناؤه لها للنفس التي أخبر انه لا يكلفها الا وسعها يقول لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير وعليها يعني وعلى كل نفس ما اكتسبت ما عملت من شر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت أي من خير وعليها ما اكتسبت أي من شر أو قال من سوء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي لها ما كسبت يقول ما عملت من خير وعليها ما اكتسبت يقول وعليها ما عملت من شر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت عمل اليد والرجل واللسان فتأويل الآية اذا لا يكلف الله نفسا الا ما يسعها فلا يجهدها ولا يضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها بهمة ان همت ولا بوسوسة ان عرضت لها ولا بخطرة ان خطرت بقلبها ۞ القول في تأويل قوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه وما يقولون في دعائهم اياه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا شيأ فرضت علينا عمله فلم نعمله أو أخطأنا في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا الى معصيتك ولكن على جهالة منا به وخطأ كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ان نسينا شيأ مما افترضته علينا أو أخطأنا شيأ مما حرمته علينا حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل تجاوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها
حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال له جبريل صلى الله عليه وسلم فقل ذلك يا محمد ان قال لنا قائل وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطؤا فيسألوه ان لا يؤاخذهم بذلك قيل ان النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما أمر بحفظه وكل به وضعف عقله عن احتماله فاما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد الى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فاخرجه من الجنة فقال في ذلك ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فرغبة العبد الى الله عز وجل بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا

فرهان * الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقتين فليكتب ج شياط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول أجله ط ألا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ض لعطف المتفقتين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم ٥ مقبوضة ط لابتداء شرط واستئناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ٥ * التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية وأطنب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربا أباح السلف وأنزل فيه أطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل

لها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيأ بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى

بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية وأما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة فى قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة أو التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه أو ليشمل أى دين كان صغيرا أو كبيرا سلما أو غيره وفى الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن

مالم يكن تركه ماترك من ذلك تفريطا منه فيه وتضييعا كفرا بالله عز وجل فان ذلك اذا كان كفرا بالله فان الرغبة الى الله فى تركه المؤاخذة به غير جائزة لان الله عز وجل قد أخبر عباده انه لا يغفر لهم الشرك به فمسئلته فعل ماقد أعلمهم به انه لا يفعله خطا وانما يكون مسئلته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته و بمثل نسيانه صلاة أو صياما باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما وأما الذى العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ماوكل بمراعاته فان ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذى لا وجه لمسئلة العبد ربه أن يغفره له لانه مسئلة منه له أن يغفر له ماليس له بذنب وذلك مثل الامر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه كالرجل يحرص على حفظ القرآن يجد منه فيقرأه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ماأودع قلبه منه وما أشبه ذلك من النسيان فان ذلك مما لا يجوز مسئلة الرب مغفرته لانه لا ذنب للعبد فيه فيغفره له باكتسابه وكذلك للخطا وجهان أحدهما من وجه مانهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وارادة فذلك خطا منه وهو به مأخوذ يقال منه خطئ فلان وأخطا فيما أتى من الفعل واثم اذا أتى مايأثم فيه وركبه ومنه قول الشاعر

الناس يلحون الامير اذا هموا * خطؤا الصواب ولا يلام المرشد

يعنى أخطؤا الصواب وهذا الذى يرغب العبد الى ربه فى صفح ما كان منه من اثم عنه الا ما كان من ذلك كفرا والآخر منهما ما كان منه على وجه الجهل به والظن منه بان له فعله كالذى يأكل فى شهر رمضان ليلا وهو يحسب ان الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاة فى يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره اياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى ان وقتها لم يدخل فان ذلك من الخطا الموضوع عن العبد الذى وضع الله عز وجل عن عباده الاثم فيه فلا وجه لمسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه به وقد زعم قوم ان مسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسى أو أخطا انما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى أو لما ندبه اليه من التذلل له والخضوع بالمسئلة فاما على وجه مسئلته الصفح فلا وجه له عندهم وللبيان عن هؤلاء كتاب سيأتى فيه ان شاء الله على مافيه الكفاية لمتأمل وفق لفهمه

القول فى تاويل قوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ويعنى بذلك جل ثناؤه قولوا ربنا لا تحمل علينا اصرا يعنى بالاصر العهد كما قال جل ثناؤه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى وانما عنى بقوله ولا تحمل علينا اصرا ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه كما حملته على الذين من قبلنا يعنى على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة فعلم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبة اليه بمسئلته ان لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال ان ضيعوها أو أخطؤا فيها ونسوها مثل الذى حمل من قبلهم فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم اياه مثل الذى أحل بمن قبلهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تحمل علينا اصرا قال لا تحمل علينا عهدا وميثاقا كما حملته على الذين من قبلنا يقول كما غلظ على من قبلنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن قيس الحضرمى عن مجاهد فى قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اصرا قال عهدا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اصرا يقول عهدا حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا والاصر العهد الذى كان على

النظم بذلك الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كاملا تداينتم ليكون نصا فى العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة فى قوله ذلكم أقسط عند الله فان العلة قائمة فى الكل فيكون الحكم حاصلا فى الكل أو نقول العلة هى التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما فى قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا والاجل مدة الشئ ومنه أجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد أو الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى أمر فى المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كلا المتداينين أوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف فى مقدار الدين وفى انقضاء الاجل وفى سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعى وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان فى ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبى والحكم بن عيينة أما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود أميين كثيرين فى الدنيا بل من له استئهال

الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك أيضا على الاطلاق ولكنه يجب أن يكون الكاتب منصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخيير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقيها أديبا ديانا قال بعض الفقهاء العدل أن (٩٧) يكون ما يكتبه متفقا بين المجتهدين ولا

من قبلنا من اليهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا لا نطيقه ولا نستطيع القيام به كما حملته على الذين من قبلنا اليهود والنصارى فلم يقوموا به فاهلكتهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك اصرا قال المواثيق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع الاصر العهد وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي * وقال آخرون معنى ذلك ولا تحمل علينا ذنوبا واثاما كما حملت ذلك على من قبلنا من الامم فمسختهم قردة وخنازير كما مسختهم ذكر من قال ذلك حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا تمسخنا قردة وخنازير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا لا تحمل علينا ذنبا ليس فيه توبة ولا كفارة * وقال آخرون معنى الاصر بكسر الالف الثقل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يقول التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعني مالكا عن قوله ولا تحمل علينا اصرا قال الاصر الامر الغليظ فاما الاصر بفتح الالف فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة يقال أصرتني رحمي بيني وبين فلان عليه بمعنى عطفتني عليه وما ياصرني عليه أي ما يعطفني عليه وبيني وبينه أصر رحم ياصرني عليه اصرا يعني به عاطفة رحم تعطفني عليه ۞ القول في تاويل قوله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعني بذلك جل ثناؤه وقولوا أيضا ربنا لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تشديد يشدده به كما شدده على من كان قبلكم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به مسخ القردة والخنازير حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي قال ثنا محمد بن شعيب بن سابور عن سالم بن سابور في قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من التغليظ والاغلال التي كانت عليهم من التحريم وانما قلنا ان تاويل ذلك ولا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام على نحو الذي قلنا في ذلك لانه عقيب مسئلة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم ان نسوا أو أخطؤا وان لا يحمل عليهم اصرا كما حمله على الذين من قبلهم فكان الحاق ذلك معنى ما قبله من مسئلتهم التيسير في الدين أولى مما خالف ذلك المعنى ۞ القول في تاويل قوله (واعف عنا واغفر لنا) وفي هذا أيضا من قول الله عز وجل خبرا عن المؤمنين من مسئلتهم اياه ذلك الدلالة الواضحة انهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لانهم عقبوا ذلك بقولهم واعف عنا مسئلة منهم ربهم أن يعفوا لهم عن تقصير ان كان منهم في بعض ما أمرهم به من فرائضه فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه وان خف ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التاويل

يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب أن يكتب وقوله كما علمه الله اما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاول أي فليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها أو بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني أمرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك أو انه قيل على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتابة عليه وان وجد أشخاصا فالواجب كتابة أحدهم وقيل متعلق الايجاب هو أن يكتب كما

علمه الله يعني انه بتقدير أن يكتب فالواجب أن يكتب كما علمه الله وأن لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم أن الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته وأجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء

لغتان قال الفراء أملت عليه الكتاب لغة الحجاز و بنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ أمر ان لهذا المملى الذى عليه الحق بان يقر بتمام المال الذى عليه ولا ينقص منه شيا والبخس النقص فان كان الذى عليه الحق سفيها محجورا عليه (٩٨) لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله أوضعيفا صبيا أوشيخا مختلا أولا يستطيع أن يمل

هو أوغير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به أو خرس فليمل وليه بالعدل والمراد بولى الذى عليه الحق الذى يلى أمره و يقوم بصالحه من وصى ان كان سفيها أوصبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل فى قوله أن يمل هو أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع أن الضمير فى وليه عائد الى الذى أى الذى له الدين ليمل قيل وفيه بعد لان قول المدعى كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاى حاجة الى الكتابة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا أى اشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته أن يشهد شهيدين أى شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم أى من رجال أهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعنى الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من أهل العدالة فان لم يكونا لا أى الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان أى فليكن أوفليشهد أوفالشاهد رجل وامرأتان أوفرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره على بن عيسى ممن ترضون من الشهدا. وفيه دليل على انه ليس كل أحد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة

ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعف عنا قال اعف عنا ان قصرنا عن شئ من أمرك مما أمرتنا به وكذلك قوله واغفر لنا يعنى واستر علينا زلة ان أتيناها فيما بيننا و بينك فلا تكشفها ولا تفضحنا باظهارها وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد واغفر لنا ان انتهكنا شيأ مما نهيتنا عنه ۞ القول فى تاويل قوله (وارحمنا) يعنى بذلك جل ثناؤه تعمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك أحد الا برحمتك اياه دون عمله وليست أعمالنا منجيتنا ان أنت لم ترحمنا فوفقنا لما يرضيك عنا كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وارحمنا قال يقول لا ننال العمل بما أمرتنا به ولا نترك ما نهيتنا عنه الا برحمتك قال ولم يخص أحدا برحمتك ۞ القول فى تاويل قوله (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) يعنى بقوله جل ثناؤه أنت مولانا أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك لانا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا فانت ولى من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك فانصرنا لانا حزبك على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الالهة والانداد دونك وأطاعوا فى معصيتك الشيطان والمولى فى هذا الموضع المفعل من ولى فلان أمر فلان فهو يليه ولا يتوه وليه ومولاه وانما صارت الياء من ولى ألفا لانفتاح اللام قبلها التى هى عين الاسم وقد ذكروا ان الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم استجاب الله له فى ذلك كله ذكر الاخبار التى جاءت بذلك **حدثنى** المثنى بن ابراهيم ومحمد بن خلف قالا ثنا آدم قال ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله غفرانك ربنا قال الله عز وجل قد غفرت لكم فلما قرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال الله عز وجل لا أحملكم فلما قرأوا اغفر لنا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لكم فلما قرأوا وارحمنا قال الله عز وجل قد رحمتكم فلما قرأوا وانصرنا على القوم الكافرين قال الله عز وجل قد نصرتكم عليهم **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقالها فقال جبريل قد فعل **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدى ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقال له جبريل فقل ذلك يا محمد ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقال له جبريل فى كل ذلك فعل لك يا محمد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبى هريرة قال أنزل الله عز وجل ربنا

أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي عليه السلام لا يجوز شهادة العبد في شئ وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على أن العبد لا يجب عليه الذهاب (٩٩) بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد

لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو حميد عن سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال ويقول قد فعلت فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقر ولم تعطها الامم قبلها حدثنا علي بن حرب الموصلي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل آمن الرسول بما نزل اليه من ربه الى قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا أحمل عليكم الى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا الى آخر السورة قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وروى عن الضحاك بن مزاحم ان اجابة الله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا كان جبريل عليه السلام يقول له سلها فسألها نبي الله ربه جل ثناؤه فاعطاها اياه فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ابن اسحق ان معاذا كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا على القوم الكافرين قال آمين

(تفسير سورة آل عمران)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رضي الله عنه ۞ القول في تاويل قوله (الم الله لا اله الا هو) قال أبو جعفر قد أتينا على البيان عن معنى قوله الم فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك البيان عن قوله الله وأما معنى قوله لا اله الا هو فانه خبر من الله جل وعز أخبر عباده ان الالوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والانداد وان العبادة لا تصلح ولا تجوز الا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالالوهية وان كل ما دونه فملكه وان كل ما سواه فخلقه لا شريك له في سلطانه وملكه احتجاجا منه تعالى ذكره عليهم بان ذلك اذ كان كذلك فغير جائزة لهم عبادة غيره ولا اشراك احد معه في سلطانه اذ كان كل معبود سواه فملكه وكل معظم غيره فخلقه وعلى المملوك افراد الطاعة لمالكه وصرف خدمته الى مولاه ورازقه ومعروف من كان من خلقه يوم انزل ذلك الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك اليه وارساله به اليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه مقيما على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو انسي أو ملك أو غير ذلك من الاشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته والاهتمام به ومتخذته دون مالكه وخالقه الها وربا انه مقيم على ضلالة ومنعدل عن المحجة وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة الى غيره ولا أحد له الالوهية غيره وقد ذكر ان هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الالوهية أن يكون لغيره وصفه نفسه بالذي وصفها به في ابتدائها احتجاجا منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران فحاجوه في عيسى صلوات الله عليه والحدوا في الله فانزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها احتجاجا عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فابوا الا المقام على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم الى المباهلة فابوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم وانصرفوا الى بلادهم غير ان الامر وان كان كذلك واياهم قصد بالحجاج فان من كان معناه من سائر الخلق معناهم في الكفر بالله واتخاذ

فيعلم منه أن العبد لا يجوز أن يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبد قالوا الان العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند أبي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل أن تضل أن لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها الغلبة البرد والرطوبة على أمزجتهن أو احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له أي ارادة أن تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قوله أعددت الخشبة أن يميل الحائط فادعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير أن ههنا غرضين

أحدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتاتى الا بتذكير احدى المرأتين * والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتاتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال فتذكر احداهما معناه فتجعل احداهما للاخرى ذكرا يعني انهما اذا

اجتمعنا كائنا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم أن الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقبول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى أزيد من اثنين الا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري أنه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنا اما عقوبة أو غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف وأما غير العقوبات فاليس بمالي ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين أيضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري أنه قال مضت السنة أن يجوز شهادة النساء في كل شيء لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من أربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى وأما ما هو مال أو يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد عليه

ماسوى الله تعالى باطلا والهاما معبودا ممحوما بالحجة التي جاء الله تبارك وتعالى بها من نزات هذه الآيات فيه ومحجوجون في الفرقان الذي فرق به لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم * ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة انه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثني محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه قال ابن اسحق قال محمد بن جعفر بن الزبير قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات حبرات حبرة وأردية في الحرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق قال وكانت تسمية الاربعة عشر منهم الذين يؤول اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد بن عمرو وخالد وعبد الله ويحنس في ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهو من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله باذن الله ليجعله آية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد أنهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون في قولهم انه ثالث ثلاثة يقول الله عز وجل فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم فلما كلمته الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكم تسلمان فاسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله عز وجل ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فانزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها الله لا اله الا هو الحي القيوم فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه ورد اعليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا عليهم بقولهم في صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الله لا اله الا هو أي ليس معه شريك في أمره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال ان النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي

واليمين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وأنكره أبو حنيفة ولا يأبى الشهداء اذا دعوا ما زائدة مهملة أى اذا دعوا فقيل أى الى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة وقيل أمر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله (١٠١) الزجاج على مجموع الامرين التحمل

عليه القضاء قالوا بلى قال أفاستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل علمتم عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال أفاستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ۞ القول فى تاويل قوله (الحى القيوم) اختلفت القراء فى ذلك فقرأته قراء الامصار الحى القيوم وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما الحى القيام وذكر عن علقمة بن قيس انه كان يقرأ الحى القيم حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا عثام ابن على قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر قال سمعت علقمة يقرأ الحى القيم قلت أنت سمعته قال لا أدرى حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة مثله وقد روى عن علقمة خلاف ذلك وهو ما حدثنا أبو هشام قال ثنا عبد الله قال ثنا شيبان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة انه قرأ الحى القيام والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا فى ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين نقلا مستفيضا عن غير تواطؤ وراثة وما كان مثبتا فى مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ الحى القيوم ۞ القول فى تاويل قوله (الحى) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله الحى فقال بعضهم معنى ذلك من الله تعالى ذكره انه وصف نفسه بالبقاء ونفى الموت الذى يجوز على من سواه من خلقه عنها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير الحى الذى لا يموت وقدمات عيسى وصلب فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحى قال يقول حى لا يموت * وقال آخرون معنى الحى الذى عناه الله عز وجل فى هذه الآية وصف به نفسه انه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء لا يمتنع عليه شئ أراده وانه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والانداد وقال آخرون معنى ذلك ان له الحياة الدائمة التى لم تزل له صفة ولا تزال كذلك وقالوا انما وصف نفسه بالحياة لان له حياة كما وصفها بالعلم لان لها علما وبالقدرة لان لها قدرة ومعنى ذلك عندى انه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناء لها ولا انقطاع ونفى عنها ما هو حال بكل ذى حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجىء أجله فاخبر عباده انه المستوجب على خلقه العبادة والالوهة والحى الذى لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ويبيد كل من ادعى من دونه الها واحتج على خلقه بان من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون الها يستوجب ان يعبد دون الاله الذى لا يبيد ولا يموت وان الاله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك الله الذى لا اله الا هو ۞ القول فى تاويل قوله (القيوم) قد ذكرنا اختلاف القراءة فى ذلك والذى نختار منه وما العلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك فأما تاويل جميع الوجوه التى ذكرنا ان القراء قرأت بها فمتقارب ومعنى ذلك كله القيم بحفظ كل شئ ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى بن ميمون قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه الحى القيوم قال القائم على كل شئ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

أولا والاداء ثانيا والقول الاول أصح لانه أطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل فى الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وأيضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وأيضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء أولى ليفيد فائدة جديدة وهى أن الشاهد ان كان متعينا وجب عليه أداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تساموا لا تضجروا ولا تملوا أن تكتبوه أى الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أى حال كان الحق صغيرا أو كبيرا مما جرت العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما أفضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضا من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا وكبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه والهابه ويجوز أن يكون

الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلو بكتابته الى أجله الى وقته الذى اتفقتما على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذى أمرتكم به من الكتب والاشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على اقامتها شهادة وهو اما من أقسط وأقام فيكون محولا على قولهم أفلس من ابن المذلق واما من قويم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار

وأقسط أى عدل وأدنى الا ترتابوا أقرب من انتفاء الريب ترتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوائد * الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله * والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه أبلغ فى الاستقامة التى هى ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر * والثالثة أنه يرفع الضرر عن نفسه بان لا يضل فى أمره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع فى الغيبة والجهالة فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها فى الضبط والترتيب الا أن تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى أجل قريب وقد يكون الى أجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون أجله قريبا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستانفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف فى المال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة فاذن المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كتبت الكتاب بنى أسد هل تعلمون بلاء نا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أى اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذى ارتفع شره وعلا وذو كواكب أى كتاب شديد يقال فى التهديد لارينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أى يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والالزم أن تكون الكتابة المذكورة أولا واجبة وقد أثبتنا خلاف

مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه وقال آخرون معنى ذلك القيام على مكانه ووجهوه الى القيام الدائم الذى لا زوال معه ولا انتقال وان الله عز وجل انما نفى عن نفسه بوصفها بذلك التغيير والتنقل من مكان الى مكان وحدوث التبدل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمر بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير القيوم القيام على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع وان ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بانه القائم بامر كل شئ فى رزقه والدافع عنه وكلائه وتدبيره وصرفه فى قدرته من قول العرب فلان قائم بامر هذه البلدة يعنى بذلك المتولى تدبير أمرها فالقيوم اذ كان ذلك معناه الفيعول من قول القائل الله قيوم بامر خلقه وأصله القيووم غير ان الواو الاولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهى متحركة قلبت ياء فجعلت هى والياء التى قبلها ياء مشددة لان العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة اذا تقدمتها ياء ساكنة وأما القيام فان أصله القيوام وهو الفيعال من قام يقوم سبقت الواو والمتحركة من قيوام ياء ساكنة فجعلتا جميعا ياء مشددة ولو ان القيوم فعول كان القووم ولكنه الفيعول وكذلك القيام لو كان الفعال لكان القوام كما قيل الصوام القوام وكما قال جل ثناؤه كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولكنه الفيعال فقيل القيام وأما القيم فهو الفيعل من قام يقوم سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة كما قيل فلان سيد قومه من ساد يسود وهذا طعام جيد من جاد يجود وما أشبه ذلك وانما جاء ذلك بهذه الالفاظ لانه قصد به قصد المبالغة فى المدح فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ فى المدح من القائم وانما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ان شاء الله القيام لان ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من الياء والواو فيقولون للرجل الصواغ الصياغ ويقولون للرجل الكثير المال وران الديار وقد قيل ان قول الله جل ثناؤه لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انما هو دوار افعالا من دار يدور ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز وأقرت كذلك فى المصحف ۞ القول فى تأويل قوله (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) يقول جل ثناؤه يا محمد ان ربك ورب عيسى ورب كل شئ هو الرب الذى أنزل عليك الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والانجيل وفيما خالفك فيه محاجوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم مصدقا لما بين يديه يعنى بذلك القرآن انه مصدق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده لان منزل جميع ذلك واحد فلا يكون فيه اختلاف ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه قال لما قبله من كتاب أو رسول **حدثنى** موسى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب أو رسول **حدثنى** محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب التى قد خلت قبله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول مصدقا لما قبله من

ذلك وانما رخص تعالى فى هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة أو الاشهاد فى كل لحظة حرج عليهم من أن تجوف التجاحد فى مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة فى التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم أن حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل أن يكون أمرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان (١٠٣) التبايع أو كالئا لانه أحوط عن

كتاب ورسول ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) يعنى بذلك وأنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى من قبل يقول من قبل الكتاب الذى نزله عليك ويعنى بقوله هدى للناس بيانا للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله ومفيد يا محمد انك نبيى ورسولى وفى غير ذلك من شرائع دين الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما أنزل الكتب على من كان قبلهما ۞ القول فى تاويل قوله (وأنزل الفرقان) يعنى جل ثناؤه بذلك وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الاحزاب وأهل الملل فى أمر عيسى وغيره وقد بينا فيما مضى ان الفرقان انما هو الفعلان من قولهم فرق الله بين الحق والباطل يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل اما بالحجة البالغة واما بالقهر والغلبة بالايدى والقوة وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير ان بعضهم وجه تاويله الى انه فصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى وبعضهم الى انه فصل بين الحق والباطل فى أحكام الشرائع ذكر من قال معناه الفصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى والاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل الفرقان أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ذكر من قال معنى ذلك الفصل بين الحق والباطل فى الاحكام وشرائع الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل الفرقان هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فاحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأنزل الفرقان قال الفرقان القرآن فرق بين الحق والباطل والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه عن قتادة والربيع وأن يكون معنى الفرقان فى هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجوه فى أمر عيسى وفى غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان اخبار الله عن تنزيله القرآن قبل اخباره عن تنزيله التوراة والانجيل فى هذه الآية قد مضى بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ولا شك ان ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره فلا وجه لتكريره مرة أخرى اذ لا فائدة فى تكريره ليست فى ذكره اياه وخبره عنه ابتداء ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته وان عيسى عبد له واتخذوا المسيح الهاو رباوادعوه لله ولدا لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة والذين كفروا هم الذين جحدوا آيات الله وآيات الله أعلام الله وأدلته وحجته وهذا القول من الله عز وجل ينبئ عن معنى قوله وأنزل الفرقان انه معنى به الفصل عن الذى هو حجة لاهل الحق على أهل الباطل لانه عقب ذلك بقوله ان الذين كفروا بآيات الله يعنى ان الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذى أنزله فرقا بين الحق والمبطل لهم عذاب شديد وعيد من الله لمن عاند الحق بعد وضوحه له وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه ثم أخبرهم انه عزيز فى سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه وبينه حائل ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد وانه ذو انتقام ممن جحد حجته وأدلته بعد ثبوتها عليه وبعد وضوحها له ومعرفته بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

الحسن ان شاء أشهدوا وان شاء لم يشهدوا وعن الضحاك هى عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل فيكون أصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عروة وعليه أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهى الكاتب أن يزيد أو ينقص والشاهد ان أن يحرفا أو يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف فى الكتابة والشهادة فسق وائم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد أن التقدير لا يضار بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس وانه نهى للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يجعلا عن مهم ويلزما أولا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار أو كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية أو ترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار أو ارتكاب المنهى فسوق بكم خروج عن أمر الله وطاعته ومعنى بكم أى ملتصق بكم واتقوا الله فى أوامره ونواهيه ويعلمكم

الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شئ من مصالح عباده عليم واعلم أنه سبحانه جعل البياعات فى هذا المقام على ثلاثة أقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع فى الثانى وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه فى غير

سفر ولكنه وردت الآية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد الكاتب في السفر أولا يوجد أدوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر أخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي ان الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ۞ القول في تأويل قوله (ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء يقول فكيف يخفى على يا محمد وأنا علام جميع الاشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء أي قد علم ما تريدون وما تكيدون وما تضاهون بقولهم في عيسى اذ جعلوه ربا والها وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به ۞ القول في تأويل قوله (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) يعني بذلك جل ثناؤه الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك ان جميع ما اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء وان عيسى بن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب وانه لو كان الها لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه لان خلاق ما في الارحام لا تكون الارحام عليه مشتملة وانما تشتمل على المخلوقين كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قد كان عيسى ممن صور في الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء أي انه صور عيسى في الرحم كيف يشاء وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال اذا وقعت النطفة في الارحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فاذا بلغ أن يخلقها بعث الله ملكا يصورها فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلطه في المضغة ثم يجفنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول أذكر أو أنثى أشقي أو سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قادر والله ربنا أن يصور عباده في الارحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى أو أسود أو أحمر تام خلقه وغير تام ۞ القول في تأويل قوله (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه ان يكون له في ربوبيته ند ومثيل أو ان تجوز الالوهة لغيره وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ولجميع من ادعى مع الله معبودا أو أقر بربوبية غيره ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعيدا منه لمن عبد غيره أو أشرك في عبادته أحدا سواه فقال هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ولا ينجيه منه وال ولا لجاء ذلك لعزته الذي يذل لها كل مخلوق ويخضع لها كل موجود ثم أعلمهم انه الحكيم في تدبيره واعذاره الى خلقه ومتابعة حججه عليهم لهلاك من هلك منهم عن بينة ويحيى من حي عن بينة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا

اليوم وأصل الرهن من الدوام رهن الشئ اذا دام وثبت ونعمة راهنة أي دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا والها وهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف في سقف ورهان مثل كباش في كبش وقيل ان أحدهما جمع الآخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو فعليه رهن أو فالوثيقة أو الذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة أن الرهن لا بد فيه لزومه من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم وأما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن أو وكيله بينه وبين المرتهن أو وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مغتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير أيضا وزن أو كيل أو ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر باذنه أو وضعه الراهن بين يدي المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان أمن بعضكم بعضا فان أمن بعضكم بعضا فالذين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره

فليؤد الذى اؤتمن أمانته فليكن المديون عند ظن الدائن به وسمى الدين أمانة وان كان مضمونا لانتفاء التهمة عليه بترك الارتهان منه والحاصل أنه مجاز مستعار وذلك انه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية فى وصف وجود الامانة اللغوية أطلق أحدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى لا يدور فى خلده جحود واختيان وفى الآية قول آخر وهو انها (١٠٥) خطاب للمرتهن بان يؤدى الرهن عند

سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم قال يعنى الرب عز وجل انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لا اله الا هو العزيز الحكيم قال العزيز فى نصرته ممن كفر به اذا شاء والحكيم فى عذره وحجته الى عباده حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع لا اله الا هو العزيز الحكيم يقول عزيز فى نقمته حكيم عن أمره ۞ القول فى تاويل قوله (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) يعنى بقوله جل ثناؤه هو الذى أنزل عليك الكتب ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى أنزل عليك الكتاب يعنى بالكتاب القرآن وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذى من أجله سمى القرآن كتابا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله منه آيات محكمات فانه يعنى من الكتاب آيات يعنى بالآيات آيات القرآن وأما المحكمات فانهن اللواتى قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حجتهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل وعظة وعبر وما أشبه ذلك ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بانهن هن أم الكتاب يعنى بذلك انهن أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما يالخلق اليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض فى عاجلهم وآجلهم وانما سماهن أم الكتاب لانهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة اليه وكذلك تفعل العرب تسمى الجامع معظم الشئ اماله فتسمى راية القوم التى تجمعهم فى العساكر أمهم والمدبر بعض معظم أمر القرية والبلدة أمها وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ووحد أم الكتاب ولم تجمع فيقول هن أمهات الكتاب وقد قال هن لانه أراد جميع الآيات المحكمات أم الكتاب لان كل آية منهن أم الكتاب ولو كان معنى ذلك ان كل آية منهن أم الكتاب لكان لا شك قد قيل هن أمهات الكتاب ونظير قول الله عز وجل هن أمهات الكتاب على التأويل الذى قلنا فى توحيد الام وهى خبر لهن قوله تعالى ذكره وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لان معناه وجعلنا جميعهما آية اذ كان المعنى واحدا تهما جعلنا فيه للخلق عبرة ولو كان مراده الخبر عن كل واحد منهما على انفراده بانه جعل للخلق عبرة لقيل وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين لانه قد كان فى كل واحد منهما لهم عبرة وذلك ان مريم ولدت من غير رجل ونطق ابنها فتكلم فى المهد صبيا فكان فى كل واحد منهما للناس آية وقد قال بعض نحوى البصرة انما قيل هن أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب على وجه الحكاية كما يقول الرجل مالى أنصار فتقول انا أنصارك أو مالى نظير فتقول نحن نظيرك قال وهو شبيه بقول بعض تميم وأنشد لرجل من فقعس

تعرضت لى بمكان خالى * تعرض المهرة فى الطوالى * تعرض المال عن قتال

كل ٧ أى يحكى به على الحكاية لانه كان منصوبا قبل ذلك كما يقول نودى الصلاة الصلاة يحكى قول القائل الصلاة الصلاة وقال بعضهم انما هى ان تفعل لى ولكنه جعله عينا لان فى اغته تجعل موضعها عن والنصب على الامر كانك قلت ضربا لزيدا وهذا قول لا معنى له لان كل هذه الشواهد التى استشهد بها لا شك انهن حكايات حالتهن بما حكى عن قول غيره وألفاظه التى نطق بهن وان معلوما ان الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله أم الكتاب فيجوز أن يقال اخرج ذلك مخرج الحكاية عمن قال ذلك كذلك وأما قوله وأخر فانها جمع آخر ثم اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يصرف أخر فقال بعضهم لم يصرف أخر من أجل انها نعت واحدتها أخرى كما لم تصرف جمع وكتع لانهن نعوت وقال آخرون انما لم تصرف الآخر لزيادة الياء التى فى واحدتها وان جمعها مبنى على واحدها فى ترك الصرف قالوا وانما ترك صرف أخرى كما ترك

٧ هكذا هذه العبارات بالاصل ولعل هنا سقطا لبعض الشواهد والكلام هنا عليه تامل

استيفاء المال فانها أمانة فى يديه والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد وأخذ الرهن والحق أن تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس أنه قال فى آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه وجوه * الاول عن القفال أنه تعالى لما أباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون أمينا ثم كان من الجائز أن يكون الظن خطأ وأن يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن أن يكون بعض الناس مطلعا على أحوالهم ندب الله ذلك الانسان أن يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة أم لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل أن يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة أن ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من أدائها عند الحاجة الى اقامتها فان فى ذلك ابطال

حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ فى الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو أن أفعال الجوارح

تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب أبلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما أبصرته عيني وسمعته أذني وعرفه قلبي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب وزعم كثير من المتكلمين أن الفاعل والعارف المأمور والمنهي هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير للكاتم وتهديد له عن ابن عباس أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (التاويل) انه تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وأشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما أمركم أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا أمر الملائكة أن يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في أعناقكم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ثم نودي من سرادقات الجلال ياقوي الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما يملى يخاطب وبالنقير والقطمير على ما يميل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب فعليه أن يملي الحق للحق المنسوخ فان كان الذي عليه حق للحق سفيها جاهلا بامملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل أو ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه أو لا يستطيع أن يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في انتهاء ما لا يحزنه ويسر فليمل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا

صرف حمرا وبيضا في النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيهما والهمزة بالواو ثم افترق جمع حمراء وأخرى فبنى جمع أخرى على واحدته فقيل فعل أخر فترك صرفها كما ترك صرف أخرى وبنى جمع حمرا وبيضا على خلاف واحدته فصرف فقيل حمر وبيض فلاختلاف حالتيهما في الجمع اختلف اعرابهما عندهم في الصرف ولا تفاق حالتيهما في الواحدة اتفقت حالتاهما فيها وأما قوله متشابهات فان معناه متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى كما قال جل ثناؤه وأتوا به متشابها يعني في المنظر مختلفا في المطعم وكما قال مخبرا عمن أخبر عنه من بني اسرائيل انه قال ان البقر تشابه علينا يعنون بذلك تشابه علينا في الصفة وان اختلفت أنواعه فتأويل الكلام اذا ان الذي لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل الكتاب عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان عن أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين واليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الاسلام وآيات أخر هن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني وقد اختلف أهل التأويل في تاويل قوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وما المحكم من آي الكتاب وما المتشابه منه فقال بعضهم المحكمات من آي القرآن المعمول بهن وهن الناسخات أو المثبتات الاحكام والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن المنسوخات ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن ابن عباس في قوله منه آيات محكمات قال هي الثلاث الآيات التي ههنا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى ثلاث آيات والتي في بني اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه الى آخر الآية **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ومايؤمن به ويعمل به قال وأخر متشابهات والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه ومايؤمن به ولا يعمل به **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وأخر متشابهات فالمحكمات التي هي أم الكتاب الناسخ الذي يدان به ويعمل به والمتشابهات من المنسوخات التي لا يدان بهن **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى قوله كل من عند ربنا أما الآيات المحكمات فهن الناسخات التي يعمل بهن وأما المتشابهات فهن المنسوخات **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمحكمات الناسخ الذي يعمل به ما أحل الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه وأما المتشابهات فالمنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله آيات محكمات قال المحكم ما يعمل به **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات قال المحكمات الناسخ الذي يعمل به والمتشابهات المنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخات وأخر متشابهات قال ما نسخ وترك يتلى **حدثني** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال المحكم ما لم ينسخ وما يتشابه منه ما نسخ **حدثني** يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخ وأخر متشابهات قال

يخرجهم من الآحزان الى السرور ومن الاسجان الى القصور ومن الاشجان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور والله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من أرباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وأنتم نساء فان لم يكونا رجلين من أرباب القلوب فرجل منهم وامرأتان أى رجلان من أهل (١٠٧) الصلاح ليكونا بمثابة رجل من أهل الولاية

المنسوخ حدثنى عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يحدث قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله منه آيات محكمات يعنى الناسخ الذى يعمل به وأخر متشابهات يعنى المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة عن الضحاك منه آيات محكمات قال ما لم ينسخ وأخر متشابهات قال ما قد نسخ * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ما أشبه بعضه بعضا فى المعانى وان اختلفت ألفاظه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منه آيات محكمات ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصرف بعضه بعضا وهو مثل قوله وما يضل به الا الفاسقين ومثل قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ومثل قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن جعفر ابن الزبير هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه وأخر متشابهة فى الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق * وقال آخرون معنى المحكم ما أحكم الله فيه من آى القرآن وقصص الامم ورسلهم الذين أرسلوا اليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته والمتشابه هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور فقصة باتفاق الالفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع وعشرين آية منها وحديث نوح فى أربع وعشرين آية منها ثم قال تلك من أنباء الغيب ثم ذكر والى عاد فقرأ حتى بلغ واستغفر ربكم ثم مضى ثم ذكر صالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وفرغ من ذلك وهذا يقين ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت قال والمتشابه ذكر موسى فى أمكنة كثيرة وهو متشابه وهو كله معنى واحد ومتشابهه أسلك فيها أسلك يدك أدخل يدك حية تسعى ثعبان مبين قال ثم ذكر هودا فى عشر آيات منها وصالحا فى ثمانى آيات منها وابراهيم فى ثمانى آيات أخرى ولوطا فى ثمانى آيات منها وشعيبا فى ثلاث عشرة آية وموسى فى أربع آيات كل هذا يقضى بين الانبياء وبين قومهم فى هذه السورة فانتهى ذلك الى مائة آية من سورة هود ثم قال ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وقال فى المتشابه من القرآن من يرد الله به البلاء والضلالة يقول ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا وقال آخرون بل المحكم من آى القرآن ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وما أشبه ذلك فان ذلك لا يعلمه أحد وقالوا انما سمى الله من آى الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض سور القرآن من نحو الم والمص والمر والر وما أشبه ذلك لانهن من متشابهات فى الالفاظ وموافقات حروف حساب الجمل وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الاسلام وأهله ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته فاكذب الله أحدوثتهم بذلك وأعلمهم ان ما اتبعوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف

فى فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح أن يكون من شهداء الله كما قال أنتم شهداء الله فى أرضه أن تضل احداهما عن جادة الاستقامة فى بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فتذكر احداهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم ان أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما السائر فلا يقف فى محل ولا ينزل فى منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضايق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى

رجله بجملة الشريعة فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب على صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفنى صاحب اليمين وقال لى املى على شيئا من معاملات قلبك لاكتبه فانى أريد ان أتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل ان لم يؤد حق

صاحب الحق أو يكون هارب امنه فاما الذى آناء الليل وأطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه ومايبرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل والتقييد فالذى هو موكل على الهارب يكون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وللساترين رهان مقبوضة عند الله رهان وأية رهان قلوب (١٠٨) ليس فيها غير الله قبض وأى قبض مقبوضة بين أصبعين من أصابع الرحمن أما الطيار

المتشابهة لا يدرى كونها ولا من قبل غيرها وان ذلك لا يعلمه الا الله وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رباب ان هذه الآية نزلت فيه وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته فى تاويل ذلك فى تفسير قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتاويل الآية وذلك ان جميع ما أنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فانما أنزله عليه بيانا له ولامته وهدى للعالمين وغير جائز أن يكون فيه مالا حاجة بهم اليه ولا أن يكون فيه ما بهم اليه الحاجة ثم لا يكون لهم الى علم تاويله سبيل فاذا كان ذلك كذلك فكل ما فيه لخلقه اليه الحاجة وان كان فى بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى وان اضطرته الحاجة اليه فى معان كثيرة وذلك كقول الله عز وجل يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فاعلم النبى صلى الله عليه وسلم أمته ان تلك الآية أخبر الله جل ثناؤه عباده انها اذا جاءت لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك هى طلوع الشمس من مغربها فالذى كانت بالعباد اليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعدد السنين والشهور والايام فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسرا والذى لا حاجة لهم الى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التى بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية فان ذلك مما لا حاجة بهم الى علمه فى دين ولا دنيا وذلك هو العلم الذى استاثر الله جل ثناؤه به دون خلقه فحجبه عنهم وذلك وما أشبهه هو المعنى الذى طلبت اليهود معرفته فى مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله الم والمص والر والمر ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات التى أخبر الله جل ثناؤه انهم لا يدركون تاويل ذلك من قبله وانه لا يعلم تاويله الا الله فاذ كان المتشابه هو ما وصفنا فكل ما عداه فمحكم لانه ان يخلو من أن يكون محكما بانه بمعنى واحد لا تاويل له غير تاويل واحد وقد استغنى بسماعه عن بيان مبينه أو يكون محكما وان كان ذا وجوه وتاويلات وتصرف فى معان كثيرة فالدلالة على المعنى المراد منه اما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لامته ولن يذهب علم ذلك عن علماء الامة لما قد بينا ۞ القول فى تاويل قوله (هن أم الكتاب) قد أتينا على البيان عن تاويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ونحن ذاكر اختلاف أهل التاويل فيه وذلك انهم اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معنى قوله هن أم الكتاب هن الآى فيهن الفرائض والحدود والاحكام نحو قولنا الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر انه قال فى هذه الآية محكمات هن أم الكتاب قال يحيى هن اللاتى فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين وضرب لذلك مثلا فقال أم القرى مكة وأم خراسان مرو وام المسافرين الذين يجعلون اليهم أمرهم نقباؤهم فى سفرهم قال فذاك أمهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هن أم الكتاب قال هن جماع الكتاب وقال آخرون بل معنى بذلك فواتح السور والتى منها يستخرج القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن أبى فاختة انه قال فى هذه الآية فيه آيات محكمات هن أم الكتاب قال أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن الم ذلك الكتاب منها استخرجت البقرة والم الله لا اله الا هو منها استخرجت آل عمران ۞ القول فى تاويل قوله (فاما الذين فى قلوبهم زيغ) يعنى بذلك جل ثناؤه فاما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه يقال منه زاغ فلان عن الحق فهو يزيغ عنه زيغا وزيغانا وزيغوغة وزيوغا وأزاغه الله اذا أماله فهو يزيغه ومنه قوله جل ثناؤه ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملنا عن الحق بعد اذ هديتنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل

الذى هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد

شعر

مستهام ضاق مذهبه
فى هوى من عز مطلبه
كل أمر فى الهوى عجب
وخلاصى منه أعجبه

وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لتحمل اعباء أمانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها وأتى بحملها فلما حملها واستحسن منه ما تفرد به من أصحابه جاءت له من الحضرة ألقاب فنسب فى البداية الى الافساد وسفك الدماء أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانقلب فى النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا أمر عجيب ونقش غريب من لم يطع فى حمل الامانة وأبى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم أمين ومن أطاع فى حمل الامانة وأتى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين أحدهما ان الذلة والمسكنة وقعت فى قسم العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت فى طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا فى مرآة ذكر ذلة العاشق * وثانيهما ان من له كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن فى الظاهر بصلاح كتمان أمر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى الحقيقة يدل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا لآدم وعتاب انى أعلم ما لا تعلمون فان أمن بعضكم

بعضا كما اخترتك من بين الخليقة واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى ائتمن أمانته ولا تكتموا الشهادة أشهدتكم على أنفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم أطالبكم باداء حقها فادوها الى ملفوفة بلفاف التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة أن يكون شهودك مع غير شواهد ربك وهذا من نتائج خيانة قلبك فى أمانة ربك فلا يشاهد قلبك الا شواهد ربك ولا يؤدى سرك حقيقة أمانة ربك الا الى ربك بربك لربك (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) القراآت فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام أبو عمرو وجملة أهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير أبى عمرو والحلوانى عن قالون وابن مجاهد وأبو عون وأبو ربيعة عن البزى وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار أبو عمرو بادغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتابه حمزة وعلى وخلف الباقون وكتبه جعلا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون أخطانا مثل فادارأتم (الوقوف) ومافى الارض ط فالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على الاستئناف أى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط أو أخطانا ج

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الهدى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى قلوبهم زيغ قال شك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فاما الذين فى قلوبهم زيغ قال من أهل الشك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاما الذين فى قلوبهم زيغ أما الزيغ فالشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال زيغ شك قال ابن جريج الذين فى قلوبهم زيغ المنافقون ۞ القول فى تاويل قوله (فيتبعون ما تشابه منه) يعنى بقوله جل ثناؤه فيتبعون ما تشابه منه ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الاباطيل من التأويلات فى ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تاويل ذلك وتصاريف معانيه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فيتبعون ما تشابه منه فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فلبس الله عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فيتبعون ما تشابه منه أى ما تحرف منه وتصرف ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فيتبعون ما تشابه منه قال الباب الذى ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تاويله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله فيتبعون ما تشابه منه يتبعون المنسوخ والناسخ فيقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ما جاز هذه الآية فتركت الاولى وعمل بهذه الاخرى هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجىء الاولى التى نسخت وما باله يعذب العذاب من عمل عملا يعذبه النار وفى مكان آخر من عمله فانه لم يوجب النار واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى به الوفد من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاجوه به وخاصموه بان قالوا ألست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته وتاولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال عمدوا يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران فخاصموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فانزل الله عز وجل فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ثم ان الله جل ثناؤه أنزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية * وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب وأخيه يحيى بن أخطب والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدر مدة أجله وأجل أمته وأراد واعلم ذلك من قبل قوله الم والمص والمر والر فقال الله جل ثناؤه فيهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق فيتبعون ما تشابه منه يعنى معانى هذه الحروف المقطعة لمحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل فى أول السورة التى تذكر فيها البقرة * وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتأويل يتاوله من بعض آى

من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك لتفصيل بين أنواع المقاصد والاعتراف بان اطماعنا غير واحد الكافرين * التفسير انه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وأشياء (١١٠) كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلاة والزكاة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما في السموات وما في الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن أبي مسلم انه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لابد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما أمر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه ان المقصود برجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد انه لما أوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وأبي هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب فقالوا ان الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك

القرآن المحتملة التأويلات وان كان الله قد أحكم بيان ذلك اما في كتابه واما على لسان رسوله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر لمن كان يعقل أو يبصر ان الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام العراق وأزواجه يومئذ احياء والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حروري قط ولا رضوا الذي هم عليه ولا ما الوهم فيه بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم ونعته الذي نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بالسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم اذا لقوهم ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالا فتفرق وكذلك الامر اذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد ألا صوا هذا الامر منذ زمان طويل فهل افلحوا فيه يوما أو نجحوا يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم باولهم لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه فهم كلما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم واهراق دماءهم وان كتموا كان قرحا في قلوبهم وعمى عليهم وان أظهروا اهراق الله دماءهم ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه والله ان اليهودية لبدعة وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة وان السبائية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سن نبي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله طلب القوم التأويل فاخطؤا التأويل وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك لعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان وذكر نحو حديث عبد الرزاق عن معمر عنه حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله وما يذكر الا أولوا الالباب فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة انها قالت قرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الى وما يذكر الا أولوا الالباب قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو قال يتجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم قال مطر عن أيوب انه قال فلا تجالسوهم فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو معناه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا الحرث عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات الآية كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه والذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله أولئك الذين قال الله فلا تجالسوهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن يزيد بن ابراهيم عن ابن أبي مليكة قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ الى آخر الآيات فقال اذا

المصير فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين

رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون ما تشابه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذركم الله فاذا رأيتموهم فاعرفوهم **حدثنا** علي قال ثنا الوليد عن نافع عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموهم فاحذروهم ثم نزع فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ولا يعملون بمحكمه **حدثني** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال أخبرنا عمي قال أخبرني شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن ابن أبي مليكة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم **حدثني** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن يزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية يتبعها يتلوها ثم يقول فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم فهم الذين عنى الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى آخر الآية قال هم الذين سماهم الله فاذا أريتموهم فاحذروهم قال أبو جعفر والذي يدل عليه ظاهر الآية انها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله اما في أمر عيسى واما في مدة أجله وأجل أمته وهو بان تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتشابههم في مدته ومدة أمته أشبه لان قوله وما يعلم تاويله الا الله دال على ان ذلك اخبار عن المدة التي أراد واعلمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله فاما أمر عيسى وأسبابه فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم فعلوم انه لم يعن الا ما كان خفيا عن الآحاد ۞ القول في تاويل قوله (ابتغاء الفتنة) اختلف أهل التاويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ابتغاء الشرك ذكر من قال ذلك **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي ابتغاء الفتنة قال ارادة الشرك **حدثني** المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن ابيه عن الربيع في قوله ابتغاء الفتنة يعني الشرك * وقال آخرون معنى ذلك ابتغاء الشبهات ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم عن عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات بها اهلكوا **حدثني** المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله ابتغاء الفتنة الشبهات قال اهلكوا به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات قال والشبهات ما اهلكوا به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ابتغاء الفتنة اي اللبس واولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ارادة الشبهات واللبس فمعنى الكلام اذا فاما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت الفاظه واحتمل صرفه في وجوه التاويلات باحتماله المعاني المختلفة ارادة اللبس على نفسه وعلى غيره احتجاجا به على باطله الذي مال اليه قلبه دون الحق الذي آتاه الله فاوضحه بالمحكمات من آي كتابه وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا انها نزلت فيه من اهل الشرك فانه معنى بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه اليها تاويلا منه لبعض متشابه آي القرآن ثم حاج به وجادل به اهل الحق وعدل عن الواضح من ادلة آيه المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على اهل الحق من المؤمنين وطلبا لعلم تاويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان واي اصناف البدعة كان من

من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم واعلم أن العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق وأما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من أفعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا أو حزن أو أذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب وروت انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول قوله

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه حسيبه ومحاسبا له كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من أصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو

تخصيص من غير دليل و يعذب من يشاء والله على كل شئ قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل ان يكون له عبدا منقادا خاضعا لاوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون فان كمال الربوبية فى الواجب يستلزم كمال العبودية فى الممكن وكمال العبودية فى الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله

لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة أو نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب قبين فى آخرها ان الذين مدحتهم فى أول السورة هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هناك و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هناك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هناك أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول انه تعالى سبحانه لما ذكر فى هذه السورة أنواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول اعترف لمعجزة دلت له على صدق الملك ان ذلك وحى من الله وصل اليه وان الذى أخبره ذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق فى دعواه وهو المرتبة المتاخرة ومن تامل فى نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان أحدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذى ذكر

اهل النصرانية كان او اليهودية او المجوسية او كان سبابيا او حروريا او قدريا او وجهميا كالذى قال صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم وكما حدثنى يونس قال اخبرنا سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس وذكر عنده الخوارج ومايلقون عند الفرار فقال يؤمنون بمحكمه و يهلكون عند متشابهه وقرأ ابن عباس ومايعلم تاويله الا الله الآية وانما قلنا القول الذى ذكرنا انه أولى التاويلين بقوله ابتغاء الفتنة لان الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك وانما أرادوا بطلب تاويل ماطلبوا تاويله الالبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدوهم عما هم عليه من الحق فلا معنى لان يقال فعلوا ذلك ارادة الشرك وهم قد كانوا مشركين ۞ القول فى تاويل قوله (وابتغاء تاويله) اختلف أهل التاويل فى معنى التاويل الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله وابتغاء تاويله فقال بعضهم معنى ذلك الاجل الذى أرادت اليهود ان تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل كالم والمص والر والمر وما أشبه ذلك من الآجال ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أما قوله ومايعلم تاويله الا الله يعنى تاويله يوم القيامة الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك عواقب القرآن وقالوا انما أرادوا ان يعلموا متى يجىء ناسخ الاحكام التى كان الله جل ثناؤه شرعها لاهل الاسلام قبل مجيئه فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وابتغاء تاويله أرادوا ان يعلموا تاويل القرآن وهو عواقبه قال الله ومايعلم تاويله الا الله وتاويله عواقبه حتى ياتى الناسخ منه فينسخ المنسوخ * وقال آخرون معنى ذلك وابتغاء تاويل ماتشابه من آى القرآن يتاولونه اذ كان ذا وجوه وتصاريف فى التاويلات على مافى قلوبهم من الزيغ ومار كبوه من الضلالة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وابتغاء تاويله وذلك على ماركبوا من الضلالة فى قولهم خلقنا وقضينا والقول الذى قاله ابن عباس من ان ابتغاء التاويل الذى طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة والذى ذكرنا عن السدى من انهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هو جاء قبل مجيئه أولى بالصواب وان كان السدى قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه الى حصره على ان معناه ان القوم طلبوا معرفة وقت مجىء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك وانما قلنا ان طلب القوم معرفة الوقت الذى هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آى القرآن أولى بتاويل قوله وابتغاء تاويله لما قد دللنا عليه قبل من أخبار الله جل ثناؤه ان ذلك التاويل لا يعلمه الا الله ولا شك ان معنى قوله وقضينا وفعلنا قد علم تاويله كثير من جهلة أهل الشرك فضلا عن اهل الايمان وأهل الرسوخ فى العلم منهم ۞ القول فى تاويل قوله (ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) يعنى جل ثناؤه بذلك ومايعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته وما هو كائن الا الله دون من سواه من البشر الذين أملوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة وأما الراسخون فى العلم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم فى ذلك على غيرهم العلم بان الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه واختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك وهل الراسخون معطوفون على اسم الله بمعنى ايجاب العلم لهم بتاويل المتشابه أو هم مستانف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم انهم يقولون آمنا بالمتشابه وصدقنا ان علم ذلك لا يعلمه الا الله فقال بعضهم معنى ذلك ومايعلم تاويل ذلك الا الله وحده منفردا بعلمه وأما الراسخون فى العلم فانهم ابتدئ الخبر عنهم بانهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم وان جميع ذلك من عند الله

ذكر

التنوين نائب عنه فى كل عائدا الى الرسول والمؤمنين أى كلهم آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه صلى الله عليه وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بمعاظهر من المعجزات (١١٣) على يد جبريل عليه السلام ان هذا

ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة قوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به قالت كان من رسوخهم فى العلم ان آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تاويله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال كان ابن عباس يقول ومايعلم تاويله الا الله يقول الراسخون آمنا به **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن أبى الزناد قال قال هشام بن عروة كان أبى يقول فى هذه الآية ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم ان الراسخين فى العلم لايعلمون تاويله ولكنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله عن أبى نهيك الاسدى قوله ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم فيقول انكم تصلون هذه الآية وانما هى مقطوعة ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فانتهى علمهم الى قولهم الذى قالوا **حدثنا** المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول والراسخون فى العلم انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا **حدثنى** يونس قال أخبرنا أشهب عن مالك فى قوله ومايعلم تاويله الا الله قال ثم ابتدأ فقال والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وليس يعلمون تاويله * وقال آخرون بل معنى ذلك ومايعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس انه قال أنا ممن يعلم تاويله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والراسخون فى العلم يعلمون تاويله ويقولون آمنا به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والراسخون فى العلم يعلمون تاويله ويقولون آمنا به **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع والراسخون فى العلم يعلمون تاويله ويقولون آمنا به **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومايعلم تاويله الذى أراد ما أراد الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تاويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تاويل لاحد فيها الا تاويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فثبت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر فمن قال القول الاول فى ذلك قال ان الراسخون فى العلم مرفوع بالابتداء فى قول البصريين ويجعل خبره يقولون آمنا به وأما فى قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم فى يقولون وفى قول بعضهم بجملة الخبر عنهم وهى يقولون ومن قال القول الثانى وزعم ان الراسخين يعلمون تاويله عطف بالراسخين على اسم الله فعرفهم بالعطف عليه والصواب عندنا فى ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون لما قد بينا قبل من أنهم لايعلمون تاويل المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى هذه الآية وهو فيما بلغنى مع ذلك فى قراءة أبى ويقول الراسخون فى العلم كما ذكرناه عن ابن عباس انه كان يقرأه وفى قراءة عبد الله ان تاويله الا عند الله والراسخون فى العلم يقولون وأما معنى التأويل فى كلام العرب فانه التفسير والمرجع والمصير وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

على انها كانت تأول حبها * تاول ربعى السقاب فاصحبا

وأصله من آل الشئ الى كذا اذا صار اليه ورجع يؤل أولا وأوليه انا صيرته اليه وقد قيل ان قوله وأحسن

القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب اهماء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثانى ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدأ من قوله والمؤمنون كل آمن وفى هذا الاحتمال اشعار بان الذى حدث هو ايمانه بالشرائع التى نزلت عليه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال فى المهد انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذى أنزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وسلم مختصا بالايمان به ولا يمكن الغير من الايمان به واعلم ان الآية دلت على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان * المرتبة الاولى هى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل * والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى * والثالثة الكتب فانه الوحى الذى يتلقفه الملك ويوصله الى النبى صلى الله عليه وسلم فمثال الملك فى عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحى نور القمر فكما ان القمر يستفيد من الشمس

ويوصله اليناه كذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط والاقفام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم وهذا سر تطلع منه على أسرار أخرى ان كنت من أهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه أما الايمان بوجوده فهو ان تعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى وأما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز وأما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية أو سلبية أو اضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا في تفسير آية الكرسي وأما الايمان بافعاله فان تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك أن مشيئة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وأما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وان تعلم أن المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم أن له الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء وأراد وأن تعلم أنه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه وأما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات أنبيائه المرسلة وقدمر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله وأما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها أرواح أو أجنة محضة

تأويلا أي جزاء وذلك ان الجزاء هو الذي آل اليه أمر القوم وصار اليه ويعني بقوله تأويلها وتفسيرها ومرجعه وانما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه فآل من الصغر الى العظم فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه وقد ينشد هذا البيت

على انها كانت توابع حبها * توالى ربى السقاب فاصحبا

❁ القول في تأويل قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) يعني بالراسخين في العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه وحفظوه حفظا لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء وهو ثبوته ولزوجه فيه يقال منه رسخ الايمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وقد روي في نعتهم خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا فياض بن محمد الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ في العلم قال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي قالا ثنا نعيم بن حماد قال ثنا فياض الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد الاودي قال وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنا أنس بن مالك وأبو امامة وأبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ في العلم وقد قال جماعة من أهل التأويل انما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم الراسخين في العلم بقولهم آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الراسخون في العلم الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي والراسخون في العلم هم المؤمنون فانهم يقولون آمنا به ناسخه ومنسوخه كل من عند ربنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قال عبد الله بن سلام الراسخون في العلم وعلمهم قولهم قال ابن جريج الراسخون في العلم يقولون آمنا به وهم الذين يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا ويقولون ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه الآية وأما تأويل قوله يقولون آمنا به فانه يعني ان الراسخين في العلم يقولون صدقنا بما تشابه من آي الكتاب وانه حق وان لم نعلم تأويله وقد حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة بن نبيط عن الضحاك والراسخون في العلم يقولون آمنا به قال المحكم والمتشابه ❁ القول في تأويل قوله (كل من عند ربنا) يعني بقوله جل ثناؤه كل من عند ربنا كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا وهو تنزيله ووحيه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله كل من عند ربنا قال يعني ما نسخ منه وما لم ينسخ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قالوا كل من عند ربنا آمنوا بتشابهه وعملوا بمحكمه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كل من عند ربنا يقولون المحكم والمتشابه من عند ربنا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا نؤمن بالمحكم ويدين به ونؤمن بالمتشابه ولا يدين به وهو من عند الله كله حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله والراسخون في العلم يعملون به يقولون نعمل بالمحكم ونؤمن به ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به وكل من عند ربنا واختلف أهل العربية في حكم كل

أو جسمانية محضة أو مركبة من القسمين و بتقدير كونها جسمانية فلطيفة أو كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية أو هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين فى العلوم القرآنية والبرهانية و يدخل فى الايمان بالملائكة اعتقادانهم معصومون وأن لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم وسائط بين الله و بين البشر و بهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من أقسام

كل اذا أضمر فيها فقال بعض نحوى البصريين اذا جاز حذف المراد الذى كان معها الذى الكل اليه مضاف فى هذا الموضع لانها اسم كما قال انا كل فيها بمعنى انا كلنا فيها قال ولا يكون كل مضمرا فيها وهى صفة لا يقال مررت بالقوم كل وانما يكون فيها مضمر اذا جعلتها اسما لو كان انا كلا فيها على الصفة لم يجز لان الاضمار فيها ضعيف لا يتمكن فى كل مكان وكان بعض نحوى الكوفيين يرى الاضمار فيها وهى صفة أو اسم سواء لانه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده الا وهى كافية بنفسها مما كانت تضاف اليه من المضمر وغير جائز أن تكون كافية منه فى حال ولا تكون كافية فى أخرى وقال سبيل الكل والبعض فى الدلالة على ما بعدهما بانفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد فى كل حال صفة كانت أو اسما وهذا القول الثانى أولى بالقياس لانها اذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها فى حال لدلالتها عليها فالحكم فيها انها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهى كافية منه ۞ القول فى تاويل قوله (وما يذكر الا أولوا الالباب) يعنى بذلك جل ثناؤه وما يتذكر و يتعظ و ينزجر عن أن يقول فى متشابه آى كتاب الله ما لا علم له به الا أولوا العقول والنهى وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يذكر الا أولوا الالباب يقول وما يذكر فى مثل هذا يعنى فى رد تاويل المتشابه الى ما قد عرف من تاويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد الا أولوا الالباب ۞ القول فى تاويل قوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الراسخين فى العلم يقولون آمنا بما تشابه من آى كتاب الله وانه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا و وحيه و يقولون أيضا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا يعنى أنهم يقولون رغبة منهم الى ربهم فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آى القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله الذى لا يعلمه غير الله يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك لا تزغ قلوبنا لا تملها فتصرفها عن هداك بعد اذ هديتنا له فوفقتنا للايمان بمحكم كتابك ومتشابهه وهب لنا يا ربنا من لدنك رحمة يعنى من عندك رحمة يعنى بذلك هب لنا من عندك توفيقا وثباتا للذى نحن عليه من الاقرار بمحكم كتابك ومتشابهه انك أنت الوهاب يعنى انك أنت المعطى عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى لا تمل قلوبنا وان مللنا باجد ثناوهب لنا من لدنك رحمة وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم اليه فى ان لا يزيغ قلوبهم وان يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون ما أبان عن خطا قول الجهلة من القدرية ان ازاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وما مالته له عنها جور لان ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا بالذم أولى منهم بالمدح لان القول لو كان كما قالوا لكان القوم انما سالوا ربهم مسالتهم اياه أن لا يزيغ قلوبهم أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم وذلك من السائل جهل لان الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم وقد أعلم عباده ذلك ونفاه عن نفسه بقوله وما ربك بظلام للعبيد ولا وجه لمسئلته ان يكون بالصفة التى قد أخبرهم انه بها وفى فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على ان عدلا من الله عز وجل ازاغة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته فلذلك استحق المدح من رغب اليه فى أن لا يزيغه لتوجهه الرغبة الى أهلها ووضعه مسئلته موضعها مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته الى ربه فى ذلك مع محله منه وكرامته عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ثم قرأ ربنا لا تزغ

هذا العالم وأما الايمان بالكتب فان تعلم ان كلها وحى من عند الله وليس لاحد من المخلوقات أن يلقى فيها شيأ من ضلالاتهم ولا سيما فى القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شئ فعله عثمان فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب فى باب الاعتقاد وفى أمر التبليغ وفى الفتيا وفى الاخلاق والافعال كما مر فى قصة آدم وان تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبى خلافا لبعض الصوفية وأن بعض الانبياء أفضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وأما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء أفضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية أفضل منهم وانهم أفضل من الملائكة الارضية وقدر تحقيق ذلك فى قصة آدم أيضا وان تعلم أن شرعهم وان صار منسوخا الا أن

نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن أنبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين فى ذلك فهذه اشارة الى أصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما أن يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب والرسل واما أن يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال

قلوبنا بعد اذ هديتنا الى آخر الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر ابن حوشب عن أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالت قلت يا رسول الله وان القلب ليقلب قال نعم ما خلق الله من بشر من بنى آدم الا وقلبه بين أصبعين من أصابعه فان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله ألا تعلمنى دعوة ادعو بها لنفسى قال بلى قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن **حدثنى** محمد بن منصور الطوسى قال ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقال له بعض أهله يخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به قال ان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى يقول بهما هكذا وحرك أبو أحمد أصبعيه قال أبو جعفر وان أبا الطوسى رسق بين أصبعيه **حدثنى** سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن أبى سفيان عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قلنا يا رسول الله قد آمنا بك وصدقنا بما جئت به فيخاف علينا قال نعم ان القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى **حدثنى** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا بشر بن بكر **وحدثنى** على بن سهل قال ثنا أيوب بن بشر جميعا عن ابن جابر قال سمعت ابن عبد الله قال سمعت أبا ادريس الخولانى يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة **حدثنى** عمر بن عبد الملك الطائى قال ثنا محمد بن عبيدة قال ثنا الجراح بن مليح الهرانى عن الزبيدى عن جويبر عن سمرة بن فاتك الاسدى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما وقلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء ازاغه وان شاء اقامه **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال أخبرنى أبو هانئ الخولانى انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك **حدثنا** الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول اللهم ثبت قلبى على دينك قالت قلت يا رسول الله وان القلوب لتقلب قال نعم ما من خلق الله من بنى آدم بشر الا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله ربنا لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب ۞ القول فى تاويل قوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد) يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضا مع قولهم آمنا بما تشابه من آى الكتاب ربنا أنك المحكم والمتشابه الذى فيه من عندك ربنا يا ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله فى آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو

ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال وأحد فى معنى الجمع أى بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة فى سياق النفى تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق فى الايمان بهم وفى اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبى مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم أن قوله آمن الرسول الى قوله بين أحد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة أو نقول ان للانسان أياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدأ واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد ففقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الوسط

فيه معرفة المبدأ لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة وأما علم الوسط وهو علم ما يجب أن يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب

وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه وأما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون أى ليوملك غدا سيصل اليك فيه نتائج أعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه

فيه ان الله لا يخلف الميعاد وهذا من الكلام الذى استغنى بذكر مذكر منه عما ترك ذكره وذلك ان معنى الكلام ربنا انك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعدك ان من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذى أمرته به فى كتابك انك غافره يومئذ وانما هذا من لقوم مسألة ربهم ان يثبتهم على ما هم عليه من حسن نصرتهم بالايمان بالله ورسوله وما جاءهم به من تنزيله حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وايمانهم فانه اذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة لانه قد وعد من فعل ذلك به من عباده انه يدخله الجنة فالآية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فان تاويلها من القوم مسألة ودعاء ورغبة الى ربهم وأما معنى قوله ليوم لا ريب فيه فانه لا شك فيه وقد بينا ذلك بالادلة على صحته فيما مضى قبل ومعنى قوله ليوم فى يوم وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم فى موقف العرض والحساب والميعاد المفعال من الوعد ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار) يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين كفروا ان الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل ومنافقيهم ومنافقى العرب وكفارهم الذين فى قلوبهم زيغ فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعنى بذلك ان أموالهم وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله ان أحلها بهم عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تثبيتهم واتباعهم المتشابه طلب اللبس فيدفعها عنهم ولا يغنى ذلك عنهم منها شيأ وهم فى الآخرة وقود النار يعنى بذلك حطبها ۞ القول فى تاويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ عند حلول عقوبتنا بهم كسنة آل فرعون ودعائهم والذين من قبلهم من الامم الذين كذبوا بآياتنا فاخذناهم بذنوبهم فاهلكناهم حين كذبوا بآياتنا فلن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ حين جاءهم بأسنا كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم رسلهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله كدأب آل فرعون فقال بعضهم معناه كسنتهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله كدأب آل فرعون يقول كسنتهم وقال بعضهم معناه كعملهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا ثنا سفيان جميعا عن جويبر عن الضحاك كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون **حدثنا** يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كدأب آل فرعون قال كأعمالهم تكذيبهم حين كذبوا الرسل وقرأ قول الله مثل دأب قوم نوح ان يصيبهم مثل الذى أصابهم عليه من عذاب الله قال الدأب العمل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح عن أبى جزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد فى قوله كدأب آل فرعون قال كفعل آل فرعون كشان آل فرعون **حدثت** عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله كدأب آل فرعون قال كصنع آل فرعون * وقال آخرون معنى ذلك كتكذيب آل فرعون ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم فى الجحود

الاسرار انما يكون بجذبة من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار أو نقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدى أى سمعنا قوله وأطعنا أمره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا أولى لافيدانه ليس فى الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا أمر تجب اطاعته الا أمره والسماع ههنا بمعنى القبول أى سمعناه بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال وأطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم فى هذه التكاليف فهم ما أخلوا بشئ منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله أى اغفر وبقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أى لن تعدموا جزاءه وفى الكشاف أى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به والاشهر انه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو أن القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا به فاى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا أن يكون فرط منهم تقصير فيما يأتون ويذرون أو لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا

ولان جميع الطاعات فى جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن أهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم أى أنت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى كل الحمد له وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بالسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بامرين أحدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله ربنا أما القيد الاول فمعناه أطلب المغفرة منك وأنت الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة أن يعطى عطية كاملة وماذاك الا بان يغفر جميع الذنوب ويبدلها حسنات أو تكون الاضافة اشارة الى ماورد فى الحديث ان الله تعالى ما ثة جزء من الرحمة قسم جزأ منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون ويتعاطفون وأخر تسعة وتسعين جزأ ليوم القيامة أو لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر أثرها فى محل معين ولولا الوجود بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك ورأفتك وأنا أطلب الغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حق وفى حق أمثالى من المذنبين وأما القيد الثانى فمعناه ربيتنى اذ أوجدتنى مع انك لو لم تربنى فى ذلك الوقت لم أتضرر به لانى كنت أبقى فى العدم والآن لو لم تربنى أتضرر به فاسئلك أن لا تهملنى أو ربيتنى حين لم أذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك أن لا تربينى وقد أفنيت عمرى فى توحيدك أو ربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى قد شفيعا اليك فى ان تربينى فى المستقبل أو ربيتنى فيما مضى فاتم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع أحد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له الحياة وله الممات قوله سبحانه

والتكذيب وأصل الدأب من دأبت فى الامر دأبا اذا أدمنت العمل والتعب فيه ثم ان العرب نقلت معناه الى الشان والامر والعادة كما قال امرؤ القيس بن حجر

وان شفائى عبرة مهراقة فهل * عند رسم دارس من معول

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

يعنى بقوله كدأبك كشانك وأمرك وفعلك يقال منه هذا دأبى ودأبك أبدا يعنى به فعلى وفعلك وأمرى وأمرك وشأنى وشأنك يقال منه دأبت دؤوبا ودأبا وحكى عن العرب سمعنا عادة دأبت دأبا مثقلة محركة الهمزة كما قيل هذا شعر وبهر فتحرك ثانيه لانه حرف من الحروف الستة فالحق الدأب اذ كان ثانيه من الحروف الستة كما قال الشاعر

له نعل لا يطأ الكلب ريحها * وان وضعت بين المجالس شمت

وأما قوله والله شديد العقاب فانه يعنى به والله شديد عقابه لمن كفر به وكذب رسله بعد قيام الحجة عليه ❁ القول فى تاويل قوله (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) اختلفت القراء فى ذلك فقرأه بعضهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بانهم سيغلبون واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله قد كان لكم آية فى فئتين قالوا ففى ذلك دليل على ان قوله ستغلبون كذلك خطاب لهم وذلك هو قراءة عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين وقد يجوز لمن كانت بينه وفى هذه الآية ان الموعودين بان يغلبوا هم الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بان يقول ذلك لهم ان يقرأه بالياء والتاء لان الخطاب بالوحى حين نزل لغيرهم فيكون نظير قول القائل فى الكلام قلت للقوم انكم مغلوبون وقلت لهم انهم مغلوبون وقد ذكر ان فى قراءة عبد الله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ان ينتهوا يغفر لكم وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة سيغلبون ويحشرون على معنى قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون الى جهنم ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز فى قراءته غير الياء والذى نختار من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى اسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آى الكتاب الذى أنزلته اليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله قد كان لكم آية فى فئتين على انهم بقوله ستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله قد كان لكم فكان الحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب وأخرى ان أبا كريب حدثنا قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم مثل ما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تات مثلنا فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى قوله لاولى الابصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما أصاب الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة ثم ذكر نحو حديث أبى كريب عن يونس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من أمر بنى قينقاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم انهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على انه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم أن المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها أصلين الاول أن العبد موجد لافعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها الضعف قدرته ولا على فعلها اذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني ان الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق أما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب أن العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت جهته قوية عنده خصص الآية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق من أهل النار على انه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل أن يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب أن يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة

قد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد انك ترى انا كقومك لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى أولي الابصار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال فنحاص اليهودي في يوم بدر لا يغرن محمدا ان غلب قريشا وقتلهم ان قريشا لا تحسن القتال فنزلت هذه الآية قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال أبو جعفر فكل هذه الاخبار تنبئ عن ان المخاطبين بقوله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد هم اليهود المقول لهم قد كان لكم آية في فئتين الآية ويدل على ان قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء ومعنى قوله وتحشرون وتجمعون فتجلبون الى جهنم وأما قوله وبئس المهاد و بئس الفراش جهنم التي تحشرون اليها وكان مجاهد يقول كالذي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وبئس المهاد قال بئس ما مهدوا لانفسهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون وغيره كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد كان لكم آية عبرة وتفكر **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله الا انه قال ومتفكر في فئتين يعني في فرقتين وحزبين والفئة الجماعة من الناس التقتا للحرب واحدى الفئتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر والاخرى مشركو قريش فئة تقاتل في سبيل الله جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة وهم مشركو قريش كما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وأخرى كافرة فئة قريش الكفار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة قريش يوم بدر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قال ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار و رفعت فئة تقاتل في سبيل الله وقد قيل ذلك في فئتين بمعنى احداهما تقاتل في سبيل الله على الابتداء كما قال الشاعر

أخص لان الكسب لنفسه وغيره والاكتساب مايكتسب لنفسه خاصة وقيل فى الاكتساب مزيد احتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لايؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما صدر عنه قالت المعتزلة فى الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدور أفعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لاقدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تقرير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الاصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين أن لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وأنه لايلزم من طرو أحدهما زوال الآخر وقال الجبائى تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما كسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما أضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية فى ان الله تعالى لايعذب الاطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها فى اثبات أن الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها أن المضمونات لاتملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لايوجبان زوال الملك بدليل أم الولد والمدبر ومنها انه لاشفعة للجار لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة ضرره بالشركة فيبقى فى الجار على الاصل ومنها ان القطع لايسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لايوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها ان

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكما قال ابن مقرع

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان
فاما التى صحت فازد شنوءة * وأما التى شلت فازد عمان

وكذلك تفعل العرب فى كل مكرر على نظيره قد تقدمه اذا كان مع المكرر خبر ترده على اعراب الاول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع وتنصبه فى التام من الفعل والناقص وقد جرذلك كله فخفض على الرد على أول الكلام كانه يعنى كنت كذى رجلين كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك الخفض فى قوله فئة جائز على الرد على قوله فى فئتين التقتا فى فئة تقاتل فى سبيل الله وهذا وان كان جائزا فى العربية فلا استجيز القراءة به لاجماع الحجة من القراء على خلافه ولو كان قوله فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا مختلفتين ۞ القول فى تأويل قوله (يرونهم مثليهم رأى العين) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة ترونهم بالتاء بمعنى قد كان لكم أيها اليهود آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله والاخرى كافرة ترون المشركين مثلى المسلمين رأى العين يريد بذلك عظتهم يقول ان لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين يرونهم مثليهم بالياء بمعنى يرى المسلمون الذين يقاتلون فى سبيل الله الجماعة الكافرة مثلى المسلمين فى القدر فتأويل الآية على قراءتهم قد كان لكم يامعشر اليهود عبرة ومتفكر فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين فى كثرة عددهم فان قال قائل وماوجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء وأى الفئتين رأت صاحبتها مثليها الفئة المسلمة هى التى رأت المشركة مثليها أم المشركة هى التى رأت المسلمة كذلك أم غيرهما رأت احداهما كذلك قيل اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم الفئة التى رأت الاخرى مثلى أنفسها الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلى عدد الفئة المسلمة قالوا الله عز وجل فى أعينها حتى رأتها مثلى عدد أنفسها ثم قللها فى حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال هذا يوم بدر قال عبد الله بن مسعود قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قول الله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم فعنى الآية على هذا التأويل قد كان لكم يامعشر اليهود آية فى فئتين التقتا احداهما مسلمة والاخرى كافرة كثير عدد الكافرة قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها انما يكثرهما من العدد بمثل واحد فهم يرونهم مثليهم فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد والذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم فهذا أحد معنيى التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين انه قللهم فى أعينهم والمعنى الآخر منه التقليل الثانى على ماقاله ابن مسعود هو ان أراهم عدد المشركين مثل عددهم لايزيدون عليهم فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا وقال آخرون من أهل هذه المقالة ان الذين رأوا المشركين مثلى أنفسهم هم المسلمون غير ان المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقللوا فى أعينهم ولكن الله أيدهم بنصره فالوا ولذلك قال الله عز وجل لليهود قد كان لكم فيهم

منكرى وجوب الزكاة احتجوا به والجواب أن دلائل وجوب الزكاة أخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء الاول ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسى قد أمكن من نفسه وطرق السبيل اليها بفعله فصار من (١٢١) يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه فى ايذاء نفسه وفى التفسير الكبير ان الله ياخذ المذنب بالذنب والمذنب ياخذ به بالعفو والكرم أى يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو أن يترك الفعل لتاويل فاسد كما ان الخطا هو أن يفعل الفعل لتاويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أى تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم واما ضد الذكر وأورد عليه ان النسيان والخطا متجاوز عنهما فى قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن رأى دما فى ثوبه وأخر ازالته الى ان نسى فصلى وهو على ثوبه عند مقصرا ذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسى فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسى فانه يكون معذورا وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر حاجته شد خيطا فى أصبعه فثبت ان الناسى قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هيا مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثانى ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر

عبرة يخوفهم بذلك ان يحل بهم منهم مثل الذى أحل باهل بدر على أيديهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة أنزلت فى التخفيف يوم بدر كان المؤمنون كانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان المشركون مثليهم فانزل الله عز وجل قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة فايد الله المؤمنين فكان هذا الذى فى التخفيف على المؤمنين وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الاخبار عن عدة المشركين يوم بدر وذلك ان الناس انما اختلفوا فى عددهم على وجهين فقال بعضهم كان عددهم ألفا وقال بعضهم ما بين التسعمائة الى الالف ذكر من قال عددهم ألف **حدثنى** هرون بن اسحق الهمدانى قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن على قال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فسبقنا المشركين اليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط فاما القرشى فانفلت وأما مولى عقبة فاخذناه فجعلنا نقول كم القوم فيقول هم والله كثير شديد باسهم فجعل المسلمون اذا قال ذلك صدقوه حتى انتهوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم فقال هم والله كثير شديد باسهم فجهد النبى صلى الله عليه وسلم على ان يخبره كم هم فابى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله كم تنحرون من الجزور فقال عشرة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف **حدثنى** أبو سعيد أن يوشع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال أسرنا رجلا منهم يعنى من المشركين يوم بدر فقلنا كم كنتم قال ألفا ذكر من قال كان عددهم ما بين التسعمائة الى الالف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قال يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون له ماء فاصابوا راويتين من قريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص فاتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندرى قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ذلكم يوم بدر الف المشركون أو قاربوا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة الى قوله رأى العين قال يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين واثنين وأسروا اثنين وأسروا اثنين بغلة يوم بدر **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال كان ذلك يوم بدر وكان المشركون تسعمائة وخمسين وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر والمشركون ما بين التسعمائة الى الالف فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القول الذى رويناه عن ابن عباس فى عدد المشركين يوم بدر فاذ كان ما قاله من حكيناه ممن ذكران عددهم كان زائدا على التسعمائة فالتأويل الاول الذى قلناه على الرواية التى رويناها عن ابن مسعود أولى بتأويل الآية * وقال آخرون كان عدد المشركين زائدا على التسعمائة فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد وقالوا

عنهم مالا ينبغى الاعلى وجه الخطا والنسيان فكان وضعهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكانه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث ان العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فرب ما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته (١٢٢) واما لاعتداد تلك النعمة أو لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع ان مؤاخذة الناسى غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا فى العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف مالا يطاق فيقول الناسى غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطا لابد أن يفسرا بما فيه العمل والقصد الى فعل مالا ينبغى اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا النوع الثانى من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تأصرنى على فلان اصرة أى ما تعطفنى عليه قرابة ولا منفعة والمعنى لا تشدد علينا فى التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم فى الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا

أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلا آية للمسلمين قالوا وانما عنى الله عز وجل بقوله يرونهم مثليهم المخاطبين بقوله قد كان لكم آية فى فئتين قالوا وهم اليهود غير انه رجع من المخاطبة الى الخبر عن الغائب لانه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك لهم فحسن ان يخاطب مرة ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقالوا فان قال لنا قائل فكيف قيل يرونهم مثليهم رأى العين وقد علمتم ان المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين قلنا لهم كما يقول القائل وعنده عبد احتاج الى مثله أنا محتاج اليه والى مثله ثم يقول احتاج الى مثليه فيكون ذلك خبرا عن حاجته الى مثله والى مثلى ذلك المثل وكما يقول الرجل معى ألف واحتاج الى مثليه وهو محتاج الى ثلاثة فلما رأى أن يكون الالف داخلا فى معنى المثل صار المثل أشرف ٧ والاثنان ثلاثة قال ومثله فى الكلام أراكم مثليكم كما يقال ان لكم ضعفكم وأراكم مثليكم يعنى أراكم ضعفكم قالوا فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثل عددهم وهذا أيضا خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه قال فى كتابه واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم فاخبر ان كلا من الطائفتين قلل عدد صاحبتها فى مرأى الاخرى وقرأ آخرون ذلك ترونهم بضم التاء بمعنى يريكموهم الله مثليهم وأولى هذه القراءة بالصواب قراءة من قرأ يرونهم بالياء بمعنى وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم يعنى مثلى عدد المسلمين لتقليل الله اياهم فى أعينهم فى حال فكان حزرهم اياهم كذلك ثم قللهم فى أعينهم عن التقليل الاول فحزروهم مثلى عدد المسلمين ثم تقليلا ثالثا فحزروهم أقل من عدد المسلمين كما

حدثنى أبو سعيد البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا وقد روى عن قتادة انه كان يقول لو كانت ترونهم لكانت مثليكم

حدثنى المثنى قال ثنى عبد الرحمن بن أبى حماد عن ابن المبارك عن معمر عن قتادة بذلك فنى الخبر بين اللذين رويناعن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذ عدد المشركين فى الاوقات المختلفة فاخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين اليهود على ما كان به عندهم مع علم اليهود ببلغ عدد الفئتين اعلاما منه لهم انه مؤيد المؤمنين بنصره لئلا يغتروا بعددهم وباسهم وليحذروا منه ان يحل بهم من العقوبة على أيدى المؤمنين مثل الذى أحل باهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدر وهم وأما قوله رأى العين فانه مصدر رأيته يقال رأيته رأيا ورؤية ورأيت فى المنام رؤيا حسنة غير مجراة يقال هو منى رأى العين ورأى العين بالنصب والرفع يراد حيث يقع عليه بصرى وهو من الرائى مثله والقوم رأوا اذا جلسوا حيث يرى بعضهم بعضا فمعنى ذلك يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم ۞ القول فى تاويل قوله (والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) يعنى بذلك جل ثناؤه والله يؤيد يقوى بنصره من يشاء من قول القائل قد أيدت فلانا بكذا اذا قويته وأعنته فانا أؤيده تأييدا وفعلت منه أدته فانا أؤيده أيدا ومنه قول الله عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الايد يعنى ذا القوة وتأويل الكلام قد كان لكم آية يا معشر اليهود فى فئتين التقتا احداهما تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأى أعينهم فايدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوى بنصره من يشاء جل ثناؤه فى ذلك يعنى ان فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تاييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها العبرة يعنى لمتفكرا ومتعظا ان عقل وذكر نصرنا الحق كما

في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلاظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ وأما ان اليهود لم خصت بغلاظ الطبع وهذه الامة بالطافة والكرم فليس لنا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا أي ما يشق فعله لا الذي لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق أي لا يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب أي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله سلمنا أنهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز أن يفعل خلاف ذلك كما ان قوله رب احكم بالحق لا يدل على جواز أن يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولا تخزني يوم يبعثون لا يدل على ان خزي الانبياء جائز فيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي لا قدرة عليه بالتحميل وأجيب بان الحامل قد يحمل ما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب ان لا يكلف بالفعل الشاق كان من لوازمه ان لا يكلف بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لأقل من عكس

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر أيدهم الله ونصرهم على عدوهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تاويل قوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) يعني تعالى ذكره زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدد وانما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه وكان الحسن يقول من ذمها ما أحد أشد لها ذما من خالقها **حدثني** بذلك أحمد ابن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشعث عنه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن جرير عن عطاء عن أبي بكير بن حفص بن عمر بن سعد قال قال عمر لما نزل زين للناس حب الشهوات قلت الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأما القناطير فانها جمع القنطار واختلف أهل التأويل في مبلغ القنطار فقال بعضهم هو ألف ومائتا أوقية ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال القنطار ألف ومائتا أوقية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يعني حفص بن ميسرة عن أبي مروان عن أبي طيبة عن ابن عمر قال القنطار ألف ومائتا أوقية **حدثني** يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا القاسم بن مالك المزني قال أخبرني العلاء بن المسيب عن عاصم بن أبي النجود قال القنطار ألف ومائتا أوقية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة مثله **حدثني** زكريا بن يحيى الصديق قال ثنا شبابة قال ثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية وقال آخرون القنطار ألف دينار ومائتا دينار ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف ومائتا دينار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يونس عن الحسن قال القنطار ألف ومائتا دينار **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال القنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول القناطير المقنطرة يعني المال الكثير من الذهب والفضة والقنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال * وقال آخرون القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ذكر من قال ذلك **حدثني** علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو ابن عوف قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال القنطار ألف دينار ومن الورق اثنا عشر ألف درهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ان القنطار اثنا عشر ألفا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال أخبرنا عوف عن الحسن القنطار اثنا عشر ألفا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عوف عن الحسن اثنا عشر ألفا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن بمثله **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال القنطار ألف دينار دية أحدكم وقال آخرون هو ثمانون ألفا من الدراهم أو مائة رطل من الذهب ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار

الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أى لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها وأما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو التكليف بما تكلف من قبلهم ثم سألوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذى لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم أم لا وقيل

وحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سليمان التيمى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث ان القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألفا من الورق **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألف درهم من ورق **حدثنا** أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح قال القنطار مائة رطل **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى القنطار يكون مائة رطل وهو ثمانية آلاف مثقال وقال آخرون القنطار سبعون ألفا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله القناطير المقنطرة قال القنطار سبعون ألف دينار **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمرو بن حوشب قال سمعت عطاء الخراسانى قال سئل ابن عمر عن القنطار فقال سبعون ألفا وقال آخرون هى ملء مسك ثور ذهبا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا سالم بن نوح قال ثنا سعيد الجريرى عن أبى نضرة قال ملء مسك ثور ذهبا **حدثنى** أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشهب عن أبى نضرة ملء مسك ثور ذهبا وقال آخرون هو المال الكثير ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال القناطير المقنطرة المال الكثير بعضه على بعض وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ان العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ولكنها تقول هو قدر ووزن وقد ينبغى أن يكون ذلك كذلك لان ذلك لو كان محدودا قدره عندهم لم يكن بين متقدمى أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف فالصواب فى ذلك ان يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحد قدر وزنه بحد على تعنف وقد قيل ما قيل مما رويناه وأما المقنطرة فهى المضعفة وكان القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وهو كما قال الربيع بن أنس المال الكثير بعضه على بعض كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله القناطير المقنطرة يعنى المال الكثير من الذهب والفضة وقال آخرون معنى المقنطرة المضروبة دراهم أو دنانير ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أما قوله المقنطرة فيقول المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وآتيتم احداهن قنطارا خبر لو صح سنده لم نعده الى غيره وذلك ما **حدثنا** به ابن عبد الرحمن السرقى قال ثنى عمرو بن أبى سلمة قال ثنا زهير بن محمد قال ثنى أبان بن أبى عياش وحميد الطويل عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتيتم احداهن قنطارا قال ألفا مئين ٧ يعنى ألفين ۞ القول فى تأويل قوله (والخيل المسومة) اختلف أهل التأويل فى معنى المسومة فقال بعضهم هى الراعية ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير الخيل المسومة قال الراعية التى ترعى **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن

الاول طلب ترك التشديد فى مقام القيام بظاهر الشريعة والثانى طلب ذلك فى مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمه أى لا تطلب منى حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك وأما الفائدة فى حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع فى لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فذلك انه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شئ كان حصوله أرجى النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قول ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو العذاب الروحانى وبعد التخلص منهما أقبل على طلب الثواب وهو أيضا قسمان جسمانى هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحانى وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله أنت مولانا ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولى لكل نعمة يناولنها وهو المعطى لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذى لا تتم مصالحه الا بتدبير قيمه والعبد الذى لا ينتظم شمل

مهماته الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه أى بالامكان والنقصان عرف ربه أى بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق أعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفك وناوالك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ماسوالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة (١٢٥) فسطاط القرآن فتعلموها فان

سعيد بن جبير هى الراعية يعنى السائمة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى يقول الراعية **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والخيل المسومة قال الراعية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن والخيل المسومة المسروجة فى الرعى **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله والخيل المسومة قال الخيل الراعية **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد انه كان يقول الخيل الراعية * وقال آخرون المسومة الحسان ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قال مجاهد المسومة المطهمة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن مجاهد فى قوله والخيل المسومة قال المطهمة الحسان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والخيل المسومة قال المطهمة حسنا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد المطهمة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا سعيد بن أبى أيوب عن بشر بن أبى عمرو الخولانى قال سألت عكرمة عن الخيل المسومة قال تسويمها حسنها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن بشر بن أبى عمرو الخولانى قال سمعت عكرمة يقول الخيل المسومة قال تسويمها الحسن **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى والخيل المسومة والانعام الراتعة وقد **حدثنى** بهذا الحديث عن عمرو بن حماد عن موسى قال الراعية * وقال آخرون الخيل المسومة المعلمة ذكر من قال ذلك **حدثنى** على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس والخيل المسومة يعنى المعلمة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والخيل المسومة وسيماها شيتها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والخيل المسومة قال شية الخيل فى وجوهها وقال غيرهم المسومة المعدة للجهاد ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والخيل المسومة قال المعدة للجهاد قال أبو جعفر أولى هذه الاقوال بالصواب فى تاويل قوله والخيل المسومة المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسنا من رآها لان التسويم فى كلام العرب هو الاعلام فالخيل الحسان معلمة باعلام الله اياها بالحسن من ألوانها وشياتها وهيآتها وهى المطهمة أيضا ومن ذلك قول نابغة بنى ذبيان فى صفة الخيل

بسمر كالقداح مسومات * عليها معشر أشباه جن

يعنى بالمسومات المعلمات وقول لبيد

وغداة قاع القريتين أتيتهم * زجلا يلوح خلالها التسويم

فمعنى تاويل من تاول ذلك المطهمة والمعلمة والرائعة واحد وأما قول من تاوله بمعنى الراعية فانه ذهب الى قول القائل أسمت الماشية فانا أسيمها اسامة اذا رعيتها الكلا والعشب كما قال الله عز وجل ومنه شجر فيه تسيمون يعنى ترعون ومنه قول الاخطل مثل ابن برعة أو كآخر مثله * أولى من مسيمة الاجمال * يعنى بذلك راعية الاجمال فاذا أريد الماشية هى التى رعت قيل سامت الماشية تسوم سوما ولذلك قيل ابل سائمة بمعنى راعية غير انه غير مستقيض فى كلامهم سومت الماشية بمعنى أرعيتها وانما يقال اذا أريد ذلك أسمتها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيه تاويل المسومة الى انها المعلمة بما وصفنا من المعانى التى تقدم ذكرها أصح وأما الذى

تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدى عن مقاتل بن سليمان انه لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء أعطى خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل أكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فاسأله وارغب اليه فعلمه جبريل عليه السلام كيف يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا أؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا أشدد عليكم فقال لا تحملنا مالا طاقة لنا به فقال لا أحملكم

ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفى بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون آمين (التاويل) الانسان مركب من عالمى الامر والخلق له روح نورانى من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها

وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم مودع من أنوار الاخلاق الروحانية فى الظاهر باعمال الشريعة وفى الباطن باحوال الحقيقة أو تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية فى الظاهر بخالفات الشريعة وفى الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول أنوار الروح أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنور قربه العلى الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمى الامر والخلق قدير لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فاجاب صلى الله عليه وسلم بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول عيانا بما أنزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا وأطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون منى فى جزاء السمع والطاعة فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الا أن تسترهم بسربال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيرى اليك لا الى من سواك قال الله فى جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك فى مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ولهذا قال لك جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت وان ما الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم فى سماء واقفون حبستهم رحمتى كيلا تحرقهم سبحات وجهى وسطوات قهرى فكيف أكلف أمتك المذنبة المرحومة بهذا المصير وانى بضعف حالهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام ان اتخذتك حبيبا

قاله ابن زيد من انها المعدة فى سبيل الله فتأويل من معنى المسومة بمعزل ۞ القول فى تاويل قوله (والانعام والحرث) فالانعام جمع نعم وهو الازواج الثمانية التى ذكرها فى كتابه من الضان والمعز والبقر والابل وأما الحرث فهو الزرع وتاويل الكلام زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ومن كذا ومن كذا ومن الانعام والحرث ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك جميع ماذكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فكنى بقوله عن جميعهن وهذا يدل على ان ذلك يشتمل على الاشياء الكثيرة المختلفة المعانى ويكنى به عن جميع ذلك وأما قوله متاع الحياة الدنيا فانه خبر من الله عن ان ذلك كله مما يستمتع به فى الدنيا أهلها أحياء فيتبلغون به فيها ويجعلونه وصلة فى معايشهم وسببا لقضاء شهواتهم التى زينها لهم حلها فى عاجل دنياهم دون أن يكون عدة لمعادهم وقربة لهم الى ربهم الا ما أسلك فى سبيله وأنفق منه فيما أمر به وأما قوله والله عنده حسن المآب فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وعند الله حسن المآب يعنى حسن المرجع كما

حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى والله عنده حسن المآب يقول حسن المنقلب وهى الجنة وهو مصدر على مثال مفعل من قول القائل آب الرجل الينا اذا رجع فهو يؤوب اوبا وأوبة وأيبة وما آب غير ان موضع الياء منها مهموز والعين مبدلة من الواو التى الالف بحركتها الى الفتح قلنا كان حظها الحركة الى الفتح وكانت حركتها منقولة الى الحرف الذى قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفا كما قيل قال فصارت عين الفعل ألفا لان حظها الفتح والمآب مثل المقال والمعاد والمحال كل ذلك مفعل منقولة حركة عينه الى فائه فصيرة واوه أو ياؤه ألفا لفتحة ما قبلها * فان قال قائل وكيف قيل والله عنده حسن المآب ولقد علمت ما عنده يومئذ من أليم العذاب وشديد العقاب قيل ان ذلك معنى به خاص من الناس ومعنى ذلك والله عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم وقد أنبأنا عن ذلك فى هذه الآية التى تليها فان قال وما حسن المآب قيل هو ما وصفه به جل ثناؤه وهو المرجع الى جنات تجرى من تحتها الانهار مخلدا فيها والى أزواج مطهرة ورضوان من الله ۞ القول فى تاويل قوله (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) يعنى جل ثناؤه قل يا محمد للذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين وسائر ماذكر ربنا جل ثناؤه أنبئكم أخبركم وأعلمكم بخير من ذلكم يعنى بخير وأفضل لكم من ذلكم يعنى مما زين لكم فى الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وأنواع الاموال التى هى متاع الدنيا * ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى اليه الاستفهام من هذا الكلام فقال بعضهم تناهى ذلك عند قوله من ذلكم ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم فقيل للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله جنات تجرى من تحتها الانهار الا الرفع وذلك انه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير فيكون الخفض فيه جائزا وهو وان كان خبر مبتدأ عندهم ففيها نابة عن معنى الخبر الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أنبئكم به والجنات على هذا القول مرفوعة بالالم التى فى قوله للذين اتقوا عند ربهم * وقال آخرون منهم بنحو هذا القول الا انهم قالوا ان جعلت اللام التى فى قوله للذين من صلة الانباء جاز فى الجنات الخفض والرفع الخفض على الرد على الخبر والرفع على أن يكون قوله للذين اتقوا خبر مبتدأ على ما قد بيناه قبل * وقال آخرون بل منتهى الاستفهام قوله عند ربهم ثم ابتدأ جنات تجرى من تحتها الانهار وقالوا تاويل الكلام قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم ثم كانه قيل ما ذا لهم أو

قبل أن أخلقك وخلقت الكائنات لحبيبك ولان أمتك أكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم مادام وافى متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت أمتك من أنوار متابعتك تستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد ذلك الناوعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك تستاهل المصير فى دركات السعير فتارة أسكره لذة هذا الخطاب وأخرى أقحمته سطوة هذا العتاب فقال وبنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا أى لا تعاقب أمتى ان نسيت عهدك الذى عاهدتهم ان يحبوك ولا يحبوا غيرك وأخطات طريق طلبك ولكن ما أخطات طريق عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وأنت قلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بان تجعلنا أسرى النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا بحب أنانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا أنت مولانا ولينا فى رفع وجودنا وناصرنا فى نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وأعنا فى المصير اليك على قمع كفار الاثنينية التى تمنعنا من وحدتك شعر

بينى وبينك انى ينازعنى
فارفع بجودك انى من البين

وحسبى الله

(سورة آل عمران وهى مدنية حروفها ٤٤٢٤ كلماتها ٤٨٥ آياتها مائتان)

ماذا أو على انه يقال ماذا لهم أو ماذا فقال هو جنات تجرى من تحتها الانهار الآية * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهيا عند قوله بخير من ذلكم والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله للذين اتقوا عند ربهم جنات فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر وهو انابة عن معنى الخبر الذى قال أؤنبئكم به فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة الى ضمير * قال أبو جعفر الطبرى وأما قوله خالدين فيها فانتصب على القطع ومعنى قوله للذين اتقوا الذين خافوا الله فاطاعوه باداء فرائضه واجتناب معاصيه عند ربهم يعنى فذلك لهم جنات تجرى من تحتها الانهار عند ربهم والجنات البساتين وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى وان قوله تجرى من تحتها الانهار يعنى به من تحت الاشجار وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها وأن الازواج المطهرة هن نساء الجنة اللواتى طهرن من كل أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمنى والبول والنفاس وما أشبه ذلك من الاذى مما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ورضوان من الله يعنى ورضى الله وهو مصدر من قول القائل رضى الله عن فلان فهو يرضى عنه رضى منقوص ورضوانا ورضوانا ومرضاة فاما الرضوان بضم الراء فهو لغة قيس وبه كان عاصم يقرأ وانما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخبر رضوانه لان رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة كما حدثنا ابن بشار قال ثنى أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى أعطيكم أفضل من هذا فيقولون أى ربنا أى شئ أفضل من هذا قال رضوانى * وقوله والله بصير بالعباد يعنى بذلك والله ذو بصر بالذى يتقيه من عباده فيخافه فيطيعه ويؤثر ما عنده مما ذكر انه أعده للذين اتقوه على حب مازين له فى عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدد منها تعالى ذكره وبالذى لا يتقيه فيخافه ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زين له فى الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والاموال على ما عنده من النعيم المقيم عالم تعالى ذكره بكل فريق منهم حتى يجازى كلهم عند معاد هم اليه جزاءهم المحسن باحسانه والمسئ باساءته ۞ القول فى تاويل قوله (الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ومعنى ذلك قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقد يحتمل الذين يقولون وجهين من الاعراب الخفض على الرد على الذين الاولى والرفع على الابتداء اذ كان فى مبتدأ آية أخرى غير التى فيها الذين الاولى فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم قال فى مبتدأ الآية التى بعدها التائبون العابدون ولو كان جاء ذلك مخفوضا كان جائزا ومعنى قوله الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا الذين يقولون انا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها وقنا عذاب النار ادفع عنا عذابك ايانا بالنار أن تعذبنا بها وانما معنى ذلك لا تعذبنا يا ربنا بالنار وانما خصوا المسئلة بان يقيهم عذاب النار لان من زحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب الله وحسن مآبه وأصل قوله قنا من قول القائل وقى الله فلانا كذا اذا رد به دفع عنه فهو يقيه فاذا سأل بذلك سائل قال قنى كذا ۞ القول فى تاويل قوله (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين) يعنى بقوله الصابرين الذين صبروا فى البأساء والضراء وحين البأس ويعنى بالصادقين الذين صدقوا الله فى قولهم بتحقيقهم الاقرار به وبرسوله وما جاء به من عنده بالعمل بما أمر به والانتهاء عما نهاه عنه ويعنى بالقانتين المطيعين له وقد أتينا على الابانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها وبالاخبار عمن قال فيها قولا فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد كان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الصابرين والصادقين

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا الله هو العزيز الحكيم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر

متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) القراآن الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولا بفتح الميم التوراة ممالة حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كدأب حيث كان بغير همزة أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف (الوقوف) الم ج كوفي مختلف فان غير الاعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الاهو ج القيوم ط والانجيل ط الفرقان ط شديد ط انتقام ه في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط لاستئناف تفضيل وابتغاء تأويله ج لان الواو تصلح استئنافا والحال أليق الا الله م عند أهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخون يعلمون تأويل المتشابه كما يعلم الله ومن لم يحترز عن هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي بدخلها القياس والتاويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص المتقدمين المجمع عليها نعطف لقوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له أن لا يقف على الا الله آمنا به لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ه رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل

والقانتين والمنفقين الصادقين يوم صدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا في السر والعلانية
والصابرين يوم صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه والقانتون هم المطيعون لله وأما المنفقون فهم المؤتون
زكوات أموالهم وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل
ثناؤه بانفاقها فيها وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض ردا على قوله الذين يقولون ربنا
اننا آمنا والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله الذين يقولون خفض ردا على قوله للذين اتقوا عند ربهم
۞ القول في تأويل قوله (والمستغفرين بالاسحار) اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة
صفتهم فقال بعضهم المصلون بالاسحار ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة والمستغفرين بالاسحار هم أهل الصلاة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر
عن أبيه عن قتادة والمستغفرين بالاسحار قال يصلون بالاسحار * وقال آخرون هم المستغفرون ذكر من
قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن حريث بن أبي مطر عن ابراهيم بن خاطب عن أبيه قال
سمعت رجلا في الجحر في ناحية المسجد وهو يقول رب أمرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فاذا ابن
مسعود **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
عن قول الله عز وجل والمستغفرين بالاسحار قال حدثني سليمان بن موسى قال ثنا نافع أن ابن عمر كان
يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن بعض البصريين عن أنس بن مالك قال أمرنا أن نستغفر بالاسحار
سبعين استغفارة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو يعقوب الضبي
قال سمعت جعفر بن محمد يقول من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين
بالاسحار * وقال آخرون هم الذين يشهدون الصبح في جماعة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا
اسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال قلت لزيد بن أسلم من المستغفرين بالاسحار
قال هم الذين يشهدون الصبح * وأولى هذه الاقوال بتأويل قوله والمستغفرين بالاسحار قول من قال هم
السائلون ربهم أن يستر عليهم فيجعلهم بها بالاسحار وهي جمع سحر وأظهر معاني ذلك أن تكون مسئلتهم
اياه بالدعاء وقد يحتمل أن يكون معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من
الدعاء ۞ القول في تأويل قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا
هو العزيز الحكيم) يعني بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا اله الا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم فالملائكة
معطوف بهم على اسم الله وانه مفتوحة بشهد * وكان بعض البصريين يتاول قوله شهد الله قضى الله ويرفع
الملائكة بمعنى والملائكة شهود وأولو العلم وهكذا قرأت قراء أهل الاسلام بفتح الالف من أنه على ما ذكرت
من اعمال شهد في أنه الاولى وكسر الالف من ان الثانية وابتدائها سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية
كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وأن الدين عند الله الاسلام فعطف بان الدين
على أنه الاولى ثم حذف واو العطف وهي مرادة في الكلام واحتج في ذلك بان ابن عباس قرأ ذلك شهد الله أنه
لا اله الا هو الآية ثم قال ان الدين بكسر الاولى وفتح أن الثانية يا عمال شهد فيها وجعل أن الاولى اعتراضا في
الكلام غير عامل فيها شهد وأن ابن مسعود قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو بفتح أن وكسر ان من ان الدين عند
الله الاسلام على معنى اعمال الشهادة في أن الاولى وأن الثانية مبتدأة فزعم انه أراد بقراءته اياهما بالفتح
جميع قراءة ابن عباس وابن مسعود فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الاسلام

أوفاء التعقيب للتسبيب الوهاب فيه ط المعاده شيأ ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه (التفسير) اما قراءة عاصم فلها وجهان الاولى الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثانى أن يكون ذلك على لغة من يقطع ألف الوصل وأما من فتح الميم ففيه قولان أحدهما قول الفراء (١٢٩) واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان أسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم أسقطوا الهمزة للتخفيف وألقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على انها فى حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان ضرورة سقوط الهمزة فى الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هى المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها فى الوصل أصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدى نقل المفسرون انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثانى مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان الى جنبه أخوه كرز بن علقمة

المتقدمين منهم والمتاخرين بدعوى تاويل على ابن عباس وابن مسعود زعم انهما قالاه وقرآه وغير معلوم ما ادعى عليه برواية صحيحة ولا سقيمة وكفى شاهدا على خطأ قراءة خروجها من قراءة أهل الاسلام فالصواب اذ كان الامر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتح الالف من انه الاولى وكسر الالف من ان الثانية أعنى من قوله ان الدين عند الله الاسلام ابتداء وقد روى عن السدى فى تاويل ذلك قول كالدال على صحيح ما قرأ به فى ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية فى فتح أن من قوله ان الدين وهو ما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى لا اله الا هو العزيز الحكيم فان الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس ان الدين عند الله الاسلام فهذا التأويل يدل على أن الشهادة انما هى عاملة فى ان الثانية التى فى قوله ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا التأويل جائز فى ان فى الاولى وجهان من التأويل أحدهما أن تكون الاولى منصوبة على وجه الشرط بمعنى شهد الله بانه واحد فتكون مفتوحة بمعنى الخفض فى مذهب بعض أهل العربية وبمعنى النصب فى مذهب بعضهم والشهادة عاملة فى ان الثانية كأنك قلت شهد الله ان الدين عند الله الاسلام لانه واحد ثم تقدم لانه واحد فتفتحها على ذلك التاويل والوجه الثانى ان تكون ان الاولى مكسورة بمعنى الابتداء لانها معترض بها والشهادة واقعة على ان الثانية فيكون معنى الكلام شهد الله فانه لا اله الا هو والملائكة ان الدين عند الله الاسلام كقول القائل أشهد فانى صحق انك مما تعاب به برىء فان الاولى مكسورة لانها معترضة والشهادة واقعة على ان الثانية وأما قوله قائما بالقسط فانه بمعنى الذى يلى العدل بين خلقه والقسط هو العدل من قولهم هو مقسط وقد أقسط اذا عدل ونصب قائما على القطع * وكان بعض نحوى أهل البصرة يزعم انه حال من هو التى فى لا اله الا هو * وكان بعض نحوى الكوفة يزعم انه حال من اسم الله الذى مع قوله شهد الله فكان معناه شهد الله القائم بالقسط أنه لا اله الا هو وقد ذكر انها فى قراءة ابن مسعود كذلك وأولو العلم القائم بالقسط ثم حذفت الالف واللام من القسط فصار نكرة وهو نعت لمعرفة فنصب * وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى قول من جعله قطعا على انه من نعت الله جل ثناؤه لان الملائكة وأولى العلم معطوفون عليه فكذلك الصحيح أن يكون قوله قائما حالا منه وأما تاويل قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم فانه نفى أن يكون شئ مستحق العبودة غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه يعنى بالعزيز الذى لا يمتنع عليه شئ أراده ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه الحكيم فى تدبيره فلا يدخله خلل وانما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من البنوة وما نسب اليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا واتخاذهم دونه أربابا فاخبرهم الله عن نفسه انه الخالق كل ما سواه وانه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وان ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيما لنفسه وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا اليها كما سن لعباد أن يبدؤا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك والمراد من الكلام الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدموه من ملائكته وعلماء عباده فاعلمهم ان ملائكته التى تعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدها الكثير منهم وأهل العلم منهم منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم فى عيسى وقول من اتخذ باغيرا من سائر الخلق فقال شهدت الملائكة وأولوا العلم أنه لا اله الا هو وان كل من اتخذ بادون الله فهو كاذب احتجاجا منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجوه من وفد نجران فى عيسى واعترض بذكر الله وصفته على ما بينه كما قال جل ثناؤه واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه افتتاحا باسمه الكلام فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة

فبينما بغلة أبي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز أخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل تعست أمك فقال ولم يا لطى ٧ فقال انه والله النبي صلى الله عليه وسلم الذي ننتظره فقال له أخوه كرز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا بمحمد لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضمره الى ان أسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم أولئك الثلاثة الامير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من أديانهم فتارة يقول عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلاثة ويحتجون في مقولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقوله الله تعالى فعلنا وفعلنا ولو كان واحدا لقال نعلت وقد حانت وقت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا قد أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح اسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتاكلون الخنزير قالوا فمن أبوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظرهم فقال ألستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون انه حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيأ من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيأ من ذلك الا ما علم قالوا لا قال

لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضمره الى ان أسلم وكان

بما وصفنا من نفي الالوهة عن غيره لتكذيب أهل الشرك به فاما ما قال الذي وصفنا قوله من انه عنى بقوله شهد قضى فما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم لان الشهادة معنى والقضاء غيرها ونحو الذي قلنا في ذلك روى عن بعض المتقدمين القول في ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا يعني بخلاف ما قال وفد نجران من النصارى قائما بالقسط أي بالعدل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل ۞ القول في تاويل قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ومعنى الدين في هذا الموضع الطاعة والذلة من قول الشاعر

ويوم الحزن اذ حسدت معد * وكان الناس الا نحن دينا

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل ومنه قول القطامي * كانت تدين بدينك الاديانا * يعني تذلل وقول الاعشى ميمون بن قيس

هو دان الرباب اذ كرهوا الدين * دراكا بعزة وحيال

يعني بقوله دان ذل وبقوله كرهوا الدين الطاعة وكذلك الاسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم بمعنى دخل في السلم كما يقال أقحط القوم اذا دخلوا في القحط وأربعوا اذا دخلوا في الربيع فكذلك أسلموا اذا دخلوا في السلم وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة فاذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله ان الدين عند الله الاسلام ان الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له واقرار الالسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون اشراك غيره من خلقه معه في العبودية والالوهية ونحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الدين عند الله الاسلام والاسلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزي الا به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ثنا أبو العالية في قوله ان الدين عند الله الاسلام قال الاسلام الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر الفرائض لهذا تبع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أسلمنا قال دخلنا في السلم وتركنا الحرب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ان الدين عند الله الاسلام أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل ۞ القول في تاويل قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) يعني بذلك جل ثناؤه وما اختلف الذين أوتوا الانجيل وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوا فيه من الاقوال التي كذبها اختلافهم بينهم وتشتت بها كلمتهم وبان بها بعضهم بعضا حتى استحل بها بعضهم بعضا وما نقض الامن بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني الامن بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره واتفقوا انهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون فاخبر الله عباده انهم أتوا ما أتوا من الباطل وقالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطأ ما قالوا وانهم لم يقولوا ذلك جهلا بخطأ ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعديا من بعضهم على بعض وطلب الرياسات والملك والسلطان كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قال قال أبو العالية الا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم بغيا بينهم

فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم أبوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه

يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها فقتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعدما كانوا علماء الناس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن ابن عمر انه كان يكثر تلاوة هذه الآية ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها من قبلها والله أتينا ما كان علينا من يكون علينا بعد أن يأخذ ديننا كتاب الله وسنة نبيه ولكنا أتينا من قبلها **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بنى اسرائيل فاستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليه كل حبر جزأ منه واستخلف موسى يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول ومضى الثانى ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين حتى أهراقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها فسلط الله عليهم جبابرتهم فقال الله ان الدين عند الله الاسلام الى قوله والله بصير بالعباد يقول الربيع بن أنس هذا يدل على انه كان عنده انه معنى بقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب اليهود من بنى اسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم وكان غيره يوجه ذلك الى أن المعنى به النصارى الذين أوتوا الانجيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذى جاءك أى ان الله الواحد الذى ليس له شريك بغيا بينهم يعنى بذلك النصارى ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) يعنى بذلك ومن يجحد حجج الله وأعلامه التى نصبها ذكرى لمن عقل وأدلة لمن اعتبر وتذكر فان الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا فمجازيه بها فى الآخرة فانه جل ثناؤه سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء وانما معنى ذلك انه حافظ على كل عامل عمله لا حاجة به الى عقد كما يعقده خلقه بأكفهم أو يعونه بقلوبهم ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مؤونة ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب وبنحو الذى قلنا فى معنى سريع الحساب كان مجاهد يقول **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب قال احصاؤه عليهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب احصاؤه ۞ القول فى تاويل قوله (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى) يعنى بذلك جل ثناؤه فان حاجوك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه فخاصموك فيه بالباطل فقل انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى وانما خص جل ذكره بأمره بان يقول أسلمت وجهى لله لان الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه وفيه مهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه بشئ فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه وأما قوله ومن اتبعنى فانه يعنى وأسلم من اتبعنى أيضا وجهه لله معى ومن معطوف بها على التاء فى أسلمت كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فان حاجوك أى بما يأتونك به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وجعلنا وأمرنا فانما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى ۞ القول فى تاويل قوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى بذلك جل ثناؤه وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب أأسلمتم يقول قل لهم هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والالوهة لرب العالمين دون سائر الانداد والاشراك التى تشركونها معه

كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فى ذلك نزل فاما الذين فى قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجىء فى آية المباهلة ان شاء الله تعالى واعلم ان مطلع هذه السورة له نظام عجيب ونسق أنيق وذلك ان أولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوه فى شأن الاله أو فى أمر النبوة أما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حى قيوم كما مر فى تفسير آية الكرسى وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة أعنى قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث وأما الثانى فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وأنزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين أقوال الكاذبين ثم ان المعجز

قائم فى كون القرآن نازلا من عند الله كما قام فى الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه فى دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذى

أنزل على عبده الكتاب فالمراد هنا نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال أبو مسلم معنى قوله بالحق انه صدق بما تضمنه من الاخبار عن الامم أو ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم أي بالحق

الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه أميا لم يخالط أهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال ان يسلم من التحريف والجزاف وفيه انه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم أو لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها أكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على أحكامها الى حين بعثه ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف اتبعهم

في عباداتكم اياهم واقراركم بربوبيتهم وأنتم تعلمون انه لا رب غيره ولا له سواه فان أسلموا يقول فان انقادوا لافراد الوحدانية لله واخلاص العبادة والالوهية له فقد اهتدوا يعني فقد أصابوا سبيل الحق وسلكوا محجة الرشد فان قال قائل وكيف قيل فان أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام وهل يجوز في الكلام أن يقال لرجل هل تقوم فان تقم أكرمك قيل ذلك جائز اذا كان الكلام مرادا به الامر وان خرج مخرج الاستفهام كما قال جل ثناؤه وبصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعني انتهوا وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن الحواريين انهم قالوا لعيسى يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وانما هو مسئلة كما يقول الرجل هل أنت كاف عنا بمعنى اكفف عنا وكما يقول الرجل للرجل أين أين بمعنى أقم فلا تبرح ولذلك جوزي في الاستفهام كما جوزي في الامر في قراءة عبد الله هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم آمنوا فسرها بالامر وهي في قراءتنا على الخبر فالمجازاة في قراءتنا على قوله هل أدلكم وفي قراءة عبد الله على قوله آمنوا على الامر لانه هو التفسير وبنحو معنى ما قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين قال الاميون الذين لا يكتبون

❁ القول في تأويل قوله (وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) يعني جل ثناؤه بقوله وان تولوا وان أدبروا معرضين عما تدعوهم اليه من الاسلام واخلاص التوحيد لله رب العالمين فانما أنت رسول مبلغ وليس عليك غير ابلاغ الرسالة الى من أرسلتك اليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي والله بصير بالعباد يعني بذلك والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به اليه فيطيعك بالاسلام وبمن يتولى منهم عنه معرضا فيرد عليك ما أرسلتك به اليه فيعصيك بإبائه الاسلام ❁ القول في تأويل قوله (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يكفرون بآيات الله أي يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها من أهل الكتابين التوراة والانجيل كما **حدثني** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكروا ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق الى قوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وأما قوله ويقتلون النبيين بغير حق فانه يعني بذلك انهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون اليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله وركوب ما كانوا يركبونه من الامور التي قد تقدم الله اليهم في كتبهم بالزجر عنها نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله

❁ القول في تأويل قوله (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قراء الامصار ويقتلون الذين يأمرون بالقسط بمعنى القتل وقرأه بعض المتأخرين من قراء الكوفة ويقاتلون بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود وادعى ان ذلك في مصحف عبد الله وقالوا فقرأ الذي وصفنا أمرهن القراءة بذلك التأويل ويقاتلون والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه ويقتلون لاجماع الحجة من القراء عليه مع مجيء التأويل من أهل التأويل بان ذلك تأويله ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن معقل بن أبي مسكين في قول الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان الوحي يأتي الى بني اسرائيل فيذكرون ولم يكن يأتيهم كتاب فيقتلون فيقوم رجال ممن

والتوراة والانجيل اسمان أعجميان أحدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من وري الزند يري اذا قدح وظهرت النار قال وأصلها توريه بفتح الياء والراء ولهذا قلبت الياء ألفا

أوتورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طى فانهم يقولون فى باديء بادا ءة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث وأما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل أى هو الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته أى انه تعالى أظهر الحق بسببه أو بعمرو والشيبانى التناجل (١٣٣) التنازع سمى بذلك لان القوم

اتبعوهم وصدقوهم فيذكرون قومهم فيقتلون فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال هؤلاء أهل الكتاب كانوا اتباع الانبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ان الذين يكفرون بآيات ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان ناس من بنى اسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحى يأتى اليهم فيذكرون قومهم فيقتلون على ذلك فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس **حدثنى** أبو عبيد الرصافى محمد بن جعفر قال ثنا ابن حميد قال ثنا أبو الحسن مولى بنى أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح قال قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى ان انتهى الى ومالهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل يأمرون من قتلهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل فتأويل الآية اذا ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون آمريهم بالعدل فى أمر الله ونهيه الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله (فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين) يعنى بقوله جل ثناؤه فبشرهم بعذاب أليم فاخبرهم يامحمد أعمالهم ان لهم عند الله عذابا مؤلما لهم وهو الموجع وأما قوله أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فانه يعنى بقوله أولئك الذين يكفرون بآيات الله ومعنى ذلك ان الذين ذكرناهم هم الذين حبطت أعمالهم يعنى بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فاما قوله فى الدنيا فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس لانهم كانوا على ضلال وباطل ولم يرفع الله لهم بها ذكرا بل لعنهم وهتك أستارهم وابدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على السن أنبيائه ورسله فى كتبه التى أنزلها عليهم فابقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة فذلك حبوطها فى الدنيا وأما فى الآخرة فانه أعد لهم فيها من العقاب ماوصف فى كتابه واعلم عباده ان أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها لانها كانت كفرا بالله فجزاء أهلها الخلود فى الجحيم وأما قوله ومالهم من ناصرين فانه يعنى ومالهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله اذا هو انتقم منهم بما سلف من اجرامهم واجترائهم عليه فيستنقذهم منه ۞ القول فى تأويل قوله (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) يعنى بذلك جل ثناؤه الم تر يا محمد الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يقول الذين اعطوا حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله واختلف أهل التأويل فى الكتاب الذى عنى الله بقوله يدعون الى كتاب الله فقال بعضهم هو التوراة دعاهم الى الرضا بما فيها اذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقر بها وبما فيها انها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يامحمد فقال على ملة ابراهيم ودينه فقالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم

فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفى التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه أنزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم أولئك النصارى أو كل من أعرض عن دلائله فان خصوص

السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب اذ لا حد لقدرته وانتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت اذا كافأته بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثانى صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شئ لما ذكر انه حى قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع أمرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات أشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والثانى لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذى يصوركم ثم فيه لطيفة أخرى وهى انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز أن يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلى فلاجرم قال هو الذى يصوركم فى ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من أعضاء مختلفة فى الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتاليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم نبه تعالى لما كان اباهم

فيما بينا عليه فانزل الله عز وجل الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون الى قوله ما كانوا يفترون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فذكر نحوه الا أنه قال فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة وقال أيضا فانزل الله فيهما الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وسائر الحديث مثل حديث أبى كريب وقال بعضهم بل ذلك كتاب الله الذى أنزله على محمد وانما عنيت طائفة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق فابت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون أولئك أعداء الله اليهود دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم والى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ثم تولوا عنه وهم معرضون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية قال هم اليهود دعوا الى كتاب الله والى نبيه وهم يجدونه مكتوبا عندهم ثم يتولون وهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم قال كان أهل الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق يكون وفى الحدود وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الاسلام فيتولون عن ذلك * وأولى الاقوال فى تاويل ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ممن قد أوتى علما بالتوراة أنهم دعوا الى كتاب الله الذى كانوا يقرون به انه من عند الله وهو التوراة فى بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذى كانوا يتنازعون فيه ثم دعوا الى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الاجابة اليه كان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته ويجوز أن يكون ذلك كان أمر ابراهيم خليل الرحمن ودينه ويجوز أن يكون ذلك ما دعوا اليه من أمر الاسلام والاقرار به ويجوز أن يكون ذلك كان فى حد فان كل ذلك مما قد كانوا تنازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فيه الى حكم التوراة فابى الاجابة فيه وكتمه بعضهم ولا دلالة فى الآية على ان ذلك كان من أبى فيجوز أن يقال هو هذا دون هذا ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك لان المعنى الذى دعوا اليه جملته هو مما كان فرضا عليهم الاجابة اليه فى دينهم فامتنعوا منه فاخبر الله جل ثناؤه عنهم بردتهم وتكذيبهم بما فى كتابهم وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم بالقامته والعمل به فلن يعدوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمدا وما جاء به من الحق مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتلونه ويقرون به ومعنى قوله ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ثم يستدبر عن كتاب الله الذى دعاه الى حكمه معرضا عنه منصرفا وهو بحقيقته وجهته عالم وانما قلنا ان ذلك الكتاب هو التوراة لانهم كانوا بالقرآن مكذبين وبالتوراة بزعمهم مصدقين فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى زعمهم مقرون أبلغ وللعذر أقطع ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) يعنى جل ثناؤه بقوله بانهم قالوا بان هؤلاء الذين دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما تنازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبوا الاجابة الى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهى أربعون يوما وهن الايام التى عبدوا فيها العجل ثم يخرجنا منها بنا اغترارا منهم بما كانوا يفترون يعنى بما كانوا يختلقون من الاكاذيب والاباطيل فى ادعائهم انهم أبناء الله واحباؤه وان الله قد وعد

ابراهيم قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية وأشرفها تعديل المزاج وأشار اليها بقوله هو الذى يصوركم وروحانية وأشرفها العلم فلاجرم أشار الى ذلك بقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب ويحتمل ان ينزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعزلوا

فى ذلك على نوعين من الشبهة أحدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم والثانى يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لايخفى عليه شئ فمن المعلوم بالضرورة من أحوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس بالله ولكن احاطته ببعض المغيبات لاتدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحى أوالالهام وأزال شبهتهم الثانية بقوله هو الذى يصوركم وذلك ان الاله هو الذى يقدر على ان يصور فى الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين أخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص أواحياؤه لايدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض أو احيائه يدل على عدم الالهية قطعا وأما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدية الى مقدمات الزامية وهو انكم أيها المسلمون تواقوننا على انه ما كان له أب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله أيضا هو الذى يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه صفة فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير أب وأيضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ألست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن لله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظى واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلى كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التاويل أو تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب الآية فظاهر انه ليس فى المسئلة حجة ولا شبهة

أباهم يعقوب أن لايدخل أحدا من ولده النار الا تحلة القسم فاكذبهم الله على ذلك كله من أفواههم وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل النار هم فيها خالدون دون المؤمنين بالله ورسله وما جاؤا به من عنده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات قالوا لن تمسنا النار الا تحلة القسم التى نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب عنا قال الله عز وجل وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون أى قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات الآية قال قالوا لن نعذب فى النار الا أربعين يوما قال يعنى ليهود قال وقال قتادة مثله وقال هى الايام التى نصبوا فيها العجل يقول الله عز وجل وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون حين قالوا نحن أبناء الله واحباؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون قال غرهم قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات ۞ القول فى تاويل قوله (فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون) يعنى بقوله جل ثناؤه فكيف اذا جمعناهم فاى حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول وفعلوا ما فعلوا من اعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم وافترائهم الكذب وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد وتهديد غليظ وانما يعنى بقوله فكيف اذا جمعناهم الآية فاى أعظم مما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم اذا جمعهم ليوم لوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه لانه لايعاقب فيه الا على ما اجترم ولا يؤاخذ الا بما عمل يجزى المحسن باحسانه والمسىء باساءته لايخاف أحد من خلقه منه يومئذ ظلما ولا هضما فان قال قائل وكيف قيل فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ولم يقل فى يوم لاريب فيه قيل لمخالفة معنى اللام فى هذا الموضع معنى فى وذلك أنه لو كان مكان اللام فى لكان معنى الكلام فكيف اذا جمعناهم فى يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب وليس ذلك المعنى فى دخول اللام ولكن معناه مع اللام فكيف اذا جمعناهم لما يحدث فى يوم لاريب فيه ولما يكون فى ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب مع اللام فى ليوم لاريب فيه نية فعل وخبر مطلوب قد ترك ذكره أخبر ايدلالة دخول اللام فى اليوم عليه منه وليس ذلك مع فى فاذلك اختيرت اللام فادخلت فى اليوم دون فى وأما تاويل قوله لاريب فيه فانه لاشك فى مجيئه وقد دللنا على انه كذلك بالادلة الكافية مع ذكر من قال ذلك فى تاويله فيما مضى بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ووفيت ووفى الله كل نفس ما كسبت يعنى ما عملت من خير وشر وهم لايظلمون يعنى انه لايبخس المحسن جزاء احسانه ولايعاقب مسيئا بغير جرمه ۞ القول فى تاويل قوله (قل اللهم) أما تاويل قل اللهم فانه قل يا محمد يا الله واختلف أهل العربية فى نصب ميم اللهم وهو منادى وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع وفى دخول الميم فيه وهو فى الاصل الله بغير ميم فقال بعضهم انما زيدت فيه الميمان لانه لاينادى بيا كما ينادى الاسماء التى لا ألف فيها ولا لام وذلك ان الاسماء التى لا ألف ولا لام فيها تنادى بيا كقول القائل يازيد ويا عمرو قال فجعلت الميم فيه خلفا من يا كما قالوا فم ودم وهم وزرقم وما أشبه ذلك من الاسماء والنعوت التى تحذف منها الحرف ثم يبدل مكانه ميم قال فكذلك حذفت من اللهم يا التى ينادى بها الاسماء التى على ما وصفنا وجعلت الميم خلفا منها فى آخر الاسم وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا قد سمعنا العرب تنادى اللهم بيا كما تناديه ولا ميم فيه قالوا فلو كان الذى قال هذا القول مصيبا فى دعواه لم تدخله العرب يا وقد جاؤا بالخلف منها وأنشدوا فى ذلك سماعا من العرب

الاوقد اشتملت هذه الآيات دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع انه لو أطلق كان أبلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض أقوى لعظمتهما فى الحس والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك أكمل وهذه فائدة ضرب الامثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير جعل الشئ على صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التاليف بين أجزائه وأصله من صاره اذا أماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل أبويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمى رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه وتعبده وكيف فى موضع الحال أى على أى حال أراد طويلا أو قصيرا أسود أو أبيض حسنا أو قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما أجاب عن شبههم أعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لااله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفى فى كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب أحكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كون كله كذلك ما حققا فصيح الالفاظ صحيح المعانى وانه بحيث لا يتمكن أحد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثانى والمراد انه يشبه توج بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض والتناقض ان هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فيعنى ههنا بالمحكم ما هو المشتمل بين النص والظاهر وبالمتشابه

وما عليك أن تقول كلما * صليت أو كبرت يا اللهما * اردد علينا شيخنا مسلما

وبرى سجت أو كبرت قالوا ولم نر العرب زادت مثل هذه الميم الا مخففة فى نواقص الاسماء مثل فم ودم وهم قالوا ونحن نرى انها كلمة ضم اليها أم تعنى يا الله امنا بخير فكثرت فى الكلام فاختلطت به قالوا فالهمزة التى فى الهاء من همزة أم لما تركت انتقلت الى ما قبلها قالوا ونرى أن قول العرب هلم الينا مثلها انما كانت هلم هل ضم اليها أم فتركت على نصبها قالوا ومن العرب من يقول اذا طرح الميم يا أللهم اغفر لى و يا الله اغفر لى بهمز الالف من الله مرة ووصلها أخرى فمن حذفها أجراها على أصلها لانها ألف ولام مثل الالف واللام اللتين يدخلان فى الاسماء المعارف زائدتين [٧] ومن وصلها وحذف الهمزة وتوهم انها من الحروف اذ كانت لا تسقط منه وأنشدوا فى همزة الالف منها مباركا هو ومن سماه * على اسمك اللهم يا أللهم قالوا وقد كثرت اللهم فى الكلام حتى خفف ميمها فى بعض اللغات وأنشدوا لخلفة [٦] من أبى رباح * يسمعها اللهم الكبار والرواة تنشد ذلك يسمعها الاهة الكبار وقد أنشده بعضهم يسمعها الله والكبار ۞ القول فى تاويل قوله (مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك مالك الملك يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله قل اللهم مالك الملك أى رب العباد الملك لا يقضى فيهم غيرك وأما قوله تؤتى الملك من تشاء فانه يعنى تعطى الملك من تشاء فتملكه وتسلطه على من تشاء وقوله وتنزع الملك ممن تشاء أى أن تنزعه منه فترك ذكر أن تنزعه منه اكتفاء بدلالة قوله وتنزع الملك ممن تشاء عليه كما يقال خذ ما شئت وكن فيما شئت أى فيما شئت أن تأخذ وكن فيما شئت أن تكون فيه وكما قال جل ثناؤه فى أى صورة ما شاء ركبك يعنى فى أى صورة شاء أن يركبك فيها ركبك وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لمسئلة ربه أن يجعل ملك فارس والروم لامته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته فانزل الله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى انك على كل شئ قدير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته ثم ذكر مثله وروى عن مجاهد أنه كان يقول معنى ملكا فى هذا الموضع النبوة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قال النبوة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تاويل قوله (وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) يعنى جل ثناؤه وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان وبسط القدرة له وتذل من تشاء بسلبك ملكه وتسلط عدوه عليه بيدك الخير أى كل ذلك بيدك واليك لا يقدر على ذلك أحد لانك على كل شئ قدير دون سائر خلقك ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والاميين من العرب الها وربا يعبدونه من دونه كالمسيح والانداد التى اتخذها الاميون ربا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله تؤتى الملك من تشاء الآية أى ان ذلك بيدك لا الى غيرك انك على كل شئ قدير لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ۞ القول فى تاويل قوله (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل) يعنى بقوله جل ثناؤه

[٧] هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل صوابها ومن نظمها وأثبت الهمزة توهم الخ ليغاير ما قبله تامل اه مصححه

القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا اساتر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي حكم اليتيم كالحكم ولدك أي امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي وأما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن (١٣٧) التمييز بينهما ثم يقال لكل ما يهتدي

توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل توج تدخل يقال منه قد وج فلان منزله اذا دخله فهو يلجه ولجا وولوجا ولجته وأولجته انا اذا أدخلته ويعني بقوله توج الليل في النهار تدخل ما نقصت من ساعة الليل في ساعة النهار فيزيد من نقصان هذا في زيادة هذا وتوج النهار في الليل وتدخل ما نقصت من ساعة النهار في ساعة الليل كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات وتدخل النهار في الليل حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نقص من النهار يجعله في الليل وما نقص من الليل يجعله في النهار **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر متعاقبان أو يتعاقبان شك أبو عاصم ذلك من الساعات **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل ما ينقص من أحدهما في الآخر يتعاقبان ذلك من الساعات **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال هو نقصان أحدهما في الآخر **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال يأخذ الليل من النهار ويأخذ النهار من الليل يقول نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل يعني انه يأخذ أحدهما من الآخر فيكون الليل أحيانا أطول من النهار والنهار أحيانا أطول من الليل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله توج الليل في النهار وتوج النهار في الليل قال هذا طويل وهذا قصير أخذ من هذا فأدلجه في هذا حتى صار هذا طويلا وهذا قصيرا ۞ القول في تأويل قوله (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك انه يخرج الشئ الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الشئ الحي ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حي وهي ميتة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة ويخرجها من الناس الاحياء والانعام **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فذكر نحوه **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فالنطفة ميتة تكون تخرج من انسان حي ويخرج انسان حي من نطفة ميتة **حدثني** محمد بن عمرو وابن علي عن عطاء المقدمي قال ثنا أشعث السجستاني قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبي خالد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج النطفة من الرجل والرجل من النطفة **حدثنا**

الانسان اليه متشابها اطلاقا لاسم السبب على المسبب وتنفيره المشكل لانه أشكل أي دخل في شكل غيره ثم ان كل أحد من أصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا أن يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي أو عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا ألبتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل ذلك مظنون والوقوف على المظنون أولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على ان معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف انه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما أشعر به الظاهر فعند هذا لا يحتاج الى ان عرف ان ذلك المرجوح الذي هو المراد ما ذا لان السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل

وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بيناولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التاويل غير جائز والله أعلم * المسئلة الثانية في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس ان المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا (١٣٨) فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي

اشتبهت على اليهود كاوائل السور أولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لا تحتمل كانشاء الخلق في قوله فخلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتامل كآيات البعث فان التامل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من ان المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والماول وان عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق أيضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تاثير الكواكب ولعل الاصم يسمي ما هو الابعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم أموالنا بوقت القيامة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذلك متشابه * المسئلة الثالثة في انه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم ان يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج الحي من هذه النطفة الميتة وتخرج هذه النطفة الميتة من الحي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي الآية قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة من الناس الاحياء ومن الانعام والنبت كذلك قال ابن جريج وسمعت يزيد بن عويمر يخبر عن سعيد بن جبير قال اخراجه النطفة من الانسان واخراجه الانسان من النطفة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النطفة ميتة فتخرج منها الاحياء وتخرج الميت من الحي تخرج النطفة من هؤلاء الاحياء والحب ميت تخرج منه حيا وتخرج الميت من الحي تخرج من هذا الحب الحي حبا ميتا * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج النخلة من النواة والنواة من النخلة والسنبل من الحب والحب من السنبل والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا عبد الله عن عكرمة قوله تخرج الحي من الميت قال هي البيضة تخرج من الحي وهي ميتة ثم يخرج منها الحي **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث عن سعيد ابن عمرو عن الحسن قرأ تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن **حدثني** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو عن ابن مسعود وأكبر ظني انه عن سلمان قال ان الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة أو قال أربعين يوما ثم قال بيده فيه فخرج كل طيب في يمينه وخرج كل خبيث في يده الاخرى ثم خلط بينهما ثم خلق منها آدم فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه فاذا بامرأة حسنة النغمة فقال من هذه قالت احدى خالاتك قال ان خالاتي بهذه البلد لغرائب وأي خالاتي هذه قالت خلدة ابنة الاسود بن عبد يغوث قال سبحان الذي يخرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هل علمتم ان الكافر يلد مؤمنا وان المؤمن يلد كافرا فقال هو كذلك * وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تاويل من قال يخرج الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء من النطف الميتة وذلك اخراج الحي من الميت ويخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والانعام والبهائم الاحياء وذلك اخراج الميت من الحي وذلك ان كل حي فارقه شئ من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه ثم ينشئ الله منها انسانا حيا وبهائم وأنعاما احياء وكذلك حكم كل شئ حي زايله شئ منه فالذي زايله منه ميت وذلك هو نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم

مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونافيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شئ فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع انه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نقيا كان أقرب الى حصول الغرض والجواب انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وأيضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب ان يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وأيضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمانينة وافتقر أيضا الى تحصيل علوم أخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام الى غير ذلك ولما في المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب أقوى وهو ان القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الاغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطب في أول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل

أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم اليه ترجعون وأما تاويل من تاوله بمعنى الحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة والبيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فان ذلك وان كان له وجه مفهوم فليس ذلك الاغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل الى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها الى الخفي القليل في الاستعمال واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بالتشديد وتثقيل الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قدمات ومما لم يمت وقرأت جماعة أخرى منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بتخفيف الياء من الميت بمعنى انه يخرج الشئ الحي من الشئ الذي قدمات دون الشئ الذي لم يمت وتخرج الشئ الميت دون الشئ الذي لم يمت من الشئ الحي وذلك ان الميت مثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قدمات وأما الميت مخففا فهو الذي قدمات واذا أرادوا البعث قالوا انك ماتت غدا وانهم ماتتون وكذلك كل ما لم يكن بعد فانه يخرج على هذا المثال الاسم منه يقال هو الجائد بنفسه والطائبة نفسه بذلك واذا أريد معنى الاسم قيل هو الجواد بنفسه والطيبة نفسه فاذ كان ذلك كذلك فاولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدد الياء من الميت لان الله جل ثناؤه يخرج الحي من النطفة التي قد فارقت الرجل فصارت ميتة ويخرج منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ويخرج الميت من الحي النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحي ميتا وهي قبل خروجها منه حية فالتشديد أبلغ في المدح وأكمل في الثناء ۞ القول في تاويل قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه انه يعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه لانه لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه ولا الفناء على ما بيده كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وترزق من تشاء بغير حساب قال يخرج الرزق من عنده بغير حساب لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى فتاويل الآية اذا اللهم يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير دون من ادعى الملحدون انه لهم اله ورب وعبدوه دونك واتخذوه شريكا معك أو انه لك ولد وبيدك القدرة التي تفعل هذه الاشياء وتقدر بها على كل شئ توالج الليل في النهار وتوالج النهار في الليل فتنقص من هذا وتزيد في هذا وتنقص من هذا فتزيد في هذا وتخرج من ميت حيا ومن حي ميتا وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك لا يقدر على ذلك أحد سواك ولا يستطيعه غيرك كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير توالج الليل في النهار وتوالج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي أي بتلك القدرة يعني بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أي وان كنت سلطت عيسى على الاشياء التي بها يزعمون انه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام واخلق للطير من الطين واخبر عن الغيوب لتجعله آية للناس وتصديقا له في نبوته التي بعثته بها الى قومه فان من سلطاني وقدرتي ما أعطه كتمليك الملوك وامر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل واخراج الحي من الميت والميت من الحي ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ولم أملكه اياه فلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة ان لو كان الها لكان ذلك كله اليه وهو في علمهم هارب من الملوك وينتقل منهم في البلاد من بلد الى بلد ۞ القول في تاويل قوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاة) وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا

المحكمات قوله هن أم الكتاب الام فى اللغة الاصل الذى يتكون منه الشئ فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلا جرم صارت المحكمات أصولا للمتشابهات وانما لم يقل أمهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات فى تقدير شئ واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات

وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية على معنى ان مجموعهما آية واحدة وأخر أى ومنه آيات أخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ أى ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروحا منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا حسبنا وقال الكلبى هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة فى أوائل السورة وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال فى آخره وما يعلم تأويله الا الله وماذا لك الا وقت القيامة فانه تعالى أخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق انه عام لكل مبطل متشبث باهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولو ما تأتينا بالملائكة فهو الامر على الضعفة قال أهل السنة ويدخل فى هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله فى مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلى ان صدور الفعل يتوقف على حصول الداعى وانه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك

ولذلك كسر يتخذ لانه فى موضع جزم بالنهى ولكنه كسر الذال منه للساكن الذى لقيه وهى ساكنة ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا تتولونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ يعنى بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله فى الكفر الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تتابعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قال نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهروا لهم اللطف ويخالفوهم فى الدين وذلك قوله الا أن تتقوا منهم تقاة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وابن أبى الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا زلتهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فابى أولئك النفر الا مباطنتهم ولزومهم فانزل الله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى قوله والله على كل شئ قدير **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يقول لا يتخذ المؤمن كافرا وليا من دون المؤمنين **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا يتخذ المؤمنون الكافرين الى الا أن تتقوا منهم تقاة أما أولياء فيوالهم فى دينهم ويظهر هم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ الله منه الا أن تتقوا منهم تقاة فهو يظهر الولاية لهم فى دينهم والبراءة من المؤمنين **حدثنى** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن حدثه عن ابن عباس الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال مالم يهرق دم مسلم ومالم يستحل ماله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الا مصانعة فى الدنيا ومحالفة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى الا أن تتقوا منهم تقاة قال قال أبو العالية التقية باللسان وليس بالعمل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم عليه انما التقية باللسان **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالايمان فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان * وقال آخرون معنى الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن يكون بينك وبينه قرابة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء من دون المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الا أن تتقوا منهم تقاة الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم فى دينهم الا أن يصل رحما له فى المشركين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء قال لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا فى دينه وقوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال صاحبهم فى الدنيا معروفا والرحم وغيره فاما فى الدين فلا وهذا الذى قاله قتادة تاويل له وجه وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية الا أن تتقوا من الكافرين تقاة فالاغلب من معانى هذا الكلام الا أن تخافوا منهم مخافة فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية انما هى تقية من الكفار لا من غيرهم ووجهه قتادة الى أن تاويله الا أن تتقوا من الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة فتصلون رحما وليس ذلك الغالب على معانى الكلام والتأويل فى القرآن على الاغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار الا أن تتقوا منهم تقاة قال تقدير فعله مثل تخمة وتؤدة وتكاة من اتقيت وقرأ ذلك آخرون الا أن تتقوا منهم تقية على مثال فعيلة والقراءة التى هى القراءة عندنا قراءة من قرأها الا أن تتقوا منهم تقاة لثبوت حجة ذلك بانه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يعنى تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا من معاصيه أو تتوالوا أعداءه فان لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب يعنى بذلك متى صرتم اليه وقد نهاكم عما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين مالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به يقول فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فانه شديد العقاب ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ان تخفوا ما فى صدوركم من موالاة الكفار فتسروه أو تبدوا ذلك من نفوسكم بالسنتكم وأفعالكم فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه يقول فلا تضمروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به لانه يعلم سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ منه وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالاحسان احسانا وبالسيئة مثلها كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال أخبرهم انه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا قال ان أخفوا ما فى صدورهم أو أبدوه وأما قوله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فانما يعنى انه اذ كان لا يخفى عليه شئ هو فى سماء أو أرض أو حيث كان فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما فى صدوركم من الميل اليهم بالمودة والمحبة أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلا وقولا وأما قوله والله على كل شئ قدير فانه يعنى والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم اياهم ومظاهرتكم وهم على المؤمنين وعلى ما يشاء من الامور كلها لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه شئ طلبه ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا موفرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يعنى غاية بعيدة فان مصيركم أيها القوم يومئذ اليه فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم وكان قتادة يقول فى معنى قوله محضرا ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد

أولياء من دون المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الا أن تتقوا منهم تقاة الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم فى دينهم الا أن يصل رحما له فى المشركين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء قال لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا فى دينه وقوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال صاحبهم فى الدنيا معروفا والرحم وغيره فاما فى الدين فلا وهذا الذى قاله قتادة تاويل له وجه وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية الا أن تتقوا من الكافرين تقاة فالاغلب من معانى هذا الكلام الا أن تخافوا منهم مخافة فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية انما هى تقية من الكفار لا من غيرهم ووجهه قتادة الى أن تاويله الا أن تتقوا من الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة فتصلون رحما وليس ذلك الغالب على معانى الكلام والتأويل فى القرآن على الاغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار الا أن تتقوا منهم تقاة قال تقدير فعله مثل تخمة وتؤدة وتكاة من اتقيت وقرأ ذلك آخرون الا أن تتقوا منهم تقية على مثال فعيلة والقراءة التى هى القراءة عندنا قراءة من قرأها الا أن تتقوا منهم تقاة لثبوت حجة ذلك بانه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يعنى تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا من معاصيه أو تتوالوا أعداءه فان لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب يعنى بذلك متى صرتم اليه وقد نهاكم عما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين مالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به يقول فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فانه شديد العقاب ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شئ قدير) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ان تخفوا ما فى صدوركم من موالاة الكفار فتسروه أو تبدوا ذلك من نفوسكم بالسنتكم وأفعالكم فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه يقول فلا تضمروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به لانه يعلم سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ منه وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالاحسان احسانا وبالسيئة مثلها كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال أخبرهم انه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا قال ان أخفوا ما فى صدورهم أو أبدوه وأما قوله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فانما يعنى انه اذ كان لا يخفى عليه شئ هو فى سماء أو أرض أو حيث كان فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما فى صدوركم من الميل اليهم بالمودة والمحبة أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلا وقولا وأما قوله والله على كل شئ قدير فانه يعنى والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم اياهم ومظاهرتكم وهم على المؤمنين وعلى ما يشاء من الامور كلها لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه شئ طلبه ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يعنى بذلك جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا موفرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يعنى غاية بعيدة فان مصيركم أيها القوم يومئذ اليه فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم وكان قتادة يقول فى معنى قوله محضرا ما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد

الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت ان الكل بقضاء الله وقدره واذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل ان يسمى الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من ان كل آية توافق مذهبهم فهى المحكمة وكل آية تخالفها فهى المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة أقسام أحدها ما يتاكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقا وثانيها التى قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذلك هو الذى يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذى لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفى ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة أخرى وهى ان الدليل العقلى مختلف فيه أيضا بحسب مراتبه كل فريق وتخيله صادقا فى ظنه مادة وصورة فكل فرقة يدعى بمقتضى فكره ان الدليل العقلى قد قام على ما يوافق مذهبه ويتاكد به الظاهر الذى تعلق به فلا خلاص من البين الا بتاييد سماوى ونور الهى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين أحدهما ابتغاء الفتنة وهى فى اللغة الاستحقار بالشئ والغلو فيه فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل فى قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه تخيله البتة وقيل الفتنة فى الدين هو الضلال عنه أى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى أوقعوا تلك المتشابهات فى البين صار بعضهم مخالفا للبعض فى الدين وذلك يفضى الى التقاتل والهرج والمرج فذلك هو الفتنة الغرض الثانى ابتغاء تاويله أى طلب المعنى الذى يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير أن يكون قد وجد له فى كتاب الله بيانا قال القاضى أبو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين أحدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة

والثانى ان يحكموا بحكمه فى الموضع الذى لادليل فيه وهو قوله وابتغاء تاويله ثم قال عز من قائل وما يعلم تاويله الا الله والعلماء اختلفوا فى هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى ومنهم (١٤٢) من لم يجعل الواو فى والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ فى العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس أيضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان أما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر وأما الراسخون فى العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفى المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به فى المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع أن يكون فى المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها الان فى مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين أحدها الا بدليل لغوى ظنى والقول بالظن فى ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها صلى ما قيل ان هذه الآية ذم لطالب تاويل المتشابه حيث قال فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين فى العلم بانهم يقولون آمنا به وقال

قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يقول موفرا وقد زعم أهل العربية أن معنى واذكر يوم تجد ويوم تجد وقال ان ذلك انما جاء كذلك لان القرآن انما نزل للامر والذكر كأنه قيل لهم اذكروا كذا وكذا الآن فى القرآن فى غير موضع واتقوا يوم كذا وحين كذا وأما ما التى مع عملت فبمعنى الذى ولا يجوز أن تكون جزاء لوقوع تجد عليه وأما قوله وما عملت من سوء فانه معطوف على قوله ما الاولى وعملت صلة بمعنى الرفع ٧ كما قيل تودفتأويل الكلام يوم تجد كل نفس الذى عملت من خير محضرا والذى عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا والامد الغاية التى ينتهى اليها ومنه قول الطرماح

كل حى مستكمل عدة العمـ * ـر وموداذا انقضى أجله

يعنى غاية أجله وقد حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا امكانا بعيدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أمدا بعيدا قال أجلا حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قال يسر أحدكم أن لا يلقى عمله ذلك أبدا يكون ذلك مناه وأمانى الدنيا فقد كانت خطيئته استلذها ۞ القول فى تاويل قوله (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) يقول جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم فتوافوه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهو عليكم ساخط قبائحكم من أليم عقابه مالا قبل لكم به ثم أخبر عز وجل انه رؤف بعباده رحيم بهم ومن رأفته بهم تحذيره اياهم نفسه وتخويفهم عقوبته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معاصيه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن الحسن فى قوله ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قال من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ۞ القول فى تاويل قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) اختلف أهل التاويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا فامر الله جل وعز نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ان كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعونى فان ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن بكر بن الاسود قال سمعت الحسن يقول قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنى المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا عبد الوهاب عن أبى عبيدة قال سمعت الحسن يقول قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله جل وعز بذلك قرآنا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال كان قوم يزعمون انهم يحبون الله يقولون انا نحب ربنا فامرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد علما لحبه حدثنى محمد بن سفيان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان كنتم تحبون الله الآية قال ان أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون انهم يحبون الله فاراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فقال ان كنتم تحبون الله الآية كان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم * وقال آخرون بل هذا أمر من الله نبيه محمد

---

٧ قوله بمعنى الرفع كما قيل الخ يتامل فى هذه العبارة فانه لا يظهر لها معنى والمنصوص ان ما الثانية مبتدا وتود خبر تامل اه مصححه

تعالى فى أول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتاويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم فى الايمان به مدح ولا فى قولهم كل من عند ربنا الا ان كل من عرف شيأ على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون فى العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التى لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز أن يكون ظاهرها مرادا لله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى شئ غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى أى شئ كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون فى العلم بالله بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم فى الطعن فى كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا أى كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفى زيادة عند مزيد توضيح وتاكيد وتفخيم لشان القرآن ويحتمل ان يعود الضمير فى آمنا به الى الكتاب أى يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف

صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى ان كان الذى يقولونه فى عيسى من عظيم القول انما يقولونه تعظيما لله وحبا له فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل ان كنتم تحبون الله أى ان كان هذا من قولكم يعنى فى عيسى حبا لله وتعظيما له فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم أى ما مضى من كفرهم والله غفور رحيم قال أبو جعفر * وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير لانه لم يجر لغير وفد نجران فى هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا انهم يحبون الله ولا انهم يعظمونه فيكون قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى جوابا لقولهم على ما قاله الحسن وأما ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه فلا خبر به عندنا يصح فيجوز أن يقال ان ذلك كذلك وان لم يكن فى السورة دلالة على انه كما قال الا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر انهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى فيكون ذلك من قوله نظيرا خبارنا فاذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ولا فى الآية دليل على ما وصفنا فاولى الامور بنا أن نلحق تاويله بالذى عليه الدلالة من آى السورة وذلك هو وما وصفنا لان ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم واحتجاج من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم محمد ودليل على بطول قولهم فى المسيح فالواجب أن تكون هى أيضا مصروفة المعنى الى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها فاذ كان الامر على ما وصفنا فتاويل الآية قل يا محمد للوفد من نصارى نجران ان كنتم كما تزعمون انكم تحبون الله وانكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون حبا منكم ربكم فحققوا قولكم الذى تقولونه ان كنتم صادقين باتباعكم اياى فانكم تعلمون أنى لله رسول اليكم كما كان عيسى رسولا الى من أرسل اليه فانه ان اتبعتمونى وصدقتمونى على ما أتيتكم به من عند الله يغفر لكم ذنوبكم فيصفح لكم عن العقوبة عليها ويعفو لكم عما مضى منها فانه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم وبغيرهم من خلقه ۞ القول فى تاويل قوله (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمدا فانكم قد علمتم يقينا انه رسولى الى خلقى ابتعثته بالحق تجدونه مكتوبا عندكم فى الانجيل فان تولوا فاستدبروا عما دعوتهم اليه من ذلك وأعرضوا عنه فاعلمهم ان الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق وأنكره بعد علمه وانهم منهم بجحودهم نبوتك وانكارهم الحق الذى أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوتك كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل أطيعوا الله والرسول فانتم تعرفونه يعنى الوفد من نصارى نجران وتجدونه فى كتابكم فان تولوا على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الله اجتبى آدم ونوحا واختارهما لدينهما وآل ابراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه لانهم كانوا أهل الاسلام فاخبر الله عز وجل انه اختار دين من ذكرنا على سائر الاديان التى خالفته وانما عنى بآل ابراهيم وآل عمران المؤمنين وقد دللنا على ان آل الرجل اتباعه وقومه ومن هو على دينه وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس انه كان يقوله **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهم المؤمنون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد

كتابه و يحتمل أن يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذى تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا أولو الالباب ما يتعظ الا ذو والعقول الكاملة الذين يستعملون أذهانهم فى فهم القرآن فيعلمون ما الذى يطابق ظاهر دلائل العقل فيكون محكما وما الذى هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون ان الكل كلام من

لايجوز فى كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لابد أن يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل حتى علموا من التاويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى بعد وقت هدايتنا والثانى قولهم (١٤٤) وهب لنا من لدنك رحمة سالوا ربهم أولا أن لايجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة ونكر رحمة ليشمل جميع أنواعها فاولها ان يحصل فى القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها ان يحصل فى الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل له فى الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة فى القبر وسادسها فى القيامة سهولة العقاب والحساب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها فى الجنة ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وثامنها فى الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفى قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لايحصل الامن عنده ويؤكده قوله انك أنت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال أهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه اذا وجدت بنفسها لزم سدباب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد فى القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

النضر

الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال ذكر لنا أن الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد من آل ابراهيم **حدثنى** محمد ابن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم الى قوله والله سميع عليم قال فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الانبياء الاتقياء المصطفين لربهم ۞ القول فى تاويل قوله (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يعنى بذلك ان الله اصطفى آل ابراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض فالذرية منصوبة على القطع من آل ابراهيم وآل عمران لان الذرية نكرة وآل عمران معرفة ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صوابا لان المعنى اصطفى ذرية بعضها من بعض وانما جعل بعضهم من بعض فى الموالاة فى الدين والموازرة على الاسلام والحق كما قال جل ثناؤه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال فى موضع آخر المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى ان دينهم واحد وطريقتهم واحدة فكذلك قوله ذرية بعضها من بعض يعنى انما معناه ذرية دين بعضها دين بعض وكلمتهم واحدة وملتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذرية بعضها من بعض يقول فى النية والعمل والاخلاص والتوحيد له وقوله والله سميع عليم يعنى بذلك والله ذو سمع لقول امرأة عمران وذو علم بما تضمره فى نفسها اذ نذرت له ما فى بطنها محررا ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى فاذ من صلة سميع وأما امرأة عمران فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قتيل كذلك **حدثنا** به محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبة وقال غير ابن حميد ابنة فاقود بالدال ابن قتيل فامازوجها عمران فانه عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن احريق بن يوبم بن عزاريا بن أمصيا بن يواش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن اشابربان بن رحيم بن سليمان بن داود بن ايشا كذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبه وأما قوله رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فان معناه انى جعلت لك يارب نذرا أن لك الذى فى بطنى محرر العبادتك يعنى بذلك حبسته على خدمتك وخدمة قدسك فى الكنيسة عتيقة من خدمة كل شئ من سوالك مفرغة لك خاصة ونصب محررا على الحال من ما التى بمعنى الذى فتقبل منى ما نذرت لك يارب انك أنت السميع العليم يعنى انك أنت يارب السميع لما أقول وادعو العليم لما أنوى فى نفسى وأريد لايخفى عليك سر أمرى وعلانيته وكان سبب نذر حنة ابنة فاقود امرأة عمران الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا **ما حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال تزوج زكريا وعمران أختين فكانت أم يحيى عند زكريا وكانت أم مريم عند عمران فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم فهى جنين فى بطنها قال وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان فبينا هى فى ظل شجرة نظرت الى طائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا فحملت بمريم وهلك عمران فلما عرفت ان فى بطنها جنينا جعلته لله نذيرة والنذيرة أن تعبده لله فتجعله حبسا فى الكنيسة لاينتفع به بشئ من أمور الدنيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم ذكر امرأة عمران وقولها رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى نذرته يقول جعلته عتيقة العبادة الله لاينتفع به بشئ من أمور الدنيا فتقبل منى انك أنت السميع العليم **حدثنى** عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا

النضر بن عدي عن مجاهد في قوله محررا قال خادما للبيعة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عدي عن مجاهد قال خادما للكنيسة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال فرغته للعبادة **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلته في الكنيسة وفرغته للعبادة **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل عن الشعبي نحوه **حدثني** محمد بن عمرو قال حدثنا **أبو عاصم** عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للكنيسة يخدمها **حدثني** المثنى قال ثنا **أبو حذيفة** قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال خالصا لا يخالطه شيء من أمر الدنيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للبيعة والكنيسة **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال محررا للعبادة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآية وكانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها وكانوا انما يحررون الذكور وكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال نذرت ولدها للكنيسة **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم قال وذلك ان امرأة عمران جملت فظنت أن ما في بطنها غلام فوهبته لله محررا لا يعمل في الدنيا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها قال وكانوا انما يحررون الذكور فكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها **حدثت** عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة انه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة ان امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة وكانت لا تلد فجعلت تغبط النساء لاولادهن فقالت اللهم ان علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدامه قال وقوله نذرت لك ما في بطني محررا انها للحرة ابنة الحر ائر محررا للكنيسة يخدمها **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله اذ قالت امرأة عمران الآية كلها قال نذرت ما في بطنها ثم سيبها ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم) يعني جل ثناؤه بقوله فلما وضعتها فلما وضعت حنة النذيرة ولذلك أنث ولو كانت الهاء عائدة على ما التي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا لكان الكلام فلما وضعته قالت رب اني وضعته أنثى ومعنى قوله وضعتها ولدتها يقال منه وضعت المرأة تضعه وضعا قالت رب اني وضعتها أنثى أي ولدت النذيرة أنثى والله أعلم بما وضعت واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وضعت خبرا من الله عز وجل عن نفسه انه العالم بما وضعت من غير قيلها رب اني وضعتها أنثى وقرأ ذلك بعض المتقدمين والله أعلم بما وضعت على وجه الخبر بذلك عن أم مريم انها هي القائلة والله أعلم بما ولدت مني وأولى

على أن الازاغة لا يجوز أن تصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد أن يمنع قلوبهم الالطاف التي معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله أن يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته واصار محتاجا وقال الاصم لا تبلنا ببلوى يزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك أي لا تفعل ما أصير عنده مؤذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى أن له أثرا في جعل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر فلانا أي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد

 عندكم فالتسمية أيضا بسببه وقال الجبائي أيضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا أن يحمل على شيء آخر وهو انه تعالى اذا علم أنه مؤمن في الحال وعلم أنه لو بقي الى السنة الثانية لكفر أماته في هذه السنة ويرد عليه أنه لو كان علمه بانه يكفر في السنة الثانية فوجب عليه أن يميته لكان علمه بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره

فوجب أن لا يخلقه وعن الاصم أيضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين فى قلوبهم زيغ وقال أبو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شروره أنفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا أن يصونهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه أى فى وقوعه فاللام للوقت أو جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كأنه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا أن يحمل على الالتفات ومعناه ان الآلهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا (١٤٦) سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف المظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت

والموضع قاله فى الصحاح واعلم أنه لا يلزم من أنه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد فى وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما أنه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدى ولا يجوز أن يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم

اذا وعد السراء أنجز وعده
وان وعد الضراء فالعفو مانعه

وناظر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن العبيد فقال ما تقول فى أصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو انك أعجم لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الايعاد كرما وأنشد

وانى وان أوعدته أو وعدته * مكذب ايعادى ومنجز موعدى وذلك أن الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن أسقط طعنة

حق نفسه فقد أتى بالجود والكرم ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على أنا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب فى كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال ما للكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا فى قصتهم ان أبا حارثة بن علقمة قال لاخيه انى أعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولكنى ان أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم منى ما أعطونى من المال فالله تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله فى الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ

القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها وذلك قراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت ولا يعترض بالشاذ عنها عليها فتأويل الكلام اذا والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ثم رجع جل ذكره الى الخبر عن قولها وانها قالت اعتذارا الى ربها مما كانت نذرت فى حملها فحررته لخدمة بيته وليس الذكر كالانثى لان الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها وان الانثى لا تصلح فى بعض الاحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس وانى سميتها مريم كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى لما جعلتها له محررة نذيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق وليس الذكر كالانثى لان الذكر هو أقوى على ذلك من الانثى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس الذكر كالانثى كانت المرأة لا تستطيع ان تصنع بها ذلك يعنى ان تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرجها مما يصيبها من الحيض والاذى فعند ذلك قالت وليس الذكر كالانثى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قالت رب انى وضعتها أنثى وانما كانوا يحررون الغلمان قال وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها وكانت على رجاء ان يهب لها غلاما لان المرأة لا تستطيع ذلك يعنى القيام على الكنيسة لا تبرجها وتكنسها لما يصيبها من الاذى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ان امرأة عمران ظنت ان ما فى بطنها غلام فوهبته لله فلما وضعت اذا هى جارية فقالت تعتذر الى الله رب انى وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى تقول انما يحرر الغلمان يقول الله والله أعلم بما وضعت فقالت انى سميتها مريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة انه أخبره عن عكرمة وأبى بكر عن عكرمة فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى يعنى فى المحيض ولا ينبغى لامرأة أن تكون مع الرجال أمها تقول ذلك ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) يعنى بقولها وانى أعيذها بك وذريتها وانى أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك وأصل المعاذ الموئل والملجأ والمعقل فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم فلم يجعل له عليها سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس مولود يولد الا والشيطان ينال منه تلك الطعنة وبها يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران فانها لما وضعتها قالت رب انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود من ولد آدم له

واعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة أما الاول فاليه أشار بقوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم لانهما أقرب الامور التى يفزع اليه المرء عند الخطوب واذا لم يفد أقرب الطرق الى دفع المضار فى ذلك اليوم فاعداده بالتعذر أولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وأما الثانى فاليه أشار بقوله وأولئك هم وقود النار فانه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس ومن فى قوله من الله للبدل مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيأ أى بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغنى عنهم بدل رحمة الله أو طاعته شيأ وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفعه جده وحظه فى الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وأنشد أبو على شعر فليت لنا من ماء (١٤٧) زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان

وطهيان من بلاد الازد قلت يجوز أن يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شئ أو من زائدة لتاكيد النفى التقدير لن تغنى عنهم عذاب الله شيأ من الغناء أى لن تدفع وقال أبو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغنى عند الله شيأ قوله تعالى كدأب آل فرعون يقال دأب فلان فى عمله أى جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دئيب وأدأبته أنا والدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك وأصله من دأبت اطلاقا لاسم الخاص على العام أى جد هؤلاء الكفار واجتهادهم أو شانهم أو صنيعهم فى تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا أهلكنا أولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم على أنه جواب سؤال مقدر

طعنة من الشيطان وهو ما يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها فان أمها قالت حين وضعتها انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونهما حجاب فطعن فى الحجاب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو عن شعيب بن خالد عن الزبيرى عن سعيد بن المسيب قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من بنى آدم مولود يولد الا قد مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه غير مريم وابنها فقال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن أبى ذؤيب عن عجلان مولى المشمعل عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من بنى آدم يمسه الشيطان باصبعه الا مريم وابنها **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث ان أبا يونس سليمان مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل بنى آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمر ان أبا يونس حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنى** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من مسة الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا قيس عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى ابن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبى قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ولد مولود الا وقد استهل غير المسيح بن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهره **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان الافطس انه سمع وهب بن منبه يقول لما ولد عيسى أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا فى حادث حدث فقال مكانكم فطار حتى جاء خافقى الارض فلم يجد شيأ ثم جاء البحار فلم يجد شيأ ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مدود حمار واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا أنا بحضرتها الا هذه فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل الخفة والجهلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كل بنى آدم طعن الشيطان فى جنبه الا عيسى ابن مريم وأمه جعل بينهما وبينه حجاب فاصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما شئ

كأنه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فاخذهم الله بذنوبهم أى صاروا عند نزول العذاب كالماخوذ الماسور الذى لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كدأب الله فى آل فرعون أى يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه فى آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل أن تكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كأنه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم فى ايذاء محمد كعادة من قبلهم فى ايذاء الرسل وعادتنا أيضا فى اهلاك هؤلاء كعادتنا فى اهلاك أولئك الكفرة وقيل الدؤب والدأب اللبث والدوام والتقدير دؤبهم فى النار كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم فى النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقيل المشبه هو أن أموالهم وأولادهم لا تنفعهم

فى ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب الذى عنده لم ينفعهم مال ولا ولد كذلك حالكم أيها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغنى عنكم الاموال والاولاد ويحتمل أن يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستئصال وهو قوله فاخذهم الله بذنوبهم ثم صار والى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد أمران أحدهما المحن المعجلة من القتل والسبى والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثانى المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * التاويل الم الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد فى ذاته وصفاته فى وضع الحساب ومتفرد بالاولية (١٤٨) والانقطاع عن غيره فى وضع الحروف ويشير باستقامته وعدم تغيره فى جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحدانى أزلا وأبدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم فى اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذى لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف وأما اللام فاشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه فى المرتبة الثانية من الالف اشارة الى أنه مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذى لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك أن الميم أول حرف من اسمه المبدئ وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى أنه كما أبدأ المبدأ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر قرع

وذكر لنا انهما كانا لا يصيبان الذنوب كما تصيبها سائر بنى آدم وذكر لنا ان عيسى كان يمشى على البحر كما يمشى على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والاخلاص **حدثنى** المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كل آدمى طعن الشيطان فى جنبه غير عيسى وأمه كان لا يصيبها بنو آدم قال قال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثنى على ربه وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل **حدثنا** الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين تلده أمه الا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب **حدثنا** الربيع قال ثنا شعيب قال أخبرنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز انه قال قال أبو هريرة أرأيت هذه الصرخة التى يصرخها الصبى حين تلده أمه فانما منها **حدثنى** أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا الزبيدى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد يستهل صارخا من أجل القول فى تاويل قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) يعنى بذلك ان الله جل ثناؤه وتقبل مريم من أمها حنة بحر بها اياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها بقبول حسن والقبول مصدر من قبلها ربها فاخرج المصدر على غير لفظ الفعل ولو كان على لفظه لكان فتقبلها ربها تقبلا حسنا وقد تفعل العرب ذلك كثيرا ان يأتوا بالمصادر على اصول الافعال وان اختلفت ألفاظها فى الافعال بالزيادة وذلك كقولهم تكلم فلان كلاما ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل تكلم فلان تكلما ومنه قوله وأنبتها نباتا حسنا ولم يقل انباتا حسنا وذكر عن أبى عمرو بن العلاء انه قال لم تسمع العرب بضم القاف فى قبول وكان القياس الضم لانه مصدر مثل الدخول والخروج قال ولم أسمع بحرف آخر فى كلام العرب يشبهه **حدثت** بذلك عن أبى عبيد قال أخبرنى اليزيدى عن أبى عمرو وأما قوله وأنبتها نباتا حسنا فان معناه وأنبتها ربها فى غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن قال تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة وأحرها فيها وأنبتها قال نبتت فى غذاء الله من أجل القول فى تاويل قوله (وكفلها زكريا) اختلفت القراء فى قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا اليه واعتبارا بقول الله عز وجل يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنى وكفلها الله زكريا وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ وكفلها مشددة الفاء بمعنى وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها الله اليه لان زكريا أيضا ضمها اليه بايجاب الله له ضمها اليه بالقرعة التى أخرجها الله له والآية التى أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم اذ

ومعنى قوله لا اله الا هو أودع فى أول حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحى القيوم أودع فى آخر حرف من حروفه وهو

الميم وانما أودع فى آخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا فى الآية من أول حرفها الى آخر حرفها مكتوبا فيما بينهما والحروف الثلاثة من قوله الم يكون الالف من أولها دالا على المعنى الذى هو فى الكلمة الاولى وهى الله واللام من أوسطها دالا على المعنى الذى فى الكلمة الثانية وهى لا اله الا هو والميم من آخرها دالا على المعنى الذى مودع فى الثالثة وهو الحى القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا فى الم كما روى عن سعيد بن جبير وغيره وهو سر القرآن وصفوته كما روى عن أبى بكر وعلى عليه السلام ثم انه تعالى بعد ان أظهر أسرار ألوهيته المودعة فى الم بقوله الله لا اله الا هو الحى القيوم أظهر ألطاف ربوبيته المكنونة فى أستار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وأنواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن زرك فصرت مشاهدا لسر الله المودع (١٤٩) فى الم وهو الذى بين يدى الله لا اله الا هو الحى القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فافهم اذ لم تتعلم ولا تعلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وأنت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من السيارين وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد أن انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلى أنواره باسراره وحقائق بينى وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة فى صحائف وألواح يقرأها كل قارئ ويستوى فى هداها الانبياء والامم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلى أنوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وأنزل الفرقان الذى يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة

قرع عنهما من شاحه فيها وذلك انه بلغنا ان زكريا وخصومه فى مريم اذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساهموا بقداحهم ورموا بها فى نهر الاردن فقال بعض أهل العلم رثب قدح زكريا فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء فجعل الله ذلك لزكريا انه أحق المتنازعين فيها وقال آخرون بل صعد قدح زكريا فى النهر وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله فى انه أولى القوم بها وأى الامرين كان من ذلك فلا شك ان ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بانه أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك فانما ضمها زكريا الى نفسه بضم الله اياها اليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحهم فيها واختصامهم فى أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك كان بينا ان أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد كفلها وأما ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله أيهم يكفل مريم وان ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف فى قوله وكفلها فحجة داله على ضعف اختيار المحتج بها وذلك انه غير ممتنع على ذى عقل من ان يقول قائل كفل فلان فلانا فكفله فلان فكذلك القول فى ذلك الى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله اياه بقضائه الذى يقضى بينهم عند القائهم الاقلام وكذلك اختلفت القراء فى قراءة زكريا فقرأته عامة قراءة المدينة بالمد وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان فى قراءة المسلمين وليس فى القراءة باحداهما اخلاف لمعنى القراءة الاخرى فبايهما قرأ القارئ فهو مصيب غير ان الصواب عندنا اذا مد زكريا ان ينصب بغير تنوين لانه اسم من أسماء العجم لا يجرى ولان قراءتنا فى كفلها بالتشديد وتثقيل الفاء فزكريا منصوب بالفعل الواقع عليه وفى زكريا لغة ثالثة لا يجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكرى بحذف المدة والياء الساكنة تشبيها العرب بالمنسوب من الاسماء فتنونه وتجريه فى أنواع الاعراب مجارى ياء النسبة فتأويل الكلام وضمها الله الى زكريا من قول الشاعر

* فهو لضلال الهوام كافل * يراد به لما ضل من متفرق النعم ومنتشره ضام الى نفسه وجامع وقد روى فهو لضال الهوام كافل بمعنى انه لما ند فهرب من النعم ضام من قولهم ضل الظليم اذا أسرع الطيران يقال منه للرجل مالك تكفل كل ضالة يعنى به تضمها اليك وتأخذها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم قال القوا أقلامهم فجرت بها الجرية الا قلم زكريا صاعدا فكفلها زكريا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وكفلها زكريا قال ضمها اليه قال القوا أقلامهم يقول عصيهم قال فالقوها تلقاء جرية الماء فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء فقرعهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فانطلقت بها أمها فى خرقها يعنى أم مريم بمريم حين ولدتها الى المحراب وقال بعضهم انطلقت حين بلغت الى المحراب وكان الذين يكتبون التوراة اذا جاؤا اليهم بانسان

الانبياء ويفرق بين تعليمك القرآن وبين تعلمهم الكتب فان كانوا يتدارسون الكتب فانت متخلق بالقرآن فشتان بين نبى يجىء وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبى يجىء ومعه نور من الكتاب قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبى تشرف بكتابه الموعظة له فى الالواح وكتبناله فى الالواح من كل شئ موعظة وبين نبى تشرف أمته بكتابة الايمان لهم فى قلوبهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم فى خسران من الركون الى هذا النقصان والله عز يزذو انتقام يعز أهل العز بنيل المرام وينتقم من أهل السلوة بحجاب العزة ثم أخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء وكيف يخفى

وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد وجفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى أنه اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد أحواله الظاهرة والباطنة على وفق أمر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصدر منه حركة عنيفة ويجد رائحة غريبة يلزم منه سقوط النطفة وفسادها ويقعد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى بتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتاييد الحق بمرور كل أربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى مقام الى أن يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيتكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة (١٥٠) الله في أرضه فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه وأوليائه يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ ألبست قلوبهم غطاء الريب وحرموا أنوار الغيب وهم أهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله ليضلوا الناس بآرائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من أنوار الحق في تحقيق التاويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه وما يذكر الا أولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور لباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى أن علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات وأشهدهم على أنفسهم بشواهد الربوبية ألست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركن في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الاسماء كلها فلما اردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى أن وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى أسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والتنطق بها ثم أنواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر

يجربونه اقترعوا عليه أيهم ياخذه فيعلمه وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان نبيهم وكانت خالة مريم تحته فلما أتوا بها اقترعوا عليها وقال لهم زكريا أنا أحقكم بها لتحتي خالتها فابوا فخرجوا الى نهر الاردن فالقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الاقلام وقام قلم زكريا على قرنته كانه في طين فاخذ الجارية وذلك قول الله عز وجل وكفلها زكريا فجعلها زكريا معه في بيته وهو المحراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وكفلها زكريا قال سهم بقلمه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة قال كانت مريم ابنة سيدهم وامامهم قال فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها قال قتادة وكان زكريا زوج أختها فكفلها وكانت عنده وحضنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة انه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعني أم مريم بمريم في خرقها تحملها الى بني الكاهن بن هرون أخي موسى بن عمران قال وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فاني حررتها وهي ابنتي ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا اردها الى بيتي فقالوا هذه ابنة امامنا وكان عمران يؤمهم في الصلاة وصاحب قربانهم فقال زكريا ادفعوها الى فان خالتها عندي فقالوا لا تطيب أنفسنا هي ابنة امامنا فذلك حين اقترعوا فاقترعوا باقلامهم عليها بالاقلام التي يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال جعلها زكريا معه في محرابه قال الله عز وجل وكفلها زكريا قال حجاج قال ابن جريج الكاهن في كلامهم العالم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير وكفلها زكريا بعد أبيها وأمها فذكرهما باليتم ثم قص خبرها وخبر زكريا حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال كانت عنده حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال جعلها زكريا معه في محرابه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وتقارعها القوم فقرع زكريا فكفلها زكريا وقال آخرون بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ولا منازعة أحد اياه فيها وانما كفلها لان أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة وعند زكريا خالتها الاشياع ابنة قاقود وقد قيل ان اسم أم يحيى خالة عيسى أشيع حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الحماني ان اسم أم يحيى أشيع فضمها الى خالتها أم يحيى

بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية وأستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذى أجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور لباب ذلك الوجود المستمع المجيب فى الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذى استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذى أبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذى فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التى تعلمت من الحق فالنبى صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التى كان أبواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما أنت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا أولوا الالباب انما يتذكر أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بغلبات ظلمات طبائعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك ونور جمالك حتى (١٥١) سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا

فكانت اليهم ومعهم حتى اذا بلغت دخولها الكنيسة انذر أمها التى نذرت فيها قالوا والاقتراع فيها بالاقلام انما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة اصابتهم ضعف زكريا عن حمل مؤنتها فتدافعوا حمل مؤنتها الا رغبة منهم ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها وسنذكر قصتها فى قول من قال ذلك اذا بلغنا اليها ان شاء الله تعالى **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق فعلى هذا التأويل تصح قراءة من قرأ وكفلها زكريا بتخفيف الفاء لو صح التاويل غير ان القول متظاهر من أهل التاويل بالقول الاول ان استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا اياها وان زكريا انما كفلها باخراج سهمه منها فالعاجل سهام خصومه فيها فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف ۞ القول فى تاويل قوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعنى بذلك جل ثناؤه ان زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد ادخاله اياها المحراب وجد عندها رزقا من الله اتخذها فقيل ان ذلك الرزق الذى كان يجده زكريا عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجد عندها رزقا قال وجد عندها عنبا فى مكتل فى غير حينه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد فى قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال العنب فى غير حينه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة فى غير حينها **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو اسحق الكوفى عن الضحاك انه كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف يعنى فى قوله وجد عندها رزقا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن بعض أشياخه عن الضحاك مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا من سمع الحكم بن عيينة يحدث عن مجاهد قال كان يجد عندها العنب فى غير حينه **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وجد عندها رزقا قال عنبا وجده زكريا عند مريم فى غير زمانه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد فى قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال كنا نحدث انها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمرة فى غير زمانها **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال جعل زكريا دونها سبعة أبواب فكان يدخل عليها

باب أبصارنا لب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك أنت الوهاب وفيه اشارة الى أن وظيفة الطالب أن لا يسكن فى مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طلابا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكما انه لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه وان بعد هذه الدار داراهى دار القرار نوفى فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب فى الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد وان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغنى عنهم طاغوت أموالهم وأولادهم من أنوار الله التى حجبوا عنها وأولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الا القشور الجلود ولا تخلص الى القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب حرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحياة الى سموم الممات شعر ففى فؤاد المحب نار هوى * أحر نار الجحيم أبردها وكذلك ذئب جميع الكفار الذين ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة أنوار نا ومحافظة أسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب أليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقه شعر بالنار خوفى قومى فقلت لهم * النار ترحم من فى قلبه نار (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل ءأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله (١٥٢) ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب

أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) القراآت سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثليهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل بجنتهم رأى العين بغير همز أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بهمزة ساكنة أؤنبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة

ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس وأوقية وأبى شعيب ونافع غير قالون أؤنبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس وأوقية وأبو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمى وافقا يحيى وحمادا الا فى من اتبع رضوانه فى المائدة ان الذين بفتح ان على الباقون بالكسر وجهى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر غير النجارى عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمى ومن اتبعنى باثبات الياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو وأبا جعفر ونافع غير قالون فى الوصل ويقاتلون الذين حزة ونصير فى رواية على بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف أبو جعفر الباقون بالعكس الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة أو احداهما العين ط من يشاء ط الابصار ه والحرث ط الدنيا ج

يعجب

للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب ج من ذلكم ط لتناهي الاستفهام من الله ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مدحا على أعني الذين ولجواز انه نعت للعباد أو للمتقين النار ج لان الصابرين يصلح بدلا للذين والوقف أجوز نصبا على المدح بالاسحار ط الاهو ط للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة وأولوا العلم في الاستثناء والمشاركة في الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الاان قرأ ان بالفتح على البدل من أنه الاسلام ه بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء أمر يشمل أهل الكتاب والعرب والاول مختص باهل الكتاب فلم يكن الثاني من جملة جزاء الشرط أسلمتم ط لتناهي الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباده (١٥٣) بغير حق ز لمن قرأ ويقاتلون

لعدول المعنى من قوله يقتلون اليم ه والآخرة ز للابتداء بالنفي مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف أو الحال يفترون ه لايظلمون ه * التفسير عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشر نابه موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وانه لاترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لاتعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ماهو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى أهل

يعجب مما يرى من ذلك ويقول لها تعجبا مما يرى انى لك هذا فتقول من عند الله **حدثني** بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني بعض أهل العلم فذكر نحوه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله قال فانه وجد عندها الفاكهة الرطبة حين لا توجد الفاكهة عند أحد فذلك زكريا يقول يا مريم انى لك هذا وأما قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فخبر من الله أنه يسوق الى من يشاء من خلقه رزقه بغير احصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده لانه جل ثناؤه لاينقص سوقه ذلك اليه كذلك خزائنه ولا يزيد اعطاؤه اياه ومحاسبته عليه في ملكه وفيما لديه شيأ ولا يعزب عنه علم ما يرزقه وانما يحاسب من يعطي ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطي على غير حساب (قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) أما قوله هنالك دعا زكريا ربه فمعناه عند ذلك أي عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها وفضله الذي أتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته اياها عندها في الارض طمع في الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التي هما بها كما رزق مريم على تخلبها من الناس ما رزقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف وان لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العادات في الارض بل المعروف في الناس غير ذلك كما ان ولادة العاقر غير الامر الجارية به العادات في الناس فرغب الى الله جل ثناؤه في الولد وسأله ذرية طيبة وذلك ان أهل بيت زكريا فيما ذكرنا كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما رأى زكريا من حالها ذلك يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال ان ربا أعطاها هذا في غير حينه لقادر على أن يرزقني ذرية طيبة ورغب في الولد فقام فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا وقوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء يقال رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فلما رأى ذلك زكريا يعني فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف عند مريم قال ان الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه قادر أن يرزقني ولدا قال الله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال فذلك حين دعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه فقال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا الى قوله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من

مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ويعني جهنم قد مر في المقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر

من قرأ بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر باى لفظ أراد صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ أى قل لهم قولك سيغلبون وفى الآية حجاج للقائل بتكليف مالا يطاق فانه تعالى أخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا انقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر اخباره عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم نظيره فى حق عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجرى مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل فى سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه

الله الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم قال فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسن ولا ولد له وقد انقرض أهل بيته فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ثم شكا الى ربه فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا الى واجعله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب الآية وأما قوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة فانه يعنى بالذرية النسل وبالطيبة المباركة كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يقول مباركة وأما قوله من لدنك فانه يعنى من عندك وأما الذرية فانها جمع وقد تكون فى معنى الواحد وهى فى هذا الموضع واحد وذلك ان الله عز وجل قال فى موضع آخر مخبرا عن دعاء زكريا فهب لى من لدنك وليا ولم يقل أولياء فدل على أنه سأل واحدا وانما أنث طيبة لتانيث الذرية كما قال الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى فانث وهو ذكر لتانيث لفظ الخليفة كما قال الآخر

كما تزدرى من حية جبلية * سكاب اذا ما عض ليس بازدراء

فانث الجبلية لتانيث لفظ الحية ثم رجع الى المعنى فقال اذا ما عض لانه كان أراد حية ذكرا وانما يجوز هذا فيما لم يقع عليه فلان من الاسماء كالدابة والذرية والخليفة فاما اذا سمى رجل بشىء من ذلك فكان فى معنى فلان لم يجز تانيث فعله ولا نعته وأما قوله انك سميع الدعاء فان معناه انك سامع الدعاء غير أن سميع أمدح وهو بمعنى ذو سمع له وقد زعم بعض نحوى البصرة ان معناه انك تسمع ما تدعى به فتاويل الآية فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال رب هب لى من عندك ولدا مباركا انك ذو سمع دعاء من دعانى ۞ القول فى تاويل قوله (فنادته الملائكة) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة فنادته الملائكة على التانيث بالتاء يراد بها جمع الملائكة وكذلك تفعل العرب فى جماعة الذكور اذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ولا سيما الاسماء التى فى ألفاظها التانيث كقولهم جاءت الطلحات وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء بمعنى فناداه جبريل فذكروه للتاويل كما قد ذكرنا آنفا أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضا للفظ واعتبر واذلك فيما أرى بقراءة يذكرانها قراءة عبد الله بن مسعود وهو ما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ان قراءة ابن مسعود فناداه جبريل وهو قائم يصلى فى المحراب وكذلك تاول قوله فنادته الملائكة جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فناداه الملائكة وهو جبريل أو قالت الملائكة وهو جبريل ان الله يبشرك بيحيى فان قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التاويل فناداه الملائكة والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز فى كلام العرب بان تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال فى الكلام خرج فلان على بغال البريد وانما ركب بغلا واحدا وركب السفن وانما

أحدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك ابتداء عادة فى الحرب لانها من أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل فى المشركين اضداد هذه المعانى كانوا سبعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وأهل الخبر كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر عن ذلك باخبار الله فى قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى جمع قريش أو عير أبى سفيان وكان أخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ركب والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما سيجىء فى هذه السورة ورابعها قوله يرونهم مثليهم وفيه أربعة احتمالات لان الضمير فى يرون اما أن يعود الى الفئة الكافرة أو الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير فى مثليهم الى كل منهما فهذه أربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين الثانى انها رأت المسلمين مثلى عدد المسلمين ستمائة وتيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى أنفسهم ودليل الاحتمالين جميعا ان عود الضمير فى يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب أن يكون الراؤن

هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك أن يهابهم المشركون ويجتنبوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث ان الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة أمثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع أن يكون الراؤن هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف (١٠٠) من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن

ركب سفينة واحدة وكما يقال لمن سمعت هذا الخبر فيقال من الناس وانما سمعه من رجل واحد وقد قيل ان منه قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والقائل كان فيما ذكر واحدا وقوله واذا مس الناس ضر والناس بمعنى واحد وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد وانما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك انهما قراءتان معروفتان أعني التاء والياء فبايتهما قرأ القارئ فصيب وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين وهما جميعا فصيحتان عند العرب وذلك ان الملائكة ان كان مرادا بها جبريل كما روي عن عبد الله فان التانيث في فعلها فصيح في كلام العرب للفظها ان تقدمها الفعل وجائز فيه التذكير لمعناها وان كان مرادا بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التانيث وهو من قبلها للفظها وذلك ان العرب اذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته فقالت قالت النساء وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد اذا تقدم فعله فيقال قال الرجال وأما الصواب من القول في تاويله فان يقال ان الله جل ثناؤه أخبر ان الملائكة نادته والظاهر من ذلك انها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد فلن يجوز أن يحمل تاويل القرآن الاعلى الاظهر الاكثر من الكلام المستعمل في السن العرب دون الاقل ما وجد الى ذلك سبيل ولم يضطرنا حاجة الى صرف ذلك الى انه بمعنى واحد فيحتاج له الى طلب المخرج بالخفي من الكلام والمعاني وبما قلنا في ذلك من التاويل قال جماعة من أهل العلم منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة ومجاهد وجماعة غيرهم وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى ۞ القول في تاويل قوله (وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى) وتاويل قوله وهو قائم فنادته الملائكة في حال قيامه مصليا فقوله وهو قائم عند وقت نداء الملائكة زكريا وقوله يصلي في موضع نصب على الحال من القيام وهو رفع بالياء وأما المحراب فقد بينا معناه وانه مقدم المسجد واختلفت القراء في قراءة قوله ان الله يبشرك فقرأته عامة قراء الامصار ان الله بفتح الالف من أن بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ان الله يبشرك بكسر الالف بمعنى قالت الملائكة ان الله يبشرك لان النداء قول وذكروا أنها في قراءة عبد الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا ان الله يبشرك قالوا واذا بطل النداء أن يكون عاملا في قوله يا زكريا فبطل أيضا أن يكون عاملا في ان والصواب في القراءة في ذلك عندنا ان الله يبشرك بفتح أن بوقوع النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك وليست العلة التي اعتل بها القارئون بكسر ان من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك وذلك ان عبد الله ان كان قرأ ذلك كذلك فانما قرأها بزعمهم وقد اعترض بهذا زكريا بين ان وبين قوله فناداه واذا اعترض بينهما فان العرب تعمل حينئذ النداء في أن وتبطله عنها أما الابطال فانه بطل عن العمل في المنادى قبله فاسلكوا الذي بعده مسلكه في بطول عمله وأما الاعمال فلان النداء فعل رافع كسائر الافعال وأما قراءة تنافليس نداء زكريا بيا زكريا معترضا به بين أن وبين قوله فنادته واذ لم يكن ذلك بينهما فالكلام الفصيح من كلام العرب اذا نصبت تقول ناديت اسم المنادى وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على ان بعده وان

أن يقول به أحد لان هذا يوجب نصرة الكفار ويقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان أول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد تروهم أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاول والثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب أن يكون الموجود والحاضر غير مرئي أما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وهذا لا يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال أو تحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك أو معناه

رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وأما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائز الا واجبا والزمان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند اجتماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتامل البالغ فقد يرى البعض دون البعض أو لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر أو يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وكل ذلك محتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم أحد ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة فوقع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار ذوي العقول التي تصير القضايا معها

كالمشاهد المعاين ثم ذكر ماهو كالشرح والبيان لمعتبر الانسان وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهى عالم الروحانيات خير وأبقى وأنفعا معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة وأما مايتعلق بالقصة فانا روينا ان أبا حارثة بن علقمة النصرانى اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى فى هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى أما عند الاشاعرة فلانه خالق أفعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذى زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور المعتزلة فلحكمة (١٥٦) الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو أن يتصدق بها أو يتقوى بها على طاعة الله واشتغل بشكرها كان الصاحب ابن عباد يقول شرب الماء البارد فى الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها وأقبل على أداء وظائف الخدمة كان أشق له وأكثر ثوابا وعن الجبائى واختاره القاضى ان كل ما كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فالتزين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزين فيه من الشيطان وحكى عن الحسن انه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه فى الآية بانه أطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا لمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال فى معرض الذم ذلك متاع الحياة الدنيا والذام للشئ لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محرصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة أخرى هى ان الشهوة صفة مستذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون فى الآية دليل على أن الحب غير الشهوة لان المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد وهى أن يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم ان الانسان قد يحب شيأ ولكنه يجب أن لا يحبه وقد يحبه ويجب أن يحبه ويعتقد مع ذلك ان تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة

كان جائزا ابطال عمله فقوله نادته قد وقع على مكنى زكريا فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها مع ان ذلك هو القراءة المستفيضة فى قراءة أمصار الاسلام ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التى تجىء بحجة وأما قوله يبشرك فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان الله يبشرك بتشديد الشين وضم الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد من قول الناس بشرت فلانا البشرى بكذا وكذا أى اتته بشارات البشرى بذلك وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم ان الله يبشرك بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها بمعنى ان الله يبشرك بولد يهبه لك من قول الشاعر

بشرت عيالى اذ رأيت صحيفة * أتت من الحجاج يتلى كتابها

وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش وأنهم يقولون بشرت فلانا بكذا فانا أبشره بشرا وهل أنت باشر بكذا وينشد لهم البيت فى ذلك

واذا رأيت الباهسين الى العلى * غبرا أكفهم بقاع ممحل

فاعنهم وابشر بما بشروا به * واذا هم نزلوا بضنك فانزل

فاذا صاروا الى الامر فالكلام الصحيح من كلامهم بالالف فيقال ابشر فلانا بكذا ولا يكادون يقولون بشره بكذا ولا أبشره وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ يبشرك بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد عن معاذ الكوفى قال من قرأ يبشرهم مثقلة فانه من البشارة ومن قرأ يبشرهم مخففة بنصب الياء فانه من السرور يسرهم والقراءة التى هى القراءة عندنا فى ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشير لان ذلك هى اللغة السائرة والكلام المستفيض المعروف فى الناس مع ان جميع قراء الامصار مجمعون فى قراءتهم يبشرون على التشديد والصواب فى سائر ما فى القرآن من نظائره أن يكون مثله فى التشديد وضم الياء وأما ما روى عن معاذ الكوفى من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد فى ذلك وأن أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح فلا معنى لما حكى من ذلك عنه وقد قال جرير بن عطية

يا بشر حق لوجهك التبشير * هلا غضبت لنا وأنت أمير

فقد علم انه أراد بقوله التبشير الجمال والنضارة والسرور فقال التبشير ولم يقل البشر فقد بين ذلك ان معنى التخفيف والتثقيل فى ذلك واحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال بشرته الملائكة بذلك وأما قوله بيحيى فانه اسم أصله يفعل من قول القائل حيى فلان فهو يحيى وذلك اذا عاش فيحيى يفعل من قولهم حيى وقيل ان الله جل ثناؤه سماه بذلك لانه يتأول اسمه أحياه بالايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يبشرك بيحيى يقول عبد أحياه الله بالايمان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر

ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير ومعناه أحب الخير وأحب أن اكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضى ان هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك أنه موجود فى الاغلب وفى أكثر الاوقات فلا يبعد التعميم فطالما أعطى الاغلب حكم الكل على أن من همته بجوامعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية فى غاية الندرة وبقاء ذلك النادر فى جميع الاحيان على ذلك الخاطر أعز وأمنع ثم شرع فى بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هى الامهات ورتبها فى سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى النساء الثانية الاولاد (١٥٧) ولاسيما البنين ولهذا خصوا بالذكر

جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال انما سمى يحيى لان الله أحياه بالايمان ۞ القول فى تأويل قوله (مصدقا بكلمة من الله) يعنى بقوله جل ثناؤه ان الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابنا لك مصدقا بكلمة من الله يعنى بعيسى ابن مريم ويصف قوله مصدقا على القطع من يحيى لان مصدقا نعت له وهو نكرة ويحيى غير نكرة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا الضحاك بن عربى عن مجاهد قال قالت امرأة زكريا لمريم انى أجد الذى فى بطنى يتحرك للذى فى بطنك قال فوضعت امرأة زكريا يحيى ومريم عيسى ولذا قال مصدقا بكلمة من الله قال يحيى مصدق بعيسى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الرقاشى فى قول الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يقول مصدق بعيسى بن مريم وعلى سننه ومنهاجه **حدثنا** ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم يقول على سننه ومنهاجه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مصدقا بكلمة من الله قال كان أول رجل صدق عيسى وهو كلمة من الله وروح **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى مصدقا بكلمة من الله يصدق بعيسى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله كان يحيى أول من صدق بعيسى وشهد انه كلمة من الله وكان يحيى ابن خالة عيسى وكان أكبر من عيسى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال عيسى بن مريم هو الكلمة من الله اسمه المسيح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال كان عيسى ويحيى ابنى الخالة وكانت أم يحيى تقول لمريم انى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده فى بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ويحيى أكبر من عيسى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال الكلمة التى صدق بها عيسى **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى فقالت امرأة زكريا يا مريم استشعرت انى حبلى قالت مريم استشعرت انى أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله **حدثنى** محمد بن بشار قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن

ومحبة النساء والاولاد كانها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد الشئ واحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لان الانسان يتوثق بها فى عقد النوائب أبو عبيد انه وزن لا يحد أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية أنس عنه هو ألف دينار أبى بن كعب عنه هو ألف ومائتا أوقية ابن عباس ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبى ان القنطار بلسان الروم مل مسك ثور من ذهب أو فضة وعن سعيد بن جبير انه مائة ألف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبى القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فالكهما كالمالك لجميع الاشياء وكل الصيد يوجد فى الفرا ولولا التى لقلت جلت قدرته وصفة المالكية هى القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدى الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها فى مشيتها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة فى استحضار الصور والمسومة قيل المرعية أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها فى مرجها للرعى ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هى المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا فى تلك العلامة فعن أبى مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هى البلق وقال قتادة الشيه وقيل الكى ومجاهد وعكرمة المسومة المطهمة أى الحسان قال الاصمعى رجل مطهم أى تام كل شئ

على حده فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا الابل خاصة فانها غلب عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذى ذكر متاع الحياة الدنيا الآن وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما أن تكون من بنى نوعه أو من غيره والاول أصل وهو الرجل أو المرأة أو فرع وهو الولد وانما فرض الكلام فى الذكور لشرفهم والثانى اما أن تكون من المعدنيات وأكثرها فائدة وأعمها عائدة الجوهران الثمينان خصابالذكر واما أن تكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل أو للحمل واللحم وهو الانعام واما أن تكون من النباتيات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب أولا معهم والله عنده حسن المآب أى المرجع (١٥٨) وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتى غضبى ثم بين ان ذلك المرجع كما أنه حسن فى نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا والمقصود ان بغلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأفسح من بطن الام فكذلك الآخرة أفسح وأوسع من الدنيا أولانه لما عدد نعم الدنيا بين ان منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير أأنبئكم بخير أى بشئ هو خير من ذلكم الذى عددنا ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما يقول هل أدلكم على خير خير من فلان عندى رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصفت الازواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة أى من الاقذار والمنفرات وأصل

الحسن فى قول الله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة ان معنى قوله مصدقا بكلمة من الله بكتاب من الله من قول العرب أنشدنى فلان كلمة كذا يريد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل الكلمة واجترأ على ترجمة القرآن برأيه ۞ القول فى تأويل قوله (وسيدا) يعنى بقوله جل ثناؤه وسيدا وشريفا فى العلم والعبادة ونصب السيد عطفا على قوله مصدقا وتأويل الكلام ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بهذا وسيدا والسيد الفعيل من قول القائل ساد يسود كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسيدا اى والله لسيدا فى العبادة والحلم والعلم والورع **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مسلم قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا قال السيد لا أعلمه الا قال فى العلم والعبادة **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال السيد الحليم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير وسيدا قال الحليم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وسيدا قال السيد التقى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الكريم على الله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى ان السيد الكريم على الله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الحليم التقى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وسيدا قال يقول تقيا حليما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان فى قوله وسيدا قال حليما تقيا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله وسيدا قال السيد الشريف **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الفقيه العالم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وسيدا قال يقول حليما تقيا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة وسيدا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب ۞ القول فى تأويل قوله (وحصورا ونبيا من الصالحين) يعنى بذلك ممتنعا من جماع النساء من قول القائل حصرت من كذا أحصر اذا امتنع منه ومنه قولهم حصر فلان فى قراءته اذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها وكذلك حصر العدو وحبسهم الناس ومنعهم اياهم التصرف ولذلك قيل للذى لا يخرج مع ندمائه هو حصور كما قال الاخطل

وشارب مرجج بالكأس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسوار

ويروى بستار * ويقال أيضا للذى لا يخرج سره ويكتمه حصور لانه يمنع سره أن يظهر كما قال جرير

ولقد نساقطنى الوشاة فصادفوا * حصرا سؤولا ما ضنينا ٧

لايحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب أن يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الآخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا أو بصيرهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا بهم وباحوالهم فلذلك أعدلهم الجنات الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن أن يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم أنه حاصل له اظهارا للذل العبودية (١٠٩) وابداء للاستكانة والخشوع وأيضا صورة

وأصل جميع ذلك واحد وهو المنع والحبس وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن خلف قال ثنا حماد بن شعيب عن عاصم عن زر عن عبد الله فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى عن سعيد بن المسيب انه قال ثنى ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ عويدا صغيرا ثم قال وذلك انه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود وبذلك سماه الله سيدا وحصورا **حدثنى** يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ليس أحد الا يلقى الله يوم القيامة ذا ذنب الا يحيى بن زكريا كان حصورا معه مثل الهدبة **حدثنا** أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا عمرو بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال قال ابن العاص اما عبد الله وأما أبوه ما أحد يلقى الله الا وهو ذو ذنب الا يحيى بن زكريا قال وقال سعيد بن المسيب وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يغشى النساء ولم يكن ما معه الا مثل هدبة الثوب **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد بن المسيب فى قوله وحصورا قال الحصور الذى لا يشتهى النساء ثم ضرب بيده الى الارض فاخذ نواة فقال ما كان معه الا مثل هذه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الحصور الذى لا يأتى النساء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد مثله **حدثنى** عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد وحصورا قال الذى لا يأتى النساء **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحصور لا يقرب النساء **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى الحصور الذى لا يقرب النساء **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك الحصور الذى لا ولد له وليس له ماء **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وحصورا قال هو الذى لا ماء له **حدثنا** بشر قال ثنا سويد قال ثنا سعيد عن قتادة وحصورا كنا نحدث ان الحصور الذى لا يقرب النساء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الحصور الذى لا ينزل الماء **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء **حدثنى** موسى قال ثنا

العمل الصالح لا تفيد ما لم تقع فى حيز القبول فعلى المتقى أن لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من أوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها أو اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين أى فى أداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كاد يتلف روحه والصادقين أى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضى العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر

على من تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار أى فيها والسحر قبل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا اليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد آثار وأنوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا أعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد أن يفيض عليه سجال المغفرة وأن يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف وآثار اللطائف أما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل أداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات أمر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا أمرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع

الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلانى قالا أخبرنا عن أعظم شهادة فى كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله أنه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٠) ووجه النظم أنه مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله ربنا اننا آمنا ثم بين ان دلائل الايمان

ظاهرة جلية واعلم أن الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن أولى العلم يحتمل أن تكون بمعنى واحد ويحتمل أن لا تكون كذلك أما الاول فتقريره من وجهين أحدهما أن الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق الملائكة وفى حق أولى العلم أما من الله فذلك انه أخبر فى القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسى وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها وأما من الملائكة وأولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم أخبروا أيضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين أن تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى أظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك وبينوه أيضا الذى

عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وحصور اقال الحصور الذى لا يريد النساء **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وحصورا قال لا يقرب النساء وأما قوله ونبيا من الصالحين فانه يعنى رسولا نزل به الى قومه ينبئهم عنه بامره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم عنه ما أرسله به اليهم ويعنى بقوله من الصالحين من أنبيائه الصالحين وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوة وما أصلها بشواهد ذلك والادلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر) يعنى ان زكريا قال اذ ناداه الملائكة ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر يعنى من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له وامرأتى عاقر والعاقر من النساء التى لا تلد يقال منه امرأة عاقر ورجل عاقر كما قال عامر بن الطفيل

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذرى لدى كل محضر

وأما الكبر فصدر كبر فلان فهو يكبر كبرا وقيل بلغنى الكبر وقد قال فى موضع آخر وقد بلغت من الكبر ان ما بلغك فقد بلغته وانما معناه قد كبرت وهو كقول القائل وقد بلغنى الجهد بمعنى انى فى جهد فان قال قائل وكيف قال زكريا وهو نبى الله أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله اياها به أشك فى صدقهم فذلك ما لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان بالله فكيف الانبياء والمرسلون أم كان ذلك منه استكثارا لقدرة ربه فذلك أعظم فى البلية قيل كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننت بل كان قيله ما قال من ذلك كما **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى لما سمع النداء يعنى زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى جاءه الشيطان فقال له يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحى اليك فى غيره من الامر فشك مكانه وقال أنى يكون لى غلام ذكر يقول ومن أين وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال فاتاه الشيطان فاراد أن يكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدرى من ناداك قال نعم ناداني ملائكة ربى قال بل ذلك الشيطان لو كان هذا من ربك لاخفاه اليك كما أخفيت نداءك فقال رب اجعل لى آية فكان قوله ما قال من ذلك ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله أنى يكون لى غلام للوسوسة التى خالطت قلبه من الشيطان حتى خيلت اليه أن النداء الذى سمعه كان نداء من غير الملائكة فقال رب أنى يكون لى غلام مستثبتا فى أمره ليتقرر عنده بآية يريه الله فى ذلك انه بشارة من الله على ألسن ملائكته ولذلك قال رب اجعل لى آية وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسئلة منه ربه من أى وجه يكون الولد الذى بشر به أمن زوجته فهى غاقر أم من غيرها من النساء فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والسدى ومن قال مثل قولهما ۞ القول فى تاويل قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعنى جل ثناؤه بقوله كذلك الله أى هو ما وصف به نفسه انه هين عليه أن يخلق ولدا من الكبير

الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى أمر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام وأما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فالصلاة

من الله غير الصلاة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى أرشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل أي شيء أكبر شهادة قل الله وفي انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد انه أنه لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا أوجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا أبوك عطوفا أولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل أن يكون حالا من أولى العلم أي حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في أداء هذه الشهادة الثاني أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف الثالث أن يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله شعر

ويأوي الى نسوة عطل ... وشعثا مراضيع مثل السعالى

ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أي يجريه على سنن الاستقامة أو مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص والنقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية السوية ورعاية الاصلح عموما أو خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة أو يشبه الجور أو القبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلقه أعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقه العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة وكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما

الذي قد يئس من الولد ومن العاقر التي لا يرجى من مثلها الولادة كما خلقتك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيأ الان الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء أراده ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه لان قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ۞ القول في تاويل قوله (قال رب اجعل لي آية) يعني بذلك جل ثناؤه خبرا عن زكريا قال زكريا رب ان كان هذا النداء الذي نوديته والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك وبشارة منك لي فاجعل لي آية يقول علامة ان ذلك كذلك ليزول عني ما قد وسوس الى الشيطان فالقاه في قلبي من أن ذلك صوت غير الملائكة وبشارة من عند غيرك كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال رب اجعل لي آية قال قال يعني زكريا يا رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية وانها العلامة بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل العربية في سبب ترك العرب همزتها ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة فقال بعضهم ترك همزها لانها كانت آية فثقل عليهم التشديد فابدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أما فلان فاجزاه الله وقال آخرون منهم بل هي فاعلة منقوصة فسئلوا فقيل لهم فما بال العرب تصغرها أيية ولم يقولوا أوية فقالوا قيل ذلك كما قيل في فاطمة هذه فطية فقيل لهم فانهم انما يصغرون فاعلة على فعيلة اذا كان اسما في معنى فلان وفلانة فاما في غير ذلك فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة وقال آخرون انه فعلة صيرت ياؤها الاولى ألفا كما فعل بحاجة وقامة فقيل لهم انما تفعل العرب ذلك في أولى الثلاثة وقال من أنكر ذلك من قيلهم لو كان كما قالوا القيل في نواة نايية وفي حياة حاية ۞ القول في تاويل قوله (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) فعاقبه الله فيما ذكر لنا بمسئلته الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بالبشارة فجعل آيته على تخصيص ما سمع من البشارة من الملائكة يعني انه من عند الله آية من نفسه جمع تعالى ذكره بها العلامة التي سأل ربه على ما يبين له حقيقة البشارة انها من عند الله وتمحيصاله من هفوته وخطاقيله ومسالته ونحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا انما عوقب بذلك لان الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى فسال الآية بعد كلام الملائكة اياه فاخذ عليه بلسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا ما أومى وأشار فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا قال شافهته الملائكة فقال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا يقول الا اماء وكانت عقوبته عوقب بها اذ سال الآية مع مشافهة الملائكة اياه بما بشرته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن الربيع في قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان

لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد لوان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من أفعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسبه الى الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من أزل الآزال الى أبد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا أو شرا في اعتقاده حسنا أو قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب ابن أخت خالته لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا آخر او خالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لامة محمد ان يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة وأولى العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب أن يكررها المسلم ما أمكن *هو المسك ما كررته يتضوع *

ثم أكد كونه منفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا تتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سميت دينا لانها سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم أو في السلامة أو في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ أي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر وان

ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ويطلق أخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد أما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في صفة من الصفات كما شهد هو به وأما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وأمر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهي عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عن البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا أرى الموت يسبق الموت شئ وقيل تقديره شهد الله أنه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله أنه لا اله الا هو

الملائكة شافهته مشافهة فبشرته بيحيى فسال الآية بعد فاخذ بلسانه **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم انه عوقب لان الملائكة شافهته فبشرته بيحيى قالت ان الله يبشرك بيحيى فسال بعد كلام الملائكة اياه الآية فاخذ عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا رمزا يقول يومي ايماء **حدثني** أبو عبيد الرصافي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا صفوان بن عمرو عن جويبر بن نصير في قوله قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال رمزا بلسانه في فيه حتى ملأه ثم أطلقه الله بعد ثلاث وانما اختارت القراء النصب في قوله ألا تكلم الناس لان معنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام فكانت أن هي التي تنصب الاستقبال دون التي تنصب الاسماء فتنصبها ولو كان المعنى فيه آيتك انك لا تكلم الناس ثلاثة أيام أي انك على هذه الحال ثلاثة أيام كان وجه الكلام الرفع لان ان كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر وأما الرمز فان الاغلب من معانيه عند العرب الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجبين والعينين أحيانا وذلك غير كثير فيهم وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت الرمز ومنه قول حوبة بن عابد

وكان يكلم الابطال رمزا * وهمهمة لهم مثل الهدير

يقال منه رمز فلان فهو يرمز ويرمز رمزا ويترمز ترمزا ويقال ضربه ضربة فارتمز منها أي اضطرب للموت قال الشاعر * جررت منها القفا ي ارتمز * وقد اختلف أهل التاويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في اخباره عن زكريا من قوله آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأي معاني الرمز عنى بذلك فقال بعضهم عنى بذلك آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا تحريكا بالشفتين من غير أن ترمز بلسانك الكلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربي عن مجاهد في قوله الا رمزا قال تحريك الشفتين **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثلاثة أيام الا رمزا قال ايماؤه بشفتيه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل عنى الله بذلك الايماء والاشارة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك الا رمزا قال الاشارة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا رمزا قال الرمز أن يشير بيده أو برأسه ولا يتكلم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الا رمزا قال الرمز ان أخذ بلسانه فجعل يكلم الناس بيده **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا رمزا قال والرمز الاشارة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الآية قال جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الا

ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب أن يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على ان الفعل واقع على الثانى وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما قصروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال وما اختلف الذين أوتوا الكتاب قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم أمناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم فى أمر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه

أنه يذكر الله والرمز الاشارة يشير اليهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا رمزا الا ايماء **حدث** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى الا رمزا يقول اشارة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير الا رمزا الا اشارة **حدثنى** محمد بن عمر بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال أمسك بلسانه فجعل يومئ بيده الى قومه أن سبحوا بكرة وعشيا ۞ القول فى تاويل قوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) يعنى بذلك قال الله جل ثناؤه لزكريا يا زكريا آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا بغير خرس ولا عاهة ولا مرض واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع ذكره ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال لو كان الله رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وأما قوله وسبح بالعشى فانه يعنى عظم ربك بعبادته بالعشى والعشى من حين تزول الشمس الى أن تغيب كما قال الشاعر

ولا الظل من برد الضحى يستطيعه * ولا الفىء من برد العشى يذوق

فالفىء انما يبتدئ وقته عند زوال الشمس وينتاهى بمغيبها وأما الابكار فانه مصدر من قول القائل بكر فلان فى حاجة فهو يبكر ابكارا وذلك اذا خرج فيها من بين مطلع الفجر الى وقت الضحى فذلك ابكار يقال فيه بكر فلان وبكر يبكر بكورا فى الابكار قول عمر بن أبى ربيعة * أمن آل نعم أنت غاد فبكر * ومن البكور قول جرير

ألا بكر سلمى فى بكورها * وشق العصا بعد اجتماع أميرها

ويقال من ذلك بكر النخل يبكر بكورا وأبكر يبكر ابكارا والباكور من الفواكه أولها ادراكا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وسبح بالعشى والابكار قال الابكار أول الفجر والعشى ميل الشمس حتى تغيب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تاويل قوله (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك ومعنى قوله اصطفاك اختارك واجتباك لطاعته وما خصك به من كرامته وقوله وطهرك يعنى طهرك منك من الريب والادناس التى فى أديان نساء بنى آدم واصطفاك على نساء العالمين يعنى اختارك على نساء العالمين فى زمانك بطاعتك اياه بفضلك عليهم كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد يعنى بقوله خير نسائها خير نساء أهل الجنة **حدثنى**

وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب الامن بعد ما جاءهم العلم أى الدلائل التى لو نظروا فيها حصل لهم العلم لا نالو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله فى التفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة أو المراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه أى يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله فى محاجتهم فقال فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله قال الفراء أى أخلصت عملى لله فعلى هذا الوجه فى معنى العمل وقيل أى أسلمت وجه عملى لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر منى من الاعمال فالوجه فى الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير

أسلمت نفسى لله وليس فى العبادة مقام أعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله ومن اتبعن معطوف على الضمير المرفوع فى أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه والواو بمعنى مع ثم فى كيفية ايراد هذا الكلام طريقان أحدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد أظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقد مر فى هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين نفى الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله أنه لا اله الا هو وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغى والحسد فلم يبق الا ان يقول أما أنا ومن اتبعن فنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحق مع المبطل المصر فى آخر كلامه وثانيهما ان قوله أسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع

وكونه مستحقا للعبادة فكانه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف فى أمور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن أبى مسلم ان الآية فى هذا الموضع كقول ابراهيم عليه السلام انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض كانه قيل فان نازعوك يا محمد فى هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وأنتم معترفون بانه كان محقا فى قوله صادقا فى دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتى هى أحسن وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين وهم

مشركو العرب الذين لا كتاب لهم أسلموا ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن محضت له المسئلة ولم تأل جهدا فى سلوك طريقة الكشف والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله فى آية تحريم الخمر فهل أنتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء فان أسلموا فقد اهتدوا الى ما يهدى الله اليه أو الى الفوز والنجاة فى الآخرة وان تولوا أعرضوا عن الاسلام لى والاتباع لك فانما عليك البلاغ ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من أراد ثم وصف المتولى بصفات ثلاث وأردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بآيات الله أى ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الآيات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وشئ من المعاد أو بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله يقول

بذلك الحسين بن على الصدائى قال ثنا محاصر بن المورع قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا بالعراق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى المنذر بن عبد الله الحزامى عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء الجنة مريم بنت عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد من نساء العالمين قال قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده قال قتادة وذكر لنا أنه كان يقول لو علمت ان مريم ركبت الابل ما فضلت عليها أحدا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان أبو هريرة يحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها ركبن الابل صلح نساء قريش أحناه على ولد وأرعاه لزوج فى ذات يده قال أبو هريرة ولم تركب مريم بعيرا قط **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان ثابت البنانى يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمدانى يحدث عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو الاسود المصرى قال ثنا ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان أن فاطمة بنت حسين بن على حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وأنا عند عائشة فناجانى فبكيت ثم ناجانى فضحكت فسألتنى عائشة عند ذلك فقلت لقد عجلت أخبرك بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتنى فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت نعم ناجانى فقال جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة وانه قد عارض القرآن مرتين وانه ليس من نبى الا عمر نصف عمر الذى كان قبله وان عيسى أخبرنى كان عمر عشرين ومائة سنة وهذه لى ستون وأحسبنى ميتا فى عامى هذا وانه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ولا تكونى دون امرأة صبرا قالت فبكيت ثم قال أنت سيدة نساء أهل الجنة الا مريم البتول فتوفى عامه ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو الاسود قال ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن الحرث ان أبا زاد الحميرى حدثه أنه سمع عمار بن سعد

كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين أى المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا أكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون أو يقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن أن فى الآية دلالة على ان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر تلى منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروى ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون فى حكم المستقبل لا أقل من الحال لانه وعيد لمن هو فى زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الا انه تعالى

يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين و بمثل الذي قلنا في معنى قوله وطهرك انه وطهر دينك من الدنس والريب قال مجاهد **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الله اصطفاك وطهرك قال جعلك طيبة ايمانا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واصطفاك على نساء العالمين قال ذلك للعالمين يومئذ وكانت الملائكة فيما ذكر ابن اسحق تقول ذلك لمريم شفاها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال كانت مريم حبيسا في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كانت أمه وأبوه جعلاه نذيرا حبيسا فكانا في الكنيسة جميعا وكانت مريم اذا نفدما وأهما وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا الى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه فيملآن قلتيهما ثم يرجعان الى الكنيسة والملائكة في ذلك مقبلة على مريم يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين فاذا سمع ذلك زكريا قال ان لابنة عمران لشانا ۞ القول في تأويل قوله (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) يعني جل ثناؤه بقوله خبرا عن قيل ملائكته لمريم يا مريم اقنتي لربك أخلصي الطاعة لربك وحده وقد دللنا على معنى القنوت بشواهده فيما مضى قبل والاختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك وسنذكر قول بعضهم أيضا في هذا الموضع فقال بعضهم معنى اقنتي أطيلي الركود ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يا مريم اقنتي لربك قال أطيلي الركود يعني القنوت **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اقنتي لربك قال قال مجاهد أطيلي الركود في الصلاة يعني القنوت **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يا مريم اقنتي لربك قامت حتى ورم كعباها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يا مريم اقنتي لربك قامت حتى ورمت قدماها **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي ليلى عن مجاهد اقنتي لربك قال أطيلي الركود **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يا مريم اقنتي لربك قال القنوت الركود يقول قومي لربك في الصلاة يقول اركدي لربك أي انصبي له في الصلاة واسجدي واركعي مع الراكعين **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن ليث عن مجاهد يا مريم اقنتي لربك قال كانت تصلي حتى تورم قدماها **حدثني** ابن البرقي قال ثنا عمرو قال ثنا الاوزاعي يا مريم اقنتي لربك قال كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها وقال آخرون معناه اخلصي لربك ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد يا مريم اقنتي لربك قال اخلصي لربك

حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فابدل المدح بالذم والثناء باللعن وأسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل والجزية وأما في الآخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله ومالهم من ناصرين ثم ذكر غاية عناد أهل الكتاب فقال ألم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا الى التوراة فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقال الكلبي نزلت في اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وأنكر اليهود عليه صلى الله عليه وسلم وسوف تجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم أو اياهم والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التوراة أو منها ومن الانجيل فابوا فنزلت ومعنى قوله أوتوا نصيبا أي حظا وافرا من علم الكتاب يريد أحبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل أي حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التوراة كما مر في أسباب النزول ولانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون حقيته وعن ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم أي الكتاب بينهم أي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف

الثانى للعلم به أو يراد الحكم فى الاختلاف الواقع بينهم كما فى قصة الزانيين ولهذا راجعوا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من أسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار أو الذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجراهم والضمير فى هم اما ان يرجع الى الفريق أى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماع الحجة فى ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف

العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لاجل علمائهم ومتقدميهم واما ان يرجع الى كل أهل الكتاب أى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض أو ذلك العقاب أو الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى أمر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات هى أيام عبادة العجل فاستوجبوا اللذم من وجوه أحدها استقصار مدة العذاب ومن أين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودات فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أو من قولهم لن تمسنا النار الا أياما أو من قولهم نحن أولى بالنبوة من قريش أو من زعمهم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون أو فكيف حالهم وفى هذا الحذف فخامة لما هم فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا ليوم الخميس معناه جمعوا الفعل [يوجد فى يوم الخميس أما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وأيضا من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب أو عقاب أو جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسى روى ان أول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار التأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة وربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس

وقال آخرون معناه أطيعى لربك ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله اقنتى لربك قال أطيعى لربك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى اقنتى لربك أطيعى لربك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن فهو طاعة لله حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله يا مريم اقنتى لربك قال يقول اعبدى ربك قال أبو جعفر وقد بينا أيضا معنى الركوع والسجود بالادلة الدالة على صحته وانهما بمعنى الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية فتاويل الآية اذا يا مريم اخلصى عبادة ربك لوجهه خالصا وخشعى لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الادناس والتفضيل على نساء عالم دهرك ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعنى جل ثناؤه بقوله ذلك الاخبار التى أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا وابنه يحيى وسائر ما قص فى الآيات من قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك فقال هذه الانباء من أنباء الغيب من أخبار الغيب و يعنى بالغيب انها من خفى أخبار القوم التى لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ولا يعلمها الا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه أوحى ذلك اليه حجة على نبوته وتحقيقا لصدقه وقطعا منه عذر منكرى رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل الى علم هذه الانباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها الا باعلام الله ذلك اياه اذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمى لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل الى علم ذلك من قبل الكتب ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم وأما الغيب مصدر من قول القائل غاب فلان عن كذا فهو يغيب عنه غيابا وغيبة وأما قوله نوحيه اليك فان تاويله ننزله اليك وأصل الايحاء القاء الموحى الى الموحى اليه وذلك قد يكون بكتاب واشارة وايماء وبالهام وبرسالة كما قال جل ثناؤه وأوحى ربك الى النحل بمعنى ألقى ذلك اليها فالهمها وكما قال واذ أوحيت الى الحواريين بما ألقيت اليهم علم ذلك الهاما وكما قال الراجز * أوحى لها القرار فاستقرت * بمعنى ألقى اليها ذلك أمرا وكما قال جل ثناؤه فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا بمعنى فالقى ذلك اليهم أيضا والاصل فيه ما وصفت من القاء ذلك اليهم وقد يكون لقاؤه ذلك اليهم ايماء ويكون بكتاب ومن ذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يلقون اليهم ذلك وسوسة وقوله وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ألقى الى بمجىء جبريل عليه السلام به الى من عند الله عز وجل وأما الوحى فهو الواقع من الموحى الى الموحى اليه ولذلك سمت العرب الخط والكتاب وحيا لانه واقع فيما كتب ثابت فيه كما قال كعب بن زهير

أتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحى فى الحجر الاصم

والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى أسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين فى الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس وأعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم أخبر عن جنود الفئتين وأعوان الفرقتين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلاث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم أصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم أرباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية الماثلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا وأهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك ثم أشار الى أحوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما الحلولى لهم الدنيا دنيا مرى على أوليائه ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين أحسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته الاحدى وكونه الصمدى أنه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها أحد فكما ان ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا أين ولا عقل ولا جهل ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا أولوا العلم

يعنى به الكتاب الثابت فى الحجر وقد يقال فى الكتاب خاصة اذا كتبه الكاتب وحى بغير الف ومنه قول رؤبة

كأنه بعد رياح ندهمه * ومن ثعنان الدحون تثمه * نحيل توراة وحى منمنمه

القول فى تاويل قوله (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) يعنى جل ثناؤه بقوله وما كنت لديهم وما كنت يا محمد عندهم فتعلم ما نعلمكه من أخبارهم التى لم تشهدها ولكنك انما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفناله ومعنى قوله لديهم عندهم ومعنى قوله اذ يلقون حين يلقون أقلامهم وأما أقلامهم فسهامهم التى استهم بها المستهمون من بنى اسرائيل على كفالة مريم على ما قد بيناقبل فى قوله وكفلها زكريا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله وما كنت لديهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يلقون أقلامهم ذكريا وأصحابه استهموا باقلامهم على مريم حين دخلت عليهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون كانت مريم ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا وكان زوج أختها فكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلقون أقلامهم قال تساهموا على مريم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وان مريم لما وضعت فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحى فاقترعوا باقلامهم أيهم يكفلها فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم اقترعوا باقلامهم أيهم يكفل مريم فقرعهم زكريا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم قال حيث اقترعوا على مريم وكان غيبا عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبره الله وانما قيل أيهم يكفل مريم لان القاء المستهمين أقلامهم على مريم انما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحق ففى قوله عز وجل اذ يلقون أقلامهم دلالة على محذوف من الكلام وهو لينظروا أيهم يكفل وليتبينوا ذلك ويعلموه فان ظن ظان أن الواجب فى أيهم النصب اذ كان ذلك معناه فقد ظن خطأ وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أى يقتضى استفهاما واستخبارا وحظ أى فى الاستخبار الابتداء وبطول عمل المسئلة والاستخبار عنه وذلك أن معنى قول القائل لانظرن أيهم قام لاستخبرن الناس أيهم قام وكذلك قولهم لاعلمن وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفل يضم بما أغنى عن اعادته فى هذا

ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان عما كان كما كان وهو أنه لا اله الا هو ثم أبدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من أجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد هو القدم فجرى فى مجارى أنهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة وأولى العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان أولوا العلم ولكن اختص أولوا العلم منهم بمشربة وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى فحقيقة معنى الآية شهد الله أنه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة وأولوا العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى أولى العلم الذين لهم شركة مع (١٦٨) الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربة لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا أعزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا اختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف أو لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف أو لتدابرهم فى المنزل الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يخص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد للقبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان فى قبول فيض اللطف ان يغدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط أعماله ولا يرجى توبته ويرجى توبة ابليس ألم الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من أوتى حظا من العلم فعليه اذا دعى الى حكم من أحكام الله أو الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى ان يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا مفتريا فى الدعوى وهذه حال أكثر من أوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم أهل العزة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى

الموضع ۞ القول فى تاويل قوله (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وما كنت يا محمد عند قوم مريم اذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى وذلك من الله عز وجل وان كان خطابا للنبيه صلى الله عليه وسلم فتوبيخ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين يقول كيف يشك أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الانباء ولم تشهدها ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الامور ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ولا جالس أهلها فسمع خبرهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما كنت لديهم اذ يختصمون أى ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفى ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه ۞ القول فى تاويل قوله (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) يعنى بقوله جل ثناؤه اذ قالت الملائكة وما كنت لديهم اذ يختصمون وما كنت لديهم أيضا اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك والتبشير اخبار المرء بما يسره من خير وقوله بكلمة منه يعنى برسالة من الله وخبر من عنده وهو من قول القائل ألقى فلان الى كلمة سرنى بها يعنى أخبرنى خبرا فرحت به كما قال جل ثناؤه وكلمته ألقاها الى مريم يعنى بشرى الله مريم بعيسى ألقاها اليها فتاويل الكلام وما كنت يا محمد عند القوم اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده هى ولدك اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقد قال قوم وهو قول قتادة ان الكلمة التى قال الله عز وجل بكلمة منه هو قوله كن حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بكلمة منه قال قوله كن فسماه الله عز وجل كلمته لانه كان عن كلمته كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاه يعنى به هذا عن قدر الله وقضائه حدث وكما قال جل ثناؤه وكان أمر الله مفعولا يعنى به ما أمر الله به وهو المأمور الذى كان عن أمر الله عز وجل وقال آخرون بل هى اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الاسماء وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال الكلمة هى عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه قال عيسى هو الكلمة من الله وأقرب الوجوه الى الصواب عندى القول الاول وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرها أن تلقيها اليها ان الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ولذلك قال عز وجل اسمه المسيح فذكر ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لان الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كناية ما تذكر كناية الذرية والدابة والالقاب على ما قد بيناه قبل فيما مضى فتاويل ذلك كما قلنا آنفا من أن معنى ذلك ان الله يبشرك ببشرى ثم بين عن البشرى انها ولد اسمه المسيح وقد زعم بعض نحوى البصرة أنه انما ذكر فقال اسمه المسيح وقد قال بكلمة منه والكلمة عنده هى عيسى لانه فى المعنى كذلك كما قال جل ثناؤه أن تقول نفس يا حسرتا ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها وكما يقال ذو الثدية لان يده كانت قصيرة قريبة من ثديه فجعلها كان اسمها

السموات ومافى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) القراآت الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد على فيعل حيث كان أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها أبو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة * الوقوف ممن تشاء ط لتناهى الجملتين المتضايفين معنى الى جملتين (١٦٩) مثلهما وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه فى

اسمها ئدية ولو لاذلك لم تدخل الهاء فى التصغير وقال بعض نحوى الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحوى البصرة فى أن الهاء من ذكر الكلمة وخالفه فى المعنى الذى من أجله ذكر قوله اسمه والكلمة متقدمة قبله فزعم أنه انما قيل اسمه وقد تقدمت الكلمة ولم يقل اسمها لان من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والاسماء التى لم توضع لتعريف المسمى به كفعلان وفلان وذلك مثل الذريعة والخليقة والدابة ولذلك جاز عنده أن يقال ذريعة طيبة وذريعة طيبا ولم يجز أن يقال طلحة أقبلت ومغيرة قامت وأنكر بعضهم اعتلال من اعتل فى ذلك بذى الثدية وقالوا انما أدخلت الهاء فى ذى الثدية لانه أريد بذلك القطعة من الثدى كما قيل كفانى لحمة ونبيذة يراد به القطعة منه وهذا القول نحو قولنا الذى قلناه فى ذلك وأما قوله اسمه المسيح عيسى بن مريم فانه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى وانه ابن أمه مريم ونفى بذلك عنه ما أضاف اليه الملحدون فى الله جل ثناؤه من النصارى من اضافتهم بنوته الى الله عز وجل وماقذفت أمه به المفتريه عليها من اليهود كما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين أى هكذا كان أمره لاما يقولون فيه وأما المسيح فانه فعيل صرف من مفعول الى فعيل وانما هو ممسوح يعنى مسحه الله فطهره من الذنوب ولذلك قال ابراهيم المسيح الصديق وقال آخرون مسيح بالبركة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال قال سعيد انما سمى المسيح لانه مسح بالبركة ۞ القول فى تأويل قوله (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) يعنى بقوله وجيها ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ومنه يقال للرجل الذى يشرف وتعظمه الملوك والناس وجيه يقال منه مما كان فلان وجيها فلقد وجه وجاهة وان له لوجها عند السلطان وجاها ووجاهة والجاه مقلوب قلبت واوه من أوله الى موضع العين منه فقيل جاه وانما هو وجه وفعل من الجاه جاه يجوه مسموع من العرب أخاف أن يجوهنى باكثر من هذا بمعنى أن يستقبلنى فى وجهى باعظم منه وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى لان عيسى معرفة ووجيه نكرة وهو من نعته ولو كان مخفوضا على الرد على الكلمة كان جائزا وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله قال فيما بلغنا محمد بن جعفر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وجيها قال وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله وأما قوله ومن المقربين فانه يعنى انه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه فى جواره ويدنيه منه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول

الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى ز لعطف المتفقتين حساب ه المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ه نصف الجزء يعلمه الله ط ومافى الارض ط قدير ه محضرا ج والاجوز أن يوقف على سوء تقديره وماعملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين لا لان ذرية بدل من بعض ج عليم لا لاحتمال ان اذ متعلق بالوصفين أى سمع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت أو اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر * التفسير أنه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ماذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند

سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما أخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وعند الكوفيين أصله يا الله امنا بخير أى اقصدنا فلما كثر فى الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من أم وزيف بان التقدير لو كان كذلك لزم أن يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز أن يتكلم به على أصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء وأجيب بانه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثانى تفسيرا للاول فيكون آكد وبان الاصل كثيرا ما يصير مهجورا وكامثل ما أكرمه فانه لايقال شئ ما أكرمه فى التعجب ومالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان النداء باللهم لايوصف كما

لا بوصف أخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه و يا نومان و يا لكعان وفل وأجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا الله عن ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره صلى الله عليه وسلم فاخذ المعول من سلمان فضربها صلى الله عليه وسلم ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كالمصباح في جوف بيت (١٧٠) مظلم وكبر صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون وقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب صلى الله عليه وسلم الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبرائيل ان أمتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى أمر نبيه أن يسأله أن يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وأمره بذلك دليل على أنه يستجيب له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء وهكذا منازل الانبياء اذا أمروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك أي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه أن قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وأنه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره و يملك كل مالك على مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء أي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها أعظم مراتب الملك لان العلماء لهم أمر على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والانبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل أحد أن يقبل شريعتهم ولهم أن يقتلوا من أرادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة أن يكون النبي بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة في أسلافنا فنحن أحق بها وقدر و ينافي

في تاويل قوله (و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين) أما قوله و يكلم الناس في المهد فان معناه ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها عند الله ومكلما الناس في المهد فيكلم وان كان مرفوعا لانه في صورة يفعل بالسلامة من العوامل فيه فانه في موضع نصب وهو نظير قول الشاعر

بت أغشيها بعضب باتر * تقصد في أسوقها وجائر

وأما المهد فانه يعني به مضجع الصبي في رضاعه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و يكلم الناس في المهد قال مضجع الصبي في رضاعه وأما قوله وكهلا فانه ومحتنكا فوق الغلومة ودون الشيخوخة يقال منه رجل كهل وامرأة كهلة كما قال الراجز

ولا أعود بعدها كريا * أمارس الكهلة والصبيا

وانما عنى جل ثناؤه بقوله و يكلم الناس في المهد وكهلا و يكلم الناس طفلا في المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها وحجة له على نبوته و بالغا كبيرا بعد احتنا كه بوحي الله الذي يوحيه اليه وأمره ونهيه وما تقول عليه من كتابه وانما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح وأنه كذلك كان وان كان الغالب من أمر الناس انهم يتكاهون كهولا وشيوخا احتجاجا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل وانه كان في معاناة أشياء مولودا طفلا ثم كهلا يتقلب في الاحداث و يتغير بمرور الازمنة عليه والايام من صغر الى كبر ومن حال الى حال وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه كان ذلك غير جائز عليه فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واحتج به عليهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعلمهم انه كان كسائر بني آدم الا ما خصه الله به من الكرامة التي أبانه بها منهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم بحالاته التي يتقلب بها في عمره كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارا وكبارا الا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد مواقع قدرته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة و يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين يقول يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع و يكلم الناس في المهد وكهلا قال يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكهلا ومن الصالحين قال الكهل الحليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كلمهم صغيرا وكبيرا وكهلا وقال ابن جريج وقال مجاهد الكهل الحليم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو يزيد الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله و يكلم الناس في المهد وكهلا قال يكلمهم في المهد صبيا وكلمهم كبيرا * وقال آخرون معنى قوله وكهلا انه سيكلمهم اذا ظهر ذكره من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعني ابن زيد يقول في قوله و يكلم الناس في المهد وكهلا قال قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم اذا قتل الدجال

تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون أن اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى أنه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى أنه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب أو بمعنى أنه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله أو لتعودن في ملتنا مع أن الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو أن يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم أن كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل (١٧١) غافل رحى البال وقد رأينا كثيرا من

وهو يومئذ كهلا ونصب كهلا عطفا على موضع ويكلم الناس وأما قوله ومن الصالحين فانه يعني من عدادهم وأوليائهم لان أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل ۞ القول في تاويل قوله (قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعني بذلك جل ثناؤه قالت مريم اذ قالت لها الملائكة ان الله يبشرك بكلمة منه رب أنى يكون لي ولد من أي وجه يكون لي ولد آمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه أو تبتدئ في خلقه من غير بعل ولا فحل ومن غير أن يمسني بشر فقال الله لها كذلك الله يخلق ما يشاء يعني هكذا يخلق الله منك ولدا لا من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد فيعطي الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل فيحرم ذلك من يشاء من النساء وان كانت ذات بعل لانه لا يتعذر عليه خلق شئ أراد خلقه انما هو أن يامر اذا أراد شيأ ما أراد فيقول له كن فيكون مما يشاء وكيف شاء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر أي اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف يشاء فيكون ما أراد ۞ القول في تاويل قوله (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين ويعلمه بالياء ردا على قوله كذلك الله يخلق ما يشاء ويعلمه الكتاب فالحقوا الخبر في قوله ويعلمه بنظير الخبر في قوله يخلق ما يشاء وقوله فانما يقول له كن فيكون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين ونعلمه بالنون عطفا به على قوله نوحيه اليك كأنه قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ونعلمه الكتاب وقالوا انما بعد نوحيه في صلته الى قوله كن فيكون ثم عطف بقوله ونعلمه عليه والصواب من القول في ذلك عندنا انهما قراءتان مختلفتان غير متفقتين في المعاني فبايتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب في ذلك لا تفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بانه يعلم عيسى الكتاب وماذكر أنه يعلمه وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذي يخطه بيده والحكمة وهي السنة التي نوحيها اليه في غير كتاب والتوراة وهي التوراة التي أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى والانجيل انجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه اليه وانما أخبرها بذلك فسماه لها لانها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب ان الله باعث نبيا يوحي اليه كتابا اسمه الانجيل فاخبرها الله عز وجل أن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي سمعت بصفته لذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي سمي انجيلا هو الولد الذي وهبه لها وبشرها به وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج ونعلمه الكتاب قال بيده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعلمه الكتاب والحكمة

الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما زادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا أن الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل أحد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا أن يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجى حرم الغنى
ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وهكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه من العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح أن الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك الفعال والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله

تعالى وتقديره بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شئ وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك أولان جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله فكلها خير أولان القادر على ايصال الخير أقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع أن ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شئ قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير توليج الليل في النهار وتوليج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما (١٧٢) قوام العالم ونظامه أو يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد ان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول أقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد أدخله فيه ويخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر أو من كان ميتا فاحييناه أي كافرا فهديناه أو الطيب من الخبيث أو الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم أو يخرج السنبلة من الحبة تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله أردفه بشريطة الشفقة على خلق الله أو نقول لما ذكر أنه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين أنه ينبغي أن يكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن بكسر الذال للساكنين قال الزجاج ولو رفع قائل على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو بن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى أولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن

قال الحكمة السنة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال الحكمة السنة والتوراة والانجيل قال كان عيسى يقرأ التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ونعلمه الكتاب والحكمة قال الحكمة السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال أخبر يعني أخبر الله مريم ما يريد به فقال ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التي كانت فيهم من عند موسى والانجيل كتابا آخر أحدثه اليه لم يكن عندهم علمه الا ذكره أنه كائن من الانبياء قبله ۞ القول في تاويل قوله (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني بقوله جل ثناؤه ورسولا ونجعله الى بني اسرائيل فترك ذكر ونجعله لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

ورأيت زوجك في الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

وقوله أني قد جئتكم بآية من ربكم بمعنى ونجعله رسولا الى بني اسرائيل بانه نبي وبشير ونذير ويجئ على صدق ذلك أني قد جئتكم بآية من ربكم يعني بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدق خبري أني رسول من ربكم اليكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أي يحقق بها نبوتي وأني رسول منه اليكم ۞ القول في تاويل قوله (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) يعني بذلك جل ثناؤه ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ثم بين عن الآية ما هي فقال أني أخلق لكم فتأويل الكلام ورسولا الى بني اسرائيل بانى قد جئتكم بآية من ربكم بان أخلق لكم من الطين كهيئة الطير والطير جمع طائر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل الحجاز كهيئة الطائر فانفخ فيه فيكون طائرا على التوحيد وقرأه آخرون كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع كلهما وأعجب القرا آت الى في ذلك قراءة من قرأ كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا على الجماع فيهما جميعا لان ذلك كان من صنعة عيسى أنه يفعل ذلك باذن الله وأنه موافق لخط المصحف واتباع خط المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به أعجب الى من خلاف المصحف وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فاخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا وتستطيع ذلك قال نعم باذن ربي ثم هيأه حتى اذا جعله في هيئة الطائر فنفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فافشوه في الناس وتزعزع فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم أي الطير أشد خلقا فقيل له الخفاش كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال أي الطير أشد خلقا قالوا الخفاش انما هو لحم قال فنفخ فان قال

يخرجوا معى فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبى نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك فى آيات أخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن موالیا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل أن يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا أيها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة فى الدنيا بحسب الظاهر وذلك ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك ولهذا قال (١٧٣) مقاتل نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد أن دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا أنه منهى عنه حذرا من أن يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله أى من ولايته أو من دينه فى شئ يقع عليه اسم الولاية يعنى أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين فى الموالاة غير متصور وهذا أمر معقول فان موالاة الولى ومولاة عدوه ضدان قال

تود عدوى ثم تزعم أننى
صديقك ليس النوك عنك بعازب

قال بعض الحكماء هذا ليس بكلى فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الآخر كالملك العادل فانه يحب لهما فان أراد أحد أن يعلم الحكم لابد له ان يزيد عليه اذا كانوا فى مرتبة واحدة الان تتقوا منهم تقاة قال الجوهرى يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وفاؤها واو كنبات فالتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدى ويجوز أن يجعل تقاة ههنا مثل دعاة ورماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولهذا عدى بمن ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير اضرو به فالمعنى أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه رخص لهم فى موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مجالفتهم ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أى ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله والتقية عند العلماء أحكام منها اذا كان الرجل فى قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمر

قائل وكيف قيل فانفخ فيه وقد قيل أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قيل لان معنى الكلام فانفخ فى الطير ولو كان ذلك فانفخ فيها كان صحيحا جائزا كما قال فى المائدة فانفخ فيها يريد فانفخ فى الهيئة وقد ذكر أن ذلك فى احدى القراءتين فانفخها بغير فى وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول رب ليلة قد بتها وبت فيها قال الشاعر

ماشق جيب ولا قامت له نائحة * ولا بكتك جياد عند أسلاب

بمعنى ولا قامت عليك وكما قال جرير

احدى بنى عبد الله استمر بها * حلو العصارة حتى ينفخ الصور

القول فى تاويل قوله (وأبرئ الاكمه والابرص) يعنى بقوله وأبرئ وأشفى يقال منه أبرأ الله المريض اذا شفاه منه فهو يبرئه ابراء وبرأ المريض فهو يبرأ برءا وقد يقال أيضا برئ المريض فهو يبرأ لغتان معروفتان واختلف أهل التأويل فى معنى الاكمه فقال بعضهم هو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأبرئ الاكمه قال الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو الاعمى الذى ولدته أمه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الاكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله وأبرئ الاكمه والابرص قال كنا نحدث أن الاكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن عمار عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الاكمه الذى يولد وهو أعمى وقال آخرون بل هو الاعمى ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وأبرئ الاكمه هو الاعمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الاعمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأبرئ الاكمه قال الاكمه الاعمى حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمى وقال آخرون هو الاعمش ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله وأبرئ الاكمه قال الاعمش والمعروف عند العرب من معنى الكمه العمى يقال منه كمهت عينه فهى تكمه كمها وكمهتها أنا اذا أعميتها كما قال سويد بن أبى كاهل * كمهت عينيه حتى ابيضتا * فهو يلحى نفسه لما يرع ومنه قول رؤبة

هر جت فارتد ارتداد الاكمه * فى عائلات الخاثر المنتهه

وانما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبنى اسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم فى نبوته وذلك ان الكمه والبرص لا علاج لهما فيقدر على ابرائه ذو طب بعلاج فكان ذلك

خلافه ويعرض فى كل ما يقول ما أمكن فان التقية تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلب ومنها أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أنى رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بنى حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال أتشهد أنى رسول الله فقال انى أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار (١٧٤) الموالاة والمعاداة وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما

من أدلته على صدق قيله انه لله رسول لانه من المعجزات مع سائر الآيات التى أعطاه الله اياها دلالة على نبوته فاما ما قال عكرمة ان الكمه العمش وما قاله مجاهد من انه سوء البصر بالليل فلا معنى لهما لان الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل على معارضته فيها ولو كان مما احتج به عيسى على بنى اسرائيل فى نبوته أنه يبرئ الاعمش والذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بان يقولوا وما فى هذا من الحجة وفينا خلق ممن تعالج ذلك وليس لله أنبياء ولا رسلا ففى ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من ان الكمه هو العمى الذى لا يبصر شيأ لا ليلا ولا نهارا وهو بما قال قتادة من أنه المولود كذلك أشبه لان علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر الامن أعطاه الله مثل الذى أعطى عيسى وكذلك علاج الابرص ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وكان احياء عيسى الموتى بدعاء الله يدعوله فيستجيب له كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما صار عيسى ابن اثنتى عشرة سنة أوحى الله الى أمه وهو بارض مصر وكانت هربت من قومها حين ولدته الى أرض مصر ان اظعى به الى الشام ففعلت الذى أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاثين سنة ثم رفعه الله اليه قال وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى اليه وانما كان يداويهم بالدعاء الى الله وأما قوله وأنبئكم بما تأكلون فانه يعنى وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم فى وقت أكلكموه وما تدخرون يعنى بذلك وما ترفعونه فتخبؤنه ولا تأكلونه يعلمهم ان من حجته أيضا على نبوته مع المعجزات التى أعلمهم أنه يأتى بها حجة على نبوته وصدقه فى خبره ان الله أرسله اليهم من خلق الطير من الطين وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله التى لا يطيقها أحد من البشر الامن أعطاه الله ذلك علما له على صدقه وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ومن أحب من خلقه انباءه عن الغيب الذى لا سبيل لاحد من البشر عليه فان قال قائل وما كان فى قوله لهم وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم من الحجة له على صدقه وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب قيل ان المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك انهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الاسباب المؤدية الى علمه ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورسله وانما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باختبار ولكن ابتدأ باعلام الله اياه من غير أصل يقدم ذلك احتذاه أو بنى عليه أو فزع اليه كما يفزع المتنجم الى حسابه والمتكهن الى رئيه فذلك هو الفصل بين علم الانبياء بالغيوب واخبارهم عنها وبين علم سائر الكذبة على الله والمدعية على ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرا أو نحو ذلك أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يذهب يعلمه شيأ

الذى يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها أن الشافعى جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها أنها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا فى أول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن أنه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا أرجح عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل أى عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة أعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذى حذرمنه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره مما وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء أى ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر فى وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما فى صدوركم أى قلوبكم وضمائركم لان القلب فى الصدر مجازا اقامة الظرف مقام المظروف أو تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلى ثم استأنف بيانا أشفى فقال ويعلم ما فى السموات وما فى الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شئ قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفى عامله وجوه قال ابن الانبارى والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شئ قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته فى قدرة الله تعالى تعظيما للشأنه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر أى اذكروا والاظهر أن العامل فيه يود

والضمير فى بينه لليوم أى يود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا أيضا لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا والامد الغاية التى ينتهى اليها مكانا كانت أو زمانا والمقصود تمنى بعده كقوله يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو أن يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف حاضرا أو يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل غرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل أن يكون تود صفة سوء والضمير فى بينه يعود اليه واحتمل أن يكون حالا واحتمل أن يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل أن يكون ما شرطية وتود جزاءه وهو قليل كقوله وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحتملهما على السواء الا أن الحمل على الابتداء والخبر أوقع فى المعنى لانه حكاية الكائن فى ذلك (١٧٥) اليوم ويحذركم الله نفسه تأكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن ومن رأفته أن حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته وأنه يمهل ولا يهمل ورغبهم فى استجلاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز أن يراد أنه رؤف بهم حيث أمهلهم للتوبة والتلافى أو هو وعد كما أن التحذير وعيد أو المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ومحذرهم نفسه فهو رؤف بالعباد المطيعين والمحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به ورسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله قال الحسن وابن جريج زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحبر بنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهم فى المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا فى آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعونى يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس انها نزلت حين زعمت اليهود انهم أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت فى نصارى نجران زعموا أنهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل أن كل من يدعى محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد أن يكون فى غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس فى متابعته الا أنه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره

مما يعلمه الغلمان الابدره الى علمه قبل أن يعلمه اياه فيقول ألا تعجبون لابن هذه الارملة ما أذهب أعلمه شيء الا وجدته أعلم به منى **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التى كان فيها فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال كان عيسى بن مريم اذ كان فى الكتاب يخبرهم بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم قال سمعت سعيد بن جبير يقول وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال ان عيسى بن مريم كان يقول للغلام فى الكتاب يا فلان ان أهلك قد خبؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمنى منه فهكذا فعل الانبياء وحجتها انما تأتى بما أتت به من الحجج بما قد يوصل اليه ببعض الحيل على غير الوجه الذى يأتى به غيرها بل من الوجه الذى يعلم الخلق انه لا يوصل اليه من ذلك الوجه بحيلة الا من قبل الله وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال بما أكلتم البارحة وما خبأتم منه عيسى بن مريم يقوله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح يعنى قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الطعام والشئ يدخرونه فى بيوتهم غيبا علمه الله اياه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال ما يأكلون ما أكلتم البارحة من طعام وما خبأتم منه **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كان يعنى عيسى بن مريم يحدث الغلمان وهو معهم فى الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعون لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى فيبكى على أهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فذلك قول الله عز وجل وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فجعلوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليس هم ههنا فقال ما فى هذا البيت فقالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير فذلك قوله على لسان داود وعيسى بن مريم **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله وما تدخرون فى بيوتكم قال ما تخفون مخافة الذى يمسك أن لا يخلفه شيئا وقال آخرون انما عنى بقوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ما تأكلون من المائدة التى تنزل عليكم وما تدخرون منها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم

فمن أحب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر فى تفسير قوله والذين آمنوا أشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب فقال ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور فى الدنيا يستر على عبده أنواع المعاصى رحيم فى الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى أنه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى قال عبد الله بن أبى ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى فنزلت قل أطيعوا الله والرسول وذلك أن الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق ألقى شبهة فى البين أمره الله تعالى أن يقول انما أوجب الله عليكم متابعتى (١٧٦) لاما يقوله النصارى فى عيسى بل لكونى رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه فان

فكان القوم لما سألوا المائدة فكانت جرابا ينزل عليه أينما كانوا ثمر من ثمار الجنة فامر القوم أن لا يخونوا فيه ولا يخبؤا ولا يدخروا لغد بلاء ابتلاهم الله به فكانوا اذا فعلوا من ذلك شيأ أنباهم به عيسى بن مريم فقال وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون قال أنبئكم بما تاكلون من المائدة وما تدخرون منها قال فكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلت أن يا كلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا فذلك قوله فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال معمر عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر ذلك وأصل يدخرون من الفعل يفتعلون من قول القائل دخرت الشئ بالدال فانا ادخره ثم قيل يدخر كما قيل يذكر من ذكرت الشئ يراد به يذخر فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج ثقل اظهارهما على اللسان فادغمت احداهما فى الاخرى وصيرتا دالا مشددة صيروها عدلا بين الذال والتاء ومن العرب من يغلب الدال على التاء فيدغم التاء فى الدال فتقول وما تدخرون وهو مدخر لك وهو مدكر اللغة التى بها القراءة الاولى وذلك ادغام الذال فى التاء وابدالهما دالا مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها وهى اللغة الجودى كما قال زهير

ان الكريم الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم أحيانا فيظلم

يروى باظلم يريد فيفتعل من الظلم ويروى بالطاء أيضا ۞ القول فى تاويل قوله (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان فى خلقى من الطين الطير باذن الله وفى ابرائى الاكمه والابرص واحيائى الموتى وانبائى اياكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ابتداء من غير حساب وتنجيم ولا كهانة وعرافة لعبرة لكم ومتفكرا تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به انى محق فى قولى لكم انى رسول من ربكم اليكم وتعلمون به أنى فيما أدعوكم اليه من أمر الله ونهيه صادق ان كنتم مؤمنين يعنى ان كنتم مصدقين بحجج الله وآياته مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها ۞ القول فى تأويل قوله (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وبانى قد جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتكم والذى يدل على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله وجيها قوله لما بين يدى من التوراة ولو كان عطفا على قوله وجيها لكان الكلام ومصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم وانما قيل ومصدقا لما بين يدى من التوراة لان عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها وأنها من عند الله وكذلك الانبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله وان اختلف بعض شرائع أحكامهم لخالفة الله بينهم فى ذلك مع ان عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة لم يخالف شيأ من أحكامها الا ما خفف الله عن أهلها فى الانجيل مما كان مشددا عليهم فيها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الكريم قال ثنى

عفوا ولو ظلم أحيانا فيظلم أحيانا يروى باظلم يريد فيفتعل من الظلم ويروى بالطاء أيضا ۞ القول فى تاويل قوله (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان فى خلقى من الطين الطير باذن الله وفى ابرائى الاكمه والابرص واحيائى الموتى وانبائى اياكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ابتداء من غير حساب وتنجيم ولا كهانة وعرافة لعبرة لكم ومتفكرا تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به انى محق فى قولى لكم انى رسول من ربكم اليكم وتعلمون به أنى فيما أدعوكم اليه من أمر الله ونهيه صادق ان كنتم مؤمنين يعنى ان كنتم مصدقين بحجج الله وآياته مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها ۞ القول فى تأويل قوله (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وبانى قد جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتكم والذى يدل على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله وجيها قوله لما بين يدى من التوراة ولو كان عطفا على قوله وجيها لكان الكلام ومصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم وانما قيل ومصدقا لما بين يدى من التوراة لان عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها وأنها من عند الله وكذلك الانبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله وان اختلف بعض شرائع أحكامهم لخالفة الله بينهم فى ذلك مع ان عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة لم يخالف شيأ من أحكامها الا ما خفف الله عن أهلها فى الانجيل مما كان مشددا عليهم فيها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الكريم قال ثنى

الجسمانية والقوى الروحانية أما القوى الجسمانية فهى اما مدركة أو محركة أما المدركة فهى الحواس الظاهرة أو الباطنة أما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله أقيموا صفوفكم وتراصوا فانى أراكم من وراء ظهرى وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكر والى تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس بمستبعد فانه روى أن زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط فسمعت طيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة أن فيثاغورس رأض نفسه حتى سمع حفيف الملك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله ما روى عبد

أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب صلى الله عليه وسلم ريح يوسف من مسيرة أيام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني أنه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب أن يحمل هذا على معنى آخر وهو أنه تعالى لا يبعد أن يجعل المنافي ملائما للاعجاز أو لخاصية أودعها في المنافي حتى يصير ملائما وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي وأما القوة المحركة فكعروج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى عليه السلام الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار وأما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية تخالفة بماهيتها سائر النفوس أو كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم تجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية اتم من سائر النفوس وأكمل ولهذا بعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك أفضل من البشر أو من سكان السموات أيضا عند من يرى البشر أفضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على أن أول الاشياء اصطفى آدم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم وهم شيث وأولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه صلى الله عليه وسلم وبقي الدين والملك في أمته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فالمراد بآل ابراهيم أولاده عليهم الصلاة والسلام وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما وأما آل عمران فقيل أولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى عليه السلام بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله اياه لا لكونه شريكا لله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين ذرية بعضها من بعض قيل

عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول ان عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليه وسلم وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس فقال لبني اسرائيل اني لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وأضع عنكم من الآصار **حدثني** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى قال وكان حرم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الابل والثروب فاحلها لهم على لسان عيسى وحرمت عليهم الشحوم وأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفي أشياء من السمك وفي أشياء من الطير مما لا صيصة له وفي أشياء حرمها عليهم وشددها عليهم فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الانجيل فكان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى صلوات الله عليه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال لحوم الابل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم وبعث الى اليهود فاختلفوا وتفرقوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومصدقا لما بين يدي من التوراة أي لما سبقني منها ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي أخبركم أنه كان حراما عليكم فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال كان حرم عليهم أشياء فجاء عيسى ليحل لهم الذي حرم عليهم يبتغي بذلك شكرهم ۞ القول في تأويل قوله (وجئتكم بآية من ربكم) يعني بذلك وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم كما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم قال ما بين لهم عيسى من الاشياء لها وما أعطاه ربه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها ويعني بقوله من ربكم من عند ربكم ۞ القول في تأويل قوله (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) يعني بذلك وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقينا صدقي فيما أقول فاتقوا الله يا معشر بني اسرائيل فيما أمركم ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى فاوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه وأطيعون فيما دعوتكم اليه من تصديقي فيما أرسلني به اليكم ربي وربكم فاعبدوه فانه بذلك أرسلني اليكم وباحلال بعض ما كان محرما عليكم في كتابكم وذلك هو الطريق

أى فى التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم فى النفاق وقيل معناه ان غير آدم كانوا متوالدين من آدم وقيل يعنى ان الآخرين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال فى الكشاف ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن يهودا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وأفعالهم فيصطفى من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل أن يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تغريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون أول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم (١٧٨) باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل أن يتعلق بما بعده كما مر فى الوقوف

القويم والهدى المتين الذى لا اعوجاج فيه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم تبريا منه الذى يقولون فيه يعنى ما يقول فيه النصارى واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أى هذا الذى قد جئتكم عليه وجئتكم به واختلفت القراء فى قراءة قوله ان الله ربى وربكم فاعبدوه فقرأته عامة القراء بكسر ألف ان على ابتداء الخبر وقرأه بعضهم ان الله ربى وربكم بفتح ألف أن بتأويل وجئتكم بآية من ربكم ان الله ربى وربكم على ردان على الآية والابدال منها والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الامصار وذلك كسر ألف ان على الابتداء لاجماع الحجة من القراء على صحة ذلك وما اجتمعت عليه فحجة وما انفرد به المنفرد عنها فرأى ولا يعترض بالرأى على الحجة وهذه الآية وان كان ظاهرها خبرا ففيها الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران باخبار الله عز وجل عن ان عيسى كان بريا مما نسبه اليه من نسبه الى غير الذى وصف به نفسه من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الارض الا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوة والحجج التى أتاه دليلا على صدقه كما أتى سائر المرسلين غيره من الاعلام والدلالة على صدقهم والحجة على نبوتهم ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) يعنى بقوله جل ثناؤه فلما أحس عيسى منهم الكفر فلما وجد عيسى منهم الكفر والاحساس هو الوجود ومنه قول الله عز وجل هل تحس منهم من أحد فاما الحس بغير ألف فهو الافناء والقتل ومنه قوله اذ تحسونهم باذنه والحس أيضا العطف والرقة ومنه قول الكميت

هل من بكى الدار راح أن تحس له * أو يبكى الدار ما العبرة الحصل ٧

يعنى بقوله ان تحس له ان ترق له فتأويل الكلام فلما وجد عيسى من بنى اسرائيل الذين أرسله الله اليهم جحود النبوة وتكذيبا لقوله وصداعما دعاهم اليه من أمر الله قال من أنصارى الى الله يعنى بذلك قال عيسى من أعوانى على المكذبين بحجة الله والمولين عن دينه والجاحدين نبوة نبيه الى الله عز وجل ويعنى بقوله الى الله مع الله وانما حسن أن يقال الى الله بمعنى مع الله لان من شأن العرب اذا ضموا الشئ الى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر اذا ضم اليه جعلوا مكان مع الى احيانا وأحيانا يخبر عنهما بجمع فتقول الذود الى الذود ابل بمعنى اذا ضمت الذود الى الذود صارت ابلا فاما اذا كان الشئ مع الشئ لم يقولوه بالى ولم يجعلوا مكان مع الى غير جائز أن يقال قدم فلان اليه مال بمعنى ومعه مال وبمثل ما قلنا فى تاويل قوله من أنصارى الى الله قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله من أنصارى الى الله يقول مع الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

التأويل مالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتى الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النورى وتذل من تشاء بذل القبض القهرى بيدك الخير انك على كل شئ قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذى يقدر على اعطاء كل خير فاتنا وأعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير وتوج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية فى نهار أنوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحى بالحياة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحياة الحقيقية من النفس الحية بالحياة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتهما الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا أولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن ثنى يفعل ذلك من القلوب فليس من أنوار الله وألطافه فى شئ الا ان تخافوا من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير فى الرجوع وتهلك فى الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه أى من صفات قهره قل ان تخفوا ما فى صدوركم من معاداة الحق فى ضمن موالاة النفس ويعلم ما فى سموات قلوبكم وما فى ارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت أثر الخير والشر ظاهرا فى ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه أو يسود ولكنه فى غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لذغته حية كحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها مادام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه وأحس ثم أخبر عن طريق الوصول انه فى متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلاث درجات ولمحبة المحب ثلاث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلاث درجات أما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام

المؤمنين وهى متابعة أعماله صلى الله عليه وسلم والثانية درجات الخواص وهى متابعة أخلاقه والثالثة درجة أخص الخواص وهى متابعة أحواله وأما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهى مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعى الاعمال الذين يطمعون أجرا على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب وما أنا بالباغى على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجى عليه ثواب والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا لانه أهل لذلك كما قالت رابعة

*أحبك حبين حب الهوى *وحب لانك أهل لذا كا * ويضطر هذا المحب فى هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر سأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبدا عظام واجلال والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للاحوال وهى الناشئة من الجذبة الالهية فى مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت (١٧٩) ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف

ثنى حجاج عن ابن جريج من أنصارى الى الله يقول مع الله وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين فان بين أهل العلم فيه اختلافا فقال بعضهم كان سبب ذلك ما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لما بعث الله عيسى فامره بالدعوة نفثه بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحون فى الارض فنزل فى قرية على رجل فضافهم وأحسن اليهم وكان لذلك المدينة ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما وقد وقع عليهم وحزن فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم لها ما شأن زوجك أراه حزينا قالت لا تسالى قالت أخبرينى لعل الله يفرج كربته قالت فان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم من الخمر فان لم يفعل عاقبه وانه قد بلغت نوبته اليوم الذى يريد أن يصنع له فيه وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم فانى آمر ابنى فيدعوله فيكفى ذلك قالت مريم لعيسى فى ذلك قال عيسى يا أمه ائتى ان فعلت كان فى ذلك شر قالت فلا تبال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى قال فلما ملأهن أعلمه فدعا الله فتحول ما فى القدور لحما ومرقا وخبزا وما فى الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط واياه طعاما فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمرى أوتى بها من تلك الارض فليس هى مثل هذه قال هى من أرض أخرى فلما خلط على الملك اشتد عليه قال فانا أخبرك عندى غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وأنه دعا الله فجعل الماء خمرا قال الملك وكان له ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى فكلمه فسأله أن يدعو الله فيحيى ابنه فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال الملك لا أبالى أليس أراه فلا أبالى ما كان فقال عيسى عليه السلام فان أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب أينما شئنا قال الملك نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه وصحبهما يهودى وكان مع اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى شاركنى فقال اليهودى نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف ندم فلما ناما جعل اليهودى يريد أن يأكل الرغيف فلما أكل لقمة قال له عيسى ما تصنع فيقول لا شئ فيطرحها حتى فرغ من الرغيف كله فلما أصبحا قال له عيسى هلم طعامك فجاء برغيف فقال له عيسى أين الرغيف الآخر قال ما كان معى الا واحد فسكت عنه عيسى فانطلقوا فمروا براعى غنم فنادى عيسى يا صاحب الغنم اجزرشاة من غنمك قال نعم أرسل صاحبك يأخذها فارسل عيسى اليهودى فجاء بالشاة فذبحوها وشووها ثم قال لليهودى كل ولا تكسرن عظما فاكلا فلما شبعوا قذف عيسى العظام فى الجلد ثم ضربها بعصاه

وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية

غذينا بالمحبة يوم قالت
له الدنيا أتينا طائعينا

وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار تفنى الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقى ولا تذر وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه فى الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن فى ذاته واجب به فليس فى الكون الا الله وأفعاله قرأ القارئ بين يدى الشيخ أبى سعيد بن أبى الخير رحمه الله قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس فى الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فحسب ذلك اختلفت مراتبها مع انها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعونى بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة ويغفر لكم ذنوبكم التى صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من أهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعونى بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلى صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من أهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعونى ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويد فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات أحياء غير أموات ويكون فى هذا المقام المحب والمحبوب

والمحبة واحدا كما ان الرائى فى المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائى والمرئى والرؤية واحدا قل أطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبته لكم ان الله اصطفى آدم وذلك ان الله تعالى خلق العالمين سبعة أنواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع فى آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو تشريف ونفخت فيه من روحى فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفته ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم وان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص أولاد آدم نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقى بعضهم من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها أهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم (اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما (١٨٠) وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) القرآن منى انك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وأبو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة وانى أعيذها بفتح الياء أبو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون اليهودى خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد وقرأ أبو بكر وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فنادته بالياء والامالة على وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث فى المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن زكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلى الباقون بالتشديد لى آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير * الوقوف منى ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم ه أنثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء التأنيث الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم ه حسنا ص لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقد

وقال قومى باذن الله فقامت الشاة تثغو فقال يا صاحب الغنم خذ شاتك فقال له الراعى من أنت قال أنا عيسى ابن مريم قال انت الساحر وفرمنه قال عيسى لليهودى بالذى أحيا هذه الشاة بعد ما أكلناها كم كان معك رغيفا فحلف ما كان معه الا رغيف واحد فمر وا بصاحب بقر فنادى عيسى فقال يا صاحب البقر اجزنا من بقرك هذه عجلا قال ابعث صاحبك يأخذه قال انطلق يا يهودى فجئ به فانطلق فجاء به فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر فقال له عيسى كل ولا تكسرن عظما فلما فرغوا قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه وقال قم باذن الله فقام وله خوار قال خذ عجلك قال ومن أنت قال أنا عيسى قال أنت السحار ثم فر منه قال اليهودى يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه قال عيسى فبالذى أحيا الشاة بعد ما أكلناها والعجل بعد ما أكلناه كم كان معك رغيفا فحلف بالله ما كان معه الا رغيف واحد فانطلقا حتى نزلا قرية فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها وأخذ اليهودى عصا مثل عصا عيسى وقال أنا الآن أحيى الموتى وكان ملك تلك المدينة مريضا شديد المرض فانطلق اليهودى ينادى من يبتغى طبيبا حتى أتى ملك تلك القرية فاخبر بوجعه فقال ادخلونى عليه فانا أريه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك ليس من طبيب يداويه ولا يفى داؤه شيأ الا أمر به فصلب قال ادخلونى عليه فانى سأريه فادخل عليه فاخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فاخذ ليصلب فبلغ عيسى فاقبل اليه وقد رفع على الخشبة فقال أرأيتم ان أحييت لكم صاحبكم أتتركون لى صاحبى قالوا نعم فاحيا الله الملك لعيسى فقام وأنزل اليهودى فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا فقال عيسى فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لليهودى أنشدتك بالذى أحيا الشاة والعجل بعد ما أكلناهما وأحياهذا بعد ما مات وأنزل من الجذع بعد ما رفعت عليه لتصلبن كم كان معك رغيفا قال فحلف بهذا كله ما كان معه الا رغيف واحد قال لا بأس فانطلقا حتى مرا على كنز قد حفرته السباع والدواب فقال اليهودى يا عيسى لمن هذا المال قال عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى فانطلق مع عيسى ومر بالمال أربعة نفر فلما رأوه واجتمعوا عليه فقال اثنان لصاحبيهما انطلقا فابتاعا لنا طعاما وشرابا ودواب نحمل عليها هذا المال فانطلق الرجلان فابتاعا دواب وطعاما وشرابا وقال أحدهما لصاحبه هل لك أن نجعل لصاحبينا فى طعامهما سما فاذا أكلا ماتا فيكون المال بيني وبينك فقال الآخر نعم ففعلا وقال الآخران اذا ما اتيا بالطعام فليقم كل واحد الى صاحبه فيقتله فيكون الطعام والدواب بيني وبينك فلما جاآ بطعامهما قاما فقتلاهما ثم قعدا على الطعام فاكلا منه فماتا واعلم ذلك لعيسى فقال لليهودى اخرجه حتى نقتسمه فاخرجه فقسمه عيسى بين ثلاثة فقال

يعدى الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لالان وجد جواب كما مر زفاج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ربه ج لما قالنا في رزقا طيبة ج للابتداء وجواز لانك الدعاء ه في المحراب لاوان كسران لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين ه عاقر ط مايشاء ه آية ط رمزا ط والابكار ه * التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة أم مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بنت فاقوذ أخت يشاع التي كانت تحت زكريا بن أذن روى ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى أن كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم أم موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه (١٨١) من الرق وحررت الكتاب اذا أصلحته وخلصت من الغلط و رجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي وكان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان أبى المقام وأراد أن يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرر الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبيان الامر على الغرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان أجعل ما في بطني محررا فلما

اليهودي يا عيسى اتق الله ولا تظلمني فانما هو أنا وأنت ما هذه الثلاثة قال عيسى هذا لي وهذا لك وهذا الثالث لصاحب الرغيف قال اليهودي فان أخبرتك بصاحب الرغيف تعطيني هذا المال فقال عيسى نعم قال أنا هو قال عيسى خذ حظي وحظك وحظ صاحب الرغيف فهو حظك من الدنيا والآخرة فلما حمله مشى به شيأ فخسف به وانطلق عيسى بن مريم فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم فآمنوا به وانطلقوا معه فذلك قول الله عز وجل من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون **حدثنا** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله الآية قال استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم وقال آخرون كان سبب استنصار عيسى من استنصر لان من استنصر الحواريين عليه كانوا أرادوا قتله ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أحس عيسى منهم الكفر قال كفروا وأرادوا قتله فذلك حين استنصر قومه قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله والانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف والاشهاد جمع شهيد وأما الحواريون فان أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا حواريين فقال بعضهم سموا بذلك لبياض ثيابهم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال ما روى أبي قال ثنا قيس بن الربيع عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال انما سموا الحواريين ببياض ثيابهم وقال آخرون سموا بذلك لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن أبي أرطاة قال الحواريون الغسالون الذين يحورون الثياب يغسلونها وقال آخرون هم خاصة الانبياء وصفوتهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن روح بن القاسم ان قتادة ذكر رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان من الحواريين فقيل له من الحواريون قال الذين تصلح لهم الخلافة **حدثت** عن المنجاب قال ثنا الحسين قال ثنا بشر عن عمارة عن أبي روق عن الضحاك في قوله اذ قال الحواريون قال أصفياء الانبياء وأشبه الاقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال سموا بذلك لبياض ثيابهم ولانهم كانوا غسالين وذلك ان الحور عند العرب شدة البياض ولذلك سمي الحواري من الطعام حواريا لشدة بياضه ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين أحور وللمرأة حوراء وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب وأنهم كانوا قصارين فعرفوا بصحبة عيسى واختياره اياهم لنفسه أصحابا وأنصارا لجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصة للرجل

وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت أنثى في علم الله أو على تأويل النفس أو النسمة أو الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمي بالحمل ثم أدخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه أن يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير أنه يكون أنثى قالت رب اني وضعتها حال كونها أنثى ثم من قرأ والله أعلم بما وضعت على الحكاية فهو موع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها أنثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من أنها لا تقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت أن يظن بها انها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت والله أعلم بما وضعت وليس كالذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لا سيما في باب الاسرائة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا في شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل

أن تكون عارفة بالله واثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب انى وضعتها أنثى ولكنك أعرف واعلم بحال ما وضعت فاعل لك فيه سرا وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لى لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام فى الذكر وفى الانثى لمعهود حاضر ذهنى لكنها فى الذكر لحاضر ذهنى تقدير الدلالة ما فى بطنى عليه ضمنا وفى الانثى لحاضر ذهنى حقيقة لتقدم لفظة أنثى ومن قرأ بما وضعت بسكون التاء للتأنيث فالجملتان أعنى قوله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله أعلم بالشئ الذى وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهى جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها وانى سميتها مريم وذلك ان أباها قد مات عند وضعها فلهذا قوله الام تسميتها ومريم فى لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله أن يعصمها حتى يكون فعلها (١٨٢) مطابقا لاسمها ولهذا أردف ذلك بطلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها

من أصحابه وأنصاره حواريه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير يعنى خاصته وقد سمى العرب النساء اللواتى مساكنهن القرى والامصار حواريات وانما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ومن ذلك قول أبى خلدة اليشكرى

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا يبكنا الا الكلاب النوابح

ويعنى بقوله قال الحواريون قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبييضهم الثياب آمنا بالله صدقنا بالله واشهد أنت يا عيسى باننا مسلمون وهذا خبر من الله عز وجل أن الاسلام دينه الذى ابتعث به عيسى والانبياء قبله لا النصرانية ولا اليهودية وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها كما برأ ابراهيم من سائر الاديان غير الاسلام وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بانا مسلمون لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه يعنى وفد نصارى نجران ۞ القول فى تاويل قوله (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا ربنا آمنا أى صدقنا بما أنزلت يعنى بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك واتبعنا الرسول يعنى بذلك أمرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به وأعوانه على الحق الذى أرسلته به الى عبادك وقوله فاكتبنا مع الشاهدين يقول فاثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق وأقروا لك بالتوحيد وصدقوا رسلك واتبعوا أمرك ونهيك فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك واجعلنا محلهم ولا تجعلنا ممن كفر بك وصد عن سبيلك وخالف أمرك ونهيك يعرف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضى أفعالهم وأفعالهم ليحتذوا طريقهم ويتبعوا منهاجهم فيصلوا الى مثل الذى وصلوا اليه من درجات كرامته ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة فى دعواهم على أنبياء الله انهم كانوا على غيرها ويحتج به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأن قيل من رضى الله عنه من اتباع عيسى كان خلاف قبلهم ومنهاجهم غير منهاجهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أى هكذا كان قولهم وايمانهم ۞ القول فى تاويل قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومكر الذين كفروا من بنى اسرائيل وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر وكان مكرهم الذى وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضا على الفتك بعيسى وقتله وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد اخراج قومه اياه وأمه من بين أظهرهم عاد

الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التى خاطبت ونادت بقولها رب انى وضعتها وبحتمل أن يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى أنه كان باقيا فى بطن أمها فسير بها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى أنه لم يسمع غيره وأجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء فى قوله بقبول بمنزلة الباء فى قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفى التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال فى الكشاف معناه فتقبلها بذى قبول حسن أى بامر ذى قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى النذر أو بان تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلدو هو الاختصاص ويجوز أن يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك اليهم من قولهم استقبل الامر اذا أخذه باوله أى فاخذها من أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت فى اليوم مثل ما تنبت المولود فى عام وقيل المراد نماؤها فى الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة والوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات وفى كل مرة كان يرتفع قلم زكريا وترسب أقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها

من أول أمرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب الذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم فى الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهى غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو أشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء وذلك قوله عز من قائل كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم أن الامور الخارقة للعادة فى حق مريم كثيرة منها أنه (١٨٣) روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وانى أعيذها ومنها تكلمها فى الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم جاع فى زمن قحط فاهدت له صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع صلى الله عليه وسلم اليها وقال هلمى يا بنتى فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته صلى الله عليه وسلم حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وفى أمثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق فى الاول يدعى النبوة وفى الثانى يدعى الولاية والنبى صلى الله عليه وسلم يدعى المعجز ويقطع به والولى لا يمكنه أن يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما أن الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد فى غير العالم وأجابوا عن حديث أبى هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير اطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا من أغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من

اليهم فيما ثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان عيسى سار بهم يعنى بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك فآمنوا به واتبعوه اذ دعاهم حتى أتى بنى اسرائيل ليلا فصاح فيهم فذلك قوله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة الآية وأما مكر الله بهم فانه فيما ذكر السدى القاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ثم ان بنى اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين فى بيت فقال عيسى لاصحابه من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة فاخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء ذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فاخبروهم أن عيسى قد صعد به الى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه فذلك قول الله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه اياهم ليبلغ الكتاب أجله كما قد بينا ذلك فى قول الله الله يستهزئ بهم ❁ القول فى تاويل قوله (اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا) يعنى بذلك جل ثناؤه ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم اذ قال الله جل ثناؤه انى متوفيك فاذ صلة من قوله ومكر الله يعنى ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى انى متوفيك ورافعك الى فتوفاه ورفعه اليه ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الوفاة التى ذكرها الله عز وجل فى هذه الآية فقال بعضهم هى وفاة نوم وكان معنى الكلام على مذهبهم انى منيمك ورافعك فى نومك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله انى متوفيك قال معنى وفاة المنام رفعه الله فى منامه قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك انى قابضك من الارض فرافعك الى قالوا ومعنى الوفاة القبض كما يقال توفيت من فلان مالى عليه بمعنى قبضته واستوفيته قالوا فمعنى قوله انى متوفيك ورافعك أى قابضك من الارض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق فى قول الله انى متوفيك قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله انى متوفيك قال متوفيك من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا قال فرفعه

كان فى صفتهم من عباد الله المخلصين قال فى الكشاف وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلون به من نخسه قلت وعجيب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه فى وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات أن يحس به فى وقت آخر ويصرخ على ان أثر مس الشيطان ونخسه يظهر فى هيئات النفس وأحوالها وانها أمور لا يحس بها الا بعد المفارقة أو قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعى فهما استعدادا آخر غير العلوم الظاهرية قال الجبائى لم يجز أن تكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيأ بعينه فى وقت معين قال لها انى لك هذا قالت هو (١٨٤) من عند الله لا من عند غيره فعند ذلك يعلم ان الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل أن يكون زكريا شاهد عند مريم رزقا معتادا لانه كان يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من أن يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا لا نسلم انه ظهر لها شئ من الخوارق بل كانوا يرغبون فى الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيأ من ذلك خاف ان ذلك الرزق أتاها من حيث لا ينبغى وكان يسألها عن كيفية الحال قلت أمثال هذه الشبهات يوجبها الشك فى القرآن وفى الحديث أو العصبية المحضة على انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله فى طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وأيضا كيف قنع بمجرد اخبارها فى زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن أخبر الله تعالى بانه اصطفاها على نساء العالمين وقال لانه وجعلناها وابنها آية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه هنالك أى فى ذلك المكان الذى كانا فيه فى المحراب أو فى ذلك الوقت الذى شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضى أن يكون قد عرف فى ذلك الزمان أو المكان أمرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف فى الشتاء وبالعكس وان ذلك خارق للعادة فطمع هو أيضا فى أمر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضى أن يكون زكريا قبل ذلك شاكا فى قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب فى الطلب وأما المعتزلة فحين أنكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة فى حق مريم تمنى أن يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء

اياه اليه توفيه اياه وتطهيره من الذين كفروا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح أن كعب الاحبار قال ما كان الله عز وجل ليميت عيسى بن مريم انما بعثه الله داعيا ومبشرا يدعو اليه وحده فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكى ذلك الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انى متوفيك ورافعك الى وليس من رفعته عندى ميتا وانى سأبعثك على الاعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحى قال كعب الاحبار وذلك يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير يا عيسى انى متوفيك أى قابضك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى متوفيك ورافعك الى قال متوفيك قابضك قال ومتوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وقرأ قول الله عز وجل ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال رفعه الله اليه قبل أن يكون كهلا قال وينزل كهلا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قول الله عز وجل يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية كلها قال رفعه الله اليه فهو عند فى السماء وقال آخرون معنى ذلك انى متوفيك وفاه موت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انى متوفيك يقول انى ممتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفع اليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه الله وقال آخرون معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالى اياك الى الدنيا وقالوا هذا من المقدم الذى معناه التأخير والمؤخر الذى معناه التقديم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك انى قابضك من الارض ورافعك الى لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث فى الارض مدة ذكرها اختلفت الرواية فى مبلغها ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن مسلم الزهرى عن حنظلة بن على الاسلمى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليهبطن الله عيسى بن مريم حكما عدلا واماما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه وليسلكن الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليدين بهما جميعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم

النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال أن لا تكون الاجابة مصلحة فحينئذ تصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه وأقول ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن أصلح لم يبعثه الله عليه ويصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك ان حصول الولد في العرف والعادة له أسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال أريد منك يارب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وأنث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجيء على اللفظ وأخرى على المعنى وهذا في أسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه (١٨٥) لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد

لانه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه خليفتي على أمتي وأنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع في الارض الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيثبت في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه قال أبو جعفر ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لان الله عز وجل انما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم كما قال جل ثناؤه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ فتأويل الآية اذا قال الله لعيسى يا عيسى اني قابضك من الارض ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فجاحدوا نبوتك وهذا الخبر وان كان مخرجه مخرج خبر فان فيه من الله عز وجل احتجاجا على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران بان عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا وانهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ثم أخبرهم يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فانه يعني منظفك فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق وسائر الملل غيرها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومطهرك من الذين كفروا قال اذهموا منك بما هموا **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ومطهرك من الذين كفروا قال طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعني بذلك جل ثناؤه جاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الاسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك وخالف سبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به وصدوا عن الاقرار به فقهرهم فوقهم ظاهرين عليهم كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة هم أهل الاسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناواهم الى يوم القيامة **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر

الا اذا لك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير انك سميع الدعاء يعني سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم أكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة طاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف أعظم ثم ما روى ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة أي يركب من هذا الجنس ويأكل منه أو لان جبريل كان رئيس الملائكة ولما يبعث الا ومعه آخرون يبشرك بيحيى يحتمل أن زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل أن يكون المعنى يبشرك بولد سمه يحيى كما يجيء في سورة مريم انا

نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم أعجمي كموسى وعيسى ومن جوز أن يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال أبو عبيدة أي مؤمنا بكتاب الله وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت أم يحيى أم عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم أشعرت اني حبلى فقالت مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا بكلمة الله وهي كن من غير واسطة أب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء أو لكونه متكلما في أوان الطفولية أو لانه منشأ الحقائق والاسرار كالكلمة ولهذا سمي روحا

أيضا لانه سبب حياة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان أولانه وردت البشارة به فى كلمات الانبياء وكتبهم كما لو أخبرت عن حدوث أمر ثم اذا حدث قلت قد جاء قولى أو كلامى أى ما كنت أقول وأتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذى يفوق قومه فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم فى الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذى لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل أى محصورا عن النساء لضعف فى الآلة وزيف بانه من صفات النقص فلا يليق فى معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذى لا يأتى النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان أفضل فى تلك الشريعة فلولا ان الامر بالنكاح والحث عليه وارد فى شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم (١٨٦) الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما رجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد

نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال ناصر من اتبعك على الاسلام على الذين كفروا الى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة أما الذين اتبعوك فيقال هم المؤمنون وليس هم الروم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال المسلمون من فوقهم جعلهم أعلى ممن ترك الاسلام الى يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومطهرك من الذين كفروا قال الذين كفروا من بنى اسرائيل وجاعل الذين اتبعوك قال الذين آمنوا به من بنى اسرائيل وغيرهم فوق الذين كفروا النصارى فوق اليهود الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب هم فى البلدان كلها مستذلون ۞ القول فى تاويل قوله (ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم الى الله أيها المختلفون فى عيسى مرجعكم يعنى مصيركم يوم القيامة فاحكم بينكم يقول فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره وهذا من الكلام الذى صرف من الخبر عن الغائب الى المخاطبة وذلك ان قوله الى مرجعكم انما قصد به الخبر عن متبعى عيسى والكافرين به وتأويل الكلام وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجع الفريقين الذين اتبعوك والذين كفروا بك فاحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولكن رد الكلام الى الخطاب لسوق القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ۞ القول فى تأويل قوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) يعنى بقوله جل ثناؤه فأما الذين كفروا فأما الذين جحدوا نبوتك يا عيسى وخالفوا ملتك وكذبوا بما جئتهم به من الحق وقالوا فيك الباطل وأضافوك الى غير الذى ينبغى أن يضيفوك اليه من اليهود والنصارى وسائر أصناف الاديان فانى أعذبهم عذابا شديدا اما فى الدنيا فبالقتل والسبا والذلة والمسكنة وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبدا وما لهم من ناصرين يقول وما لهم من عذاب الله مانع ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة لانه العزيز ذو الانتقام وأما قوله وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه يعنى تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بك يا عيسى يقول صدقوك فاقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندى ودانوا بالاسلام الذى بعثتك به وعملوا بما

ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب أنى يكون فرضت لى غلام وقد بلغنى الكبر أدركتنى السنون العالية وأثر فى طول العمر وأضعفنى قال أهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا أمكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان أيضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغنى البلد فى موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتى عاقر هى من الصفات الخاصة بالنساء ويقال مرمل عاقر أى لا تنبت شيأ فان قيل لما كان زكريا هو الذى سأل الولد ثم أجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله أنى يكون من أين يحصل لى غلام فالجواب على ما فى الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع

البشارة فى زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة أو تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون وعن السدى ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا فى قدرة الله تعالى وانما أراد تعيين الجهة التى بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة أى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفانى والعجوز العاقر أو جملتان فيكون كذلك الله مبتدا وخبرا أى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له أى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه صلى الله عليه وسلم لفرط سروره ونقته بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لى آية علامة أعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من أول الامر فقال تعالى آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أى بلياليها ولهذا ذكر فى سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله ألا تكلم الناس قال المفسرون أى لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن أمور الدنيا وأقدره على الذكر والتسبيح ليكون فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ الواحد علامة على المقصود وأداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفى هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه صلى الله عليه وسلم عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت وأحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة أخرى وهى انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل أن يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل أن يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبته للواقعة حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسئل وزعم أبو مسلم ان المعنى آيتك أن تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة بيد أو رأس أو بالشفتين ونحوها وأصل التركيب للتحرك يقال ارتز اذا تحرك ومنه الرموز للبحر وهو استثناء من قوله ألا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز أن يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفى وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمز ا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرأ رمز ا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس

فرضت من فرائضى على لسانك وشرعت من شرائعى وسننت من سنتى كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وعملوا الصالحات يقول أدوا فرائضى فيوفيهم أجورهم يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيأ ولا ينقصونه وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعنى والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ فى غير موضعه فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك ان يظلم عباده فيجازى المسئ ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به أو يجازى المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فاطاعه جزاء المسيئين ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه فقال انى لا أحب الظالمين فكيف أظلم خلقى وهذا القول من الله تعالى ذكره وان كان خرج مخرج الخبر كأنه وعيد منه للكافرين به وبرسله ووعد منه للمؤمنين به وبرسله لانه أعلم الفريقين جميعا انه لا يبخس هذا المؤمن حقه ولا يظلم كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه فيكون لها بوضعها فى غير أهلها ظالما ۞ القول فى تاويل قوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك هذه الانباء التى أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم وأمها حنة وزكريا وابنه يحيى وما قص من أمر الحواريين واليهود من بنى اسرائيل نتلوها عليك يا محمد يقول نقرؤها عليك يا محمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم يوحيها الينا اليك من الآيات يقول من العبر والحجج على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بنى اسرائيل الذين كذبوك وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندى والذكر يعنى والقرآن الحكيم يعنى ذى الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل بينك وبين ناسبى المسيح الى غير نسبه كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذى لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا يقبلن خبرا غيره **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم قال القرآن **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله والذكر يقول القرآن الحكيم الذى قد كمل فى حكمته ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) يعنى جل ثناؤه ان شبه عيسى فى خلقى اياه من غير فحل فاخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندى كشبه آدم الذى خلقته من تراب ثم قلت له كن فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى يقول فليس خلقى عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلقى آدم من غير ذكر ولا أنثى فكان لما يقول وأمرى اذ أمرته أن يكون فكان فكذلك خلقى عيسى أمرته أن يكون فكان وذكر أهل التأويل ان الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران

دفعة بمعنى الامتزامرين كما يعلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد تسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه والعشو مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر بكر يبكر اذا خرج للامر من أول النهار ومنه الباكورة لاول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار * التأويل ان الله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها أسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا أخرج الله من الامرار عن اطعام طائر فرخه وماذا أظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى فتقبل مني راجع الى المحرر لا الى التحرير أي تقبلها مني ان تتكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها (١٨٨) ربها أي تقبلها ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول ذكر او قبولا أخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رأفته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث أراد أن يخرج عيسى منها بلا أب لئلا يدخل عليها غيره فتكون أبعد من التهمة وجد عندها رزقا أي من فتوحات الغيب الذي يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند أنفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب مالم يكن في حسابهم من الولد بلا أب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب كريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب خلقه والوسط الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثاني الذي هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله تعالى حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذي هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذي هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم يالله يصلي بسائر سره في الملكوت يحارب نفسه وهواه في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلي بالموت لا بموت القلب بالمعاصي ولا بموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهي قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا أي حرا من رق الكونين بل سيد الرقيق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من أهل الصف الاول رب أنى يكون لي غلام لم يكن استبعاده من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك ألا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان

الذين حاجوه في عيسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولا فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وذلك ان رهطا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال محمد أجل انه عبد الله قالوا له هل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم فقال قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى آخر الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ذكر لنا ان سيدي أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب اتيا نبي الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له فانزل الله عز وجل فيه هذه الآية ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد وماسرجس ومار يخر فسألوه ما يقول في عيسى فقال هو عبد الله وروحه وكلمته قالوا هم لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فاراناقدرته وأمره فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران وهما نصرانيان قال ابن جريج بلغنا ان نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيهم السيد والعاقب وهما يومئذ سيدا أهل نجران فقالوا يا محمد فيم تشتم صاحبنا قال من صاحبكما قالا عيسى بن مريم تزعم انه عبد قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فغضبوا وقالوا ان كنت صادقا فارنا عبدا يحيي الموتى ويبرئ الاكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الآية لكنه الله فسكت حتى أتاه جبريل فقال يا محمد لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل انهم سألوني ان أخبرهم بمثل عيسى قال جبريل مثل عيسى كمثل آدم

الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة فى تلك الحالة بشواهد الحق فى الغيب فلا تفرغ لاجراء عادتها فى الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوى الروح الحيوانى وتستمد منه القوة البشرية فيحيى الله تعالى به الشهوة الميتة فسمى ما تولد من الشهوة الميتة التى أحياها الله يحيى ولاستمرار هذه الحالة فى الايام الثلاثة أمر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبى الله (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة (١٨٩) والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى

خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلما أصحوا عاد وافقر أعليهم الآيات **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قال أتى نجرانيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك قال فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون أكان لآدم أب أو أم كما خلقت هذا فى بطن هذه فان قال قائل فكيف قال كمثل آدم خلقه وآدم معرفة والمعارف لا توصل قيل ان قوله خلقه من تراب غير صلة لآدم وانما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذى ضربه وكيف كان وأما قوله ثم قال له كن فيكون فانما قال فيكون وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم وذلك خبر عن خبر قد تقضى وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى فقال جل ثناؤه خلقه من تراب ثم قال له كن لانه بمعنى الاعلام من الله نبيه ان تكوينه الاشياء بقوله كن ثم قال فيكون خبرا مبتدا وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله كن فتأويل الكلام اذا ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن واعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فهو كائن فلما كان فى قوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن دلالة على ان الكلام يراد به اعلام نبى الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه انه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول له ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى وقيل فيكون فعطف بالمستقبل على الماضى على ذلك المعنى وقد قال بعض أهل العربية فيكون رفع على الابتداء ومعناه كن فكان فكأنه قال فاذا هو كائن ۞ القول فى تأويل قوله (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) يعنى بذلك جل ثناؤه الذى أنبأتك به من خبر عيسى وان مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه كن هو الحق من ربك يقول هو الخبر الذى هو من عند ربك فلا تكن من الممترين يعنى فلا تكن من الشاكين فى ان ذلك كذلك كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحق من ربك فلا تكن من الممترين يعنى فلا تكن فى شك من عيسى انه كمثل آدم عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يقول فلا تكن فى شك مما قصصنا عليك ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته منه وروح وان مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن

اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين) القراآت ويعلمه بياء الغيبة أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون انى أخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع انى أخلق بالفتح فيهما ابن كثير وأبو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة فى الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغنى ان خلفا يقول ان حمزة كان يسقط الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون الطير فتكون بتاء التأنيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا أبو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك فى المائدة الباقون طيرا أنصارى الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأ قتيبة وأبو عمرو وطريق أبى الزعراء بالامالة فيوفيهم

بياء الغيبة حفص ورويس وزادر ويس ضم الهاء الباقون بالنون * الوقوف العالمين ه الراكعين ه اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ه منه ج قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة في اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تانيثا حقيقيا ه فالوجه أن لا يوقف الى الصالحين لان وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين ه بشر ط يشاء ط فيكون ه والانجيل ج لان ورسولا يجوز أن يكون معطوفا على ومن الصالحين أو منصوبا بمحذوف أي ويجعله رسولا والوقف أجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ اني أخلق بالكسر باذن الله ج والثاني كذلك للتفصيل بين المعجزات في بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف واطيعون ه فاعبدوه ط مستقيم ه الى الله ط أنصار الله ج لان آمنا في نظم الاستئناف مع امكان الحال أي وقد آمنا بالله كذلك (١٩٠) لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ه الشاهدين ه ومكر الله ط الماكرين ه القيامة ج لان ثم لترتيب الاخبار والآخرة ز للابتداء بالنفي مع ان النفي تمام المقصود ناصرين ه أجورهم ط الظالمين ه الحكيم ه آدم ط لان الجملة لا يتصف بها المعرف فيكون ط الممترين ه * التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل في اذ ههنا هو ما في قوله اذ قالت امرأة عمران لكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجيء في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا واعلم أن مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فارسال جبريل اليها اما أن يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما أن يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبي من المعتزلة أو معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث في الروع والالهام كما

الزبير الحق من ربك بما جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترفيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تكن من الممترين قال والممترون الشاكون والمريبة الشك والريب واحد سواء كهيئة ما تقول اعطني وناولني وهلم فهذا مختلف في الكلام وهو واحد ۞ القول في تاويل قوله (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعني بقوله جل ثناؤه فمن حاجك فيه فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم والهاء في قوله فيه عائدة على ذكر عيسى وجائز أن تكون عائدة على الحق الذي قال تعالى ذكره الحق من ربك ويعني بقوله من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى انه عبد الله فقل تعالوا هلموا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل يقول ثم نلتعن يقال في الكلام ماله بهله الله أي لعنه الله وماله عليه بهلة الله يريد اللعن وقال لبيد وذكر قوما هلكوا فقال * نظر الدهر اليهم فابتهل * يعني دعا عليهم بالهلاك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي في عيسى انه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الى قوله على الكاذبين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم يقول من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين قال منا ومنكم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال وثنى ابن لهيعة عن سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليت بيني وبين أهل نجران حجابا فلا أراهم ولا يروني من شدة ما كانوا يمارون النبي صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تاويل قوله (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) يعني بذلك جل ثناؤه ان هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه وانه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها الى مريم وروح مني لهو القصص والنبأ الحق فاعلم ذلك واعلم انه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه اياهم الا معبودك الذي تعبده وهو الله العزيز الحكيم ويعني بقوله العزيز العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها غيره أو عبد رباسواه الحكيم في تدبيره لا يدخل مادبره وهن ولا يلحقه خلل فان تولوا يعني فان أدبر

هؤلاء

في حق أم موسى وأوحينا الى أم موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز ان يكون الاصطفا آن بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور في أول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها أنثى ومنها قال الحسن ما غذتها أمها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من أنواع اللطف والهداية والعصمة في حقها وأما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال في حق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة وأما الاصطفاء الثاني فهو ما اتفق لها في آخر عمرها من ولادة عيسى بغير أب وشهادته ببراءتها مما قذفها اليهود قيل المراد

اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين اربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا أوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى أمر بالعبادة على العموم واسجدى امر بالصلاة تسمية للشئ بمعظم أركانه كما فى قوله وأدبار السجود وفى الخبر اذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب ان السجود أشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول أمر بالصلاة مطلقا والثانى أمر بالصلاة فى الجماعة وانما عبر عن الصلاة ههنا بالركوع اما لتغيير العبارة وقد يسمى الشئ باحد أركانه واما تسمية للشئ بمعظم أركانه بناء على ما قيل الركوع أفضل من السجود لان الراكع حامل نفسه فى الركوع فالمشقة فيه أكثر وللتمييز عن صلاة اليهود وقيل واركعى مع الراكعين أمر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل أن يراد بقوله اقنتى الامر بالصلاة لان القنوت

أحد أجزائها وأن يراد بقوله واسجدى واركعى استعمال كل منهما فى وقته اللائق به والواو تفيد التشريك لا الترتيب أو المراد انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم لا فى عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال أفضل من الاقتداء بالنساء روى ان مريم بعد ذلك قامت فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن أقل فى خدمتك من احدى النساء ذلك الذى سبق من أنباء حنة وزكريا ويحيى ومريم من أخبار الغيب نوحيه اليك قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الوحى اليه بامر خفى من اشارة أو كتابة أو غيرها وبهذا التفسير يعد الالهام وحيا كقوله وأوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وقال فاوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه ألقى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبريل بحيث تخفى على غيره سماه وحيا وما كنت لديهم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وتركت نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة الممتنعة فى حقه صلى الله عليه وسلم فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحى ومثله فى القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربى وما كنت بجانب الطور اذ يلقون أقلامهم ينظرون أو ليعلموا أو يقولون أيهم يكفل مريم حذف متعلق الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الآية يدل على انهم كانوا يلقون الاقلام فى شئ على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض فى استحقاق ذلك المطلوب وليس فيها دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روى فى الخبر أنهم كانوا يلقونها فى الماء بشرط ان من جرى قلمه على خلاف جرى الماء فالبداله ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار أولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم

هؤلاء الذين حاجوك فى عيسى بما جاءك من الحق من عند ربك فى عيسى وفى غيره من سائر ما أتاك من الهدى والبيان فاعرضوا عنه ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين يقول فان الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ويعملون فى أرضه وبلاده بما ينهاهم عنه وذلك هو افسادهم يقول تعالى ذكره فهو عالم بهم وبأعمالهم يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق أى ان هذا الذى جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ان هذا لهو القصص ان هذا الذى قلنا فى عيسى لهو القصص الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا لهو القصص الحق قال ان هذا القصص الحق فى عيسى ما ينبغى لعيسى ان يتعدى هذا ولا يجاوز ان يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها الى مريم وروحا منه وعبد الله ورسوله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان هذا لهو القصص الحق ان هذا الذى قلنا فى عيسى هو الحق وما من اله الا الله الآية فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل وأمره ان هم تولوا عما دعاهم اليه من الاقرار بوحدانية الله وانه لا ولد له ولا صاحبة وان عيسى عبده ورسوله وأبوا الا الجدل والخصومة ان يدعوهم الى الملاعنة ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا الى المصالحة كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال فامر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم يعنى بملاعنة أهل نجران بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فتواعدوا ان يلاعنوه وواعدوه الغد فانطلقوا الى السيد والعاقب وكانا أعقلهم فتابعاهم فانطلقوا الى رجل منهم عاقل فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعتم وندمهم وقال لهم ان كان نبيا ثم دعا علينا لا يغضبه الله فينا أبدا ولئن كان ملكا فظهر علينا لا يستبقينكم أبدا قالوا فكيف لنا وقد واعدناه فقال لهم اذا غدوتم اليه فعرض عليكم الذى فارقتموه عليه فقولوا نعوذ بالله فان دعاكم أيضا فقولوا له نعوذ بالله ولعله ان يعفيكم من ذلك فلما غدوا غدا النبى صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشى خلفه فدعاهم الى الذى فارقوه عليه بالامس فقالوا نعوذ بالله ثم دعاهم فقالوا نعوذ بالله مرارا قال فان أبيتم فاسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل فان أبيتم فاعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل قالوا ما نملك الا أنفسنا قال فان أبيتم فانى أنبذ اليكم على سواء كما قال الله عز وجل قالوا ما لنا طاقة بحرب العرب ولكن نؤدى الجزية قال فجعل عليهم فى كل

ألقوا عصيهم فى الماء الجارى فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم وقال أبو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون سهاما يكتبون عليها أسماءهم فمن أخرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التى يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام أقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضى ووقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى أصل الاشتقاق الا أن العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذى يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه وما كنت لديهم اذ يختصمون يتنازعون على التكفيل قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحى ولا شبهة فى أنهم كانوا من الخواص وأهل الفضل فى الدين والرغبة فى طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل أن يكون ما كان قبل الاقتراع وأن يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة (١٩٢) رغبتهم فى التكفل بشأنها والقيام باصلاح مهامها الا ان عمران كان رئيسا لهم فاراد واقضاء حقوقه واما لاجل نفسها حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة واما لانهم وجدوا فى الكتب الالهية ان لها ولابنها شأنا القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته اذ قالت الملائكة يعنى جبريل كما مر ومتعلق اذ هو متعلق واذ قالت لان هذا بدل من ذلك ويجوز أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون قال فى الكشاف هذا على ان الاختصام والبشارة وقعا فى زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعنى وانما لقيته فى ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثانى بدل الكل من الاول ويجوز أن يتعلق بيختصمون ولا يحتاج الى زمان واسع بناء على ما روى عن الحسن انها كانت عاقلة فى حال الصغر وان كان ذلك من كراماتها فجاز أن ترد عليها البشرى فى حالة الصغر ولا يفتقر الى أن يؤخر الى حين العقل واعلم ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب أمر ممكن فى نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على ما سبيل التولد كتولد الفأر عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء ظنا قويا فضلا عن العلم ثم ان الصادق أخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده فى العقل بيانا ان التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون أسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافى للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشى على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالاصل فى بيان جواز المعجزات والكرامات فالمانع أن يقال انهم ما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك فى انعلاق الولد فى رحمها فان منى الرجل ليس الا لاجل العقد فاذا حصل الانعقاد فى المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد قوله بكلمة منه لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية أى بكلمة

سنة ألفى حلة ألفا فى رجب وألفا فى صفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد أتانى البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر والعصافير على الشجر لو تموا على الملاعنة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير قال نقلت للمغيرة ان الناس يروون فى حديث أهل نجران ان عليا كان معهم فقال أما الشعبى فلم يذكره فلا أدرى لسوء رأى بنى أمية فى على أو لم يكن فى الحديث **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمره بما أمره به من ملاعنتهم ان ردوا عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى قال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم حتى يرى كم رأيه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد عن أبى الجارود عن زيد بن على فى قوله تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية قال كان النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فاخذ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلى اتبعنا فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا انا نخاف أن يكون هذا هو النبى صلى الله عليه وسلم وليس دعوة النبى كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو خرجوا لاحترقوا فصالحوه على صلح على ان له عليهم ثمانين ألفا فما عجزت الدراهم ففى العروض الحلة بار بعين وعلى ان له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا وثلاثا وثلاثين بغيرا وأربعة وثلاثين فرسا غازية كل سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى نؤديها اليهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا وفد نجران من النصارى وهم الذين حاجوه فى عيسى فنكصوا عن ذلك وخافوا ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفس محمد بيده ان كان العذاب لقد تدلى على أهل نجران ولو فعلوا لاستوصلوا عن جديد الارض **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فمن حاجك فيه من بعد

حاصلة من الله وذلك ان عيسى لما خلق من غير واسطة أب صار تأثيره كلمة كن فى حقه أظهر وأكمل فكان كأنه نفس الكلمة كما ان من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب أيشوع أما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذى تعلوه حمرة فبعيد وأما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمى بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال أحمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض أى يقطعها وعلى هذا فيجوز أن يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والآثام وقيل لانه لم يكن فى قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز أن يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه بجناحيه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وأما المسيح الدجال فسمى بذلك لانه مسح احدى عينيه أو لانه يمسح الارض أى يقطعها فى المدة القليلة قالوا ومثله الدجال دجل فى الارض أى قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على انه لا أب له حتى ينسب اليه كما فى سائر الابناء فلا ينسب الا الى أمه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة فى اسمه لان المسمى بها مذكر وانما قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذى يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة وجيها ذا الجاه والشرف والقدر

ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم قال بلغنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم خرج لينادى أهل نجران فلما رأوه خرج هابوا وفرقوا فرجعوا قال معمر قال قتادة فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة اتبعينا فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون النبى صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا زكريا عن عدى قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لاعنونى ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحد الا أهلك الله الكاذبين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لاعنت القوم بمن كنت تأتى حين قلت أبناءنا وأبناءكم قال حسن وحسين **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو كريب الحنفى قال ثنا المنذر بن ثعلبة قال ثنا علباء بن أحمر اليشكرى قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم الآية قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على وفاطمة وابنيها الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود ويحكم أليس عهدكم بالامس من اخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فانتهوا ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لاهل الكتاب وهم أهل التوراة والانجيل تعالوا هلموا الى كلمة يعنى الى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل هى ان يوحد الله فلا يعبد غيره ويبرأ من كل معبود سواه فلا يشرك به شيئا وقوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا ولا يدين بعضنا البعض بالطاعة فيما أمر به من معاصى الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه فان تولوا يقول فان أعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة السواء التى أمرتك بدعائهم اليها فلم يجيبوك اليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بانا مسلمون واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى يهود بنى اسرائيل الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى الكلمة السواء وهم الذين حاجوا فى ابراهيم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى كلمة السواء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم

وقيل الكريم لان أشرف أعضاء الانسان هو الوجه فى الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب والآخرة بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة فى الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهى كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر فى الوقوف أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر أمه وقيل الآلة المعروفة لاضجاع الصبى وكيف كان فالمراد أنه يكلم الناس فى الحالة التى يحتاج الصبى فيها الى المهد وكهلا عطف على الظرف أى يكلم الناس فى الصغر وفى الكهولة والكهل فى اللغة الذى اجتمع قوته وكمل شبابه من قولهم اكتهل النبات أى قوى روى ان عمره بلغ ثلاثا وثلاثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان أكمل أحوال الانسان ما بين الثلاثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد أن يكون كهلا بعد نزوله من السماء وانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه فى المهد من المعجزات ولكن تكلمه فى حالة الكهولة ليس من

المعجزات فما الفائدة في ذكره فالجواب من وجوه قال أبو مسلم معناه أنه يتكلم حال كونه في المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه منقلبا في الاحوال من الصبا الى الكهولة فان التغير على الاله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي و بالنبوة قال الاصم المراد أنه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من أعجب الامور وأغربها ولاشك ان مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعي على نقلها فبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أول الناس بمعرفتها النصارى لانهم أفرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم أطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد أصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى في المهد انما

كان لله لاله على براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء وينقدر ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى ان نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وانما أرادت تعيين الجهة كما مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا أتم وهو تخليق المولود بغير أب ولهذا أكده بقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه

دعا يهود أهل المدينة الى ذلك فابوا عليه فجاهدهم قال دعاهم الى قول الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية * وقال آخرون بل نزلت في الوفد من نصارى نجران ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية الى قوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة يعني وفد نجران حدثنا موسى قال ثنا اسباط عن السدي قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الوفد من نصارى نجران فقال يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قال يعني جل ثناؤه ان هذا لهو القصص الحق في عيسى على ما قد بيناه فيما مضى قال فابوا يعني الوفد من نجران فقال ادعهم الى أيسر من هذا قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فقر أحتى بلغ أربابا من دون الله فابوا ان يقبلوا هذا ولا الآخر وانما قلنا عنى بقوله يا أهل الكتاب أهل الكتابين لانهما جميعا من أهل الكتاب ولم يخصص جل ثناؤه بقوله يا أهل الكتاب بعضا دون بعض فليس أن يكون موجها ذلك الى انه مقصود به أهل التوراة باولى منه بان يكون موجها الى انه مقصود به أهل الانجيل ولا أهل الانجيل باولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة واذ لم يكن أحد الفريقين بذلك باولى من الآخر لانه لادلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنيا به لان افراد العبادة لله وحده واخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور منهي من خلق الله وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الانجيل فكان معلوما بذلك انه عنى به الفريقان جميعا وأما تاويل قوله تعالوا فانه أقبلوا وهلموا وانما هو تفاعلوا من العلو فكان القائل لصاحبه تعال الى فانه تفاعل من العلو كما يقال تدان مني من الدنو وتقارب مني من القرب وقوله الى كلمة سواء فانها الكلمة العدل والسواء من نعت الكلمة وقد اختلف أهل العربية في وجه اتباع سواء في الاعراب الكلمة وهو اسم لا صفة فقال بعض نحوي البصرة جر سواء لانها من صفة الكلمة وهي العدل وأراد مستوية قال ولو أراد استواء كان النصب وان شاء أن يجعلها على الاستواء ويجز جاز ويجعل من صفة الكلمة مثل الخلق لان الخلق هو المخلوق والخلق قد يكون صفة واسما ويجعل الاستواء مثل المستوى قال عز وجل الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان السواء للآخر وهو اسم ليس بصفة فيجري على الاول وذلك اذا أراد به الاستواء فان أراد به مستويا جاز أن يجري على الاول والرفع في ذا المعنى جيد لانها لا تغير عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث فاشبهت الاسماء التي هي مثل عدل ورضى وجنب وما أشبه ذلك وقالوا أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فالسواء للمحيا والممات بهذا

بالياء عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه المبتدا

ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه أمور أربعة أولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به وثالثها التوراة لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الخمسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال ورسولا عطفا على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل أي الى كافهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول أي ناطقا بانى قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين يدي فمعطوف على قوله بآية أي مع آية

والتقدير جئتكم صاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدى وجئتكم لاجله وفى الكشاف تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأنى قد جئتكم وناطقا بأنى أصدق ما بين يدى وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا بأنى قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لانه عدد أنواعا من الآيات ثم أبدل عن الآية قوله انى أخلق فمن قرأ بفتح انى ويحتمل أن يكون ان مع ما بعده مرفوعا أى هى انى أخلق ومن قرأ انى أخلق فللاستئناف أو للبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا أحسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير من هيأت الشئ أصلحته فانفخ فيه أى فى ذلك الطير المصور أو الشئ المماثل كهيئة الطير فيكون طيرا وهو اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع وروى انه خلق أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذ وا يتفننون عليه وطالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله وبتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز أن يقال انه تعالى أودع فى نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ فى شئ كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشئ حيا وذلك انه تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح فى الاجساد أو يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذى خلق الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم فى المناظرة ربى الذى يحيى ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة لبطل ذلك الاستدلال وأبرئ الاكمه والابرص ذهب أكثر أهل اللغة الى أن الاكمه هو الذى ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمى بعد ان كان بصيرا رواه الخليل وعن مجاهد انه الذى لا يبصر بالليل وأما البرص فانه بياض يظهر فى ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذى يغذوه فتضعف القوة المغيرة من تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا فى جوهره نقيا من البلغ حارا وهو داء عسير البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والاخذ فى الازدياد والذى يرجى برؤه من البرص ما اذا دل على الجرب بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذى ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا أخذ جلده

المبتدا وان شئت أجريته على الاول وجعلته صفة مقدمة كأنها من سبب الاول فجرت عليه وذلك اذا جعلته فى معنى مستوى والرفع وجه الكلام كما فسرت لك وقال بعض نحوى الكوفة سواء مصدر وضع موضع الفعل يعنى موضع متساوية ومتساوة مرة يأتى على الفعل ومرة على المصدر وقد يقال فى سواء بمعنى عدل سوى سوى كما قال جل ثناؤه مكانا سوى وسوى يراد به عدل ونصف بيننا و بينك وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ ذلك الى كلمة عدل بيننا و بينك و بمثل الذى قلنا فى تاويل قوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم بان السواء هو العدل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم عدل بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ بمثله وقال آخرون هو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كلمة السواء لا اله الا الله وأما قوله ألا نعبد الا الله فان أن فى موضع خفض على معنى تعالوا الى أن لا نعبد الا الله وقد بينا معنى العبادة فى كلام العرب فيما مضى ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن اعادته وأما قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا فان اتخاذ بعضهم بعضا هو ما كان بطاعة الاتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصى الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يقول لا يطع بعضنا بعضا فى معصية الله ويقال ان تلك الربوبية أن تطيع الناس سادتهم وقادتهم فى غير عبادة وان لم يصلوا لهم وقال آخرون اتخاذ بعضهم بعضا أربابا سجود بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله قال سجود بعضهم لبعض وأما قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فانه يعنى فان تولى الذين تدعوهم الى الكلمة السواء عنها وكفروا فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم اشهدوا علينا بانا بما توليتم عنه من توحيد الله واخلاص العبودية له وأنه الاله الذى لا شريك له مسلمون يعنى خاضعون لله به متذللون له بالاقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا وقد بينا معنى الاسلام فيما مضى ودللنا عليه بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره بقوله يا أهل الكتاب يا أهل التوراة والانجيل لم تحاجون لم تجادلون فى ابراهيم وتخاصمون فيه يعنى فى ابراهيم خليل

بالابهام والسبابة وأشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه دم أو رطوبة مورده ولاشك ان ابراء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز يروى ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وأحيى الموتى أحيا عاذر او كان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله وبقى وولده قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات بياحى ياقيوم وكرر قوله باذن الله رفعالوهم من توهم فيه الالوهية وأنبئكم بما تاكلون وماتدخرون فى بيوتكم قيل انه كان من أول أمره يخبر بالغيوب روى السدى أنه كان يلعب مع الصبيان ثم كان عليه السلام يخبرهم بافعال آبائهم وأمهاتهم وكان عليه السلام يخبرهم بان أمك خبأت لك كذا فيرجع الصبى الى أهله ويبكى الى أن ياخذ ذلك الشئ فقالوا الصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر (١٦٦) وجمعوهم فى بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا فى البيت فقال عليه السلام

الرحمن صلوات الله عليه وكان حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين انه كان منهم وانه كان يدين دين أهل نحلته فعابهم الله عز وجل بادعائهم ذلك ودل على مناقضتهم ودعواهم فقال وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ودينكم اما يهودية أو نصرانية واليهودى منكم يزعم أن دينه اقامة التوراة والعمل بما فيها والنصرانى منكم يزعم أن دينه اقامة الانجيل وما فيه وهذان كتابان لم ينزلا الا بعد حين من مهلك ابراهيم ووفاته فكيف يكون منهم فما وجه اختصامكم فيه وادعاؤكم انه منكم والامر فيه على ما قد علمتم وقيل نزلت هذه الآية فى اختصام اليهود والنصارى فى ابراهيم وادعاء كل فريق منهم انه كان منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون قالت النصارى كان نصرانيا وقالت اليهود كان يهوديا فاخبرهم الله ان التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده وبعده كانت اليهودية والنصرانية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم يقول لم تحاجون وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الانجيل أفلا تعقلون وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى دعوى اليهود ابراهيم انه منهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى كلمة السواء وهم الذين حاجوا فى ابراهيم يهوديا فاكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى محمد بن عمير قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم قال اليهود برأهم الله عز وجل منه حين ادعى كل أمة أنه منهم والحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله أفلا تعقلون فانه يعنى أفلا تعقلون تفقهون خطأ قيلكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وقد علمتم ان اليهودية والنصرانية حدثت من بعده هلكه بحين ۞ القول فى تاويل قوله (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم

فمن فى هذا البيت فقالوا خناز بر فقال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خناز بر وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك أن القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من ادخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم أدغم واعلم أن الاخبار عما غاب معجزة دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحى مالم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسئلة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من أحوال الكواكب أو الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر أنه لما ذا أرسل فقال ومصدقا لما بين يدى من التوراة وذلك أنه يجب على كل نبى أن يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى نبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض فى بعثة عيسى عليه السلام تقرير أحكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا آخر فى بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما فى التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التأبيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق فى وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة فى التوراة فمجئ عيسى يكون تصديقا لما فى التوراة وعن وهب بن منبه أن عيسى ما غير شيأ من أحكام التوراة وانما وضع الاحدب كان يقرر السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين أحدهما أن الاحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها وأعاد الامر الى ما كان والثانى ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا

حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وهى قوله ان الله ربى وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل ويجوز أن يكون تكريرا لقوله انى قد جئتكم بآية من ربكم أى جئتكم بآية بعد أخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتى بغير أب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات وأطيعون فان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربى وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية ورد لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم

* القصة الخامسة ذكر عاقبة أمر عيسى ثم شرع فى بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات (١٩٧) فهم بماذا عاملوه فقال فلما أحس

لا تعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ها أنتم هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم وأتتكم به رسل الله من عنده ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته فلم تحاجون يقول فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم يعنى فى الذى لا علم لكم به من أمر ابراهيم ودينه ولم تجدوه فى كتب الله ولا أتتكم به أنبياؤه ولا شاهدتموه فتعلموه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أما الذى لهم به علم فما حرم عليهم وما أمر وابه وأما الذى ليس لهم به علم فشأن ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم يقول فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا والله يعلم وأنتم لا تعلمون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر ابراهيم وغيره من الامور وفيما تجادلون فيه لانه لا يغيب عنه شئ ولا يعزب عنه علم شئ فى السموات ولا فى الارض وأنتم لا تعلمون من ذلك الا ما عاينتم فشاهدتم أو أدركتم علمه بالاخبار والسماع ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وهذا تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا فى ابراهيم وملته من اليهود والنصارى وادعوا أنه كان على ملتهم وتنزيه لهم منه وأنهم لدينه مخالفون وقضاء منه عز وجل لاهل الاسلام ولامة محمد صلى الله عليه وسلم انهم هم أهل دينه وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والاديان غيرهم يقول الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين الذين يعبدون الاصنام والاوثان ان مخلوقا دون خالقه الذى هو اله الخلق وبارئهم ولكن كان حنيفا يعنى متبعا أمر الله وطاعته مستقيما على محجة الهدى التى أمر بلزومها مسلما يعنى خاشعا لله بقلبه متذللا له بجوارحه مذعنا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى معنى الحنيف فيما مضى ودللنا على القول الذى هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن اعادته وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين الواسطى قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال قالت اليهود ابراهيم على ديننا وقالت النصارى ابراهيم على ديننا فانزل الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية فاكذبهم الله وأدحض حجتهم يعنى اليهود الذين ادعوا ان ابراهيم مات يهوديا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن موسى بن

أى علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس أو انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدى لما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل جاءهم ودعاهم فمردوا وعصوا نفافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى فى قومه كامر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فاتفق أنه نزل على رجل فى قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان فى تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك أنه جعل على كل رجل منا يوما نطعمه ونسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتى والامر متعذر على فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدى ادع الله ليكفى ذلك فقال عليه السلام يا أمى انى ان فعلت ذلك كان فيه شر

فقالت قد أحسن وأكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم أعلمنى فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما فى القدور طبيخا وما فى الخوابى خمرا فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذه الخمر فوقف الرجل فى الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى أخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيى ولدى اجابه وكان ابنه قد مات فى تلك الايام فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما أبالى ما كان فدعا الله فعاش الغلام لكلام عيسى عليه السلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار أمر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين أنه هو المبشر به فى التوراة وأنه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من أول الامر طالبين قتله قال من أنصارى الى الله قيل انه لما دعا عليه السلام بنى اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه عليه السلام فرمنهم وأخذ يسيح فى الارض فربما تفقد من صيادى السمك منهم

شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال عيسى عليه السلام انكم تصيدون السمك فهل لكم أن تسيروا بحيث تصيدون الناس لحياة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فى الماء فما اصطاد شيأ فامره عيسى عليه السلام بالقاء شبكته فى الماء مرة أخرى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه فى آخر أمره للقتل وكان هو فى الهرب منهم قال لاولئك الاثنى عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة على أن يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فاجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى فى انجيلهم أن اليهود لما أخذوا عيسى سلط شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم أدنى عليه السلام أذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل أن المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه عليه السلام وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال فى موضع آخر

فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته اياه الى نصرة الله عز وجل اياى وقيل من أنصارى الى الله أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصارى مضمنا معنى الاضافة وقيل من أنصارى حال ذهابى الى الله أو حال التجائى اليه وقيل من أنصارى فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك أى تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى فى أى فى سبيل الله وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن أنصار الله أعوان دينه ورسوله وحوارى الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للعضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحوارى واحد ونظيره الحوالى للذين وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان نقى الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذى يغسل الثياب يسمى بلغة النبط حوارى فعرب واما أن الحواريين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان أمه دفعته الى صباغ فكان اذا أراد أن يعلمه شيأ كان هو أعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة فقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كونى باذن الله كما أريد فرجع الصباغ وسأله فاخبره بما فعل فقال قد أفسدت على الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون

عقبة عن سالم بن عبد الله لا أراه الا يحدثه عن أبيه ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينه وقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرنى عن دينكم فقال اليهودى انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيأ أبدا وانا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يك يهوديا ولا نصرانيا وكان لا يعبد الا الله فخرج من عنده فلقى عالما من النصارى فسأله عن دينه فقال انى لعلى أن أدين دينكم فاخبرنى عن دينكم قال انك ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال لا أحتمل من لعنة الله شيأ ولا من غضب الله شيأ أبدا وانا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا فقال له نحوا مما قاله اليهودى لا أعلمه الا أن تكون حنيفا فخرج من عندهم وقد رضى الذى أخبراه والذى اتفقا عليه من شأن ابراهيم فلما برز رافعا يديه الى الله وقال اللهم انى أشهدك انى على دين ابراهيم

القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) يعنى جل ثناؤه بقوله ان أولى الناس بابراهيم أن أحق الناس بابراهيم ونصرته وولايته للذين اتبعوه يعنى الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله مخلصين له الدين وسنوا سننه وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به وهذا النبى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعنى والذين صدقوا محمدا بما جاءهم به من عند الله والله ولى المؤمنين يقول والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له فى نبوته وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والاديان وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته وهذا النبى وهو نبى الله محمد والذين آمنوا معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبى الله واتبعوه كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بابراهيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردى والحسن بن أبى يحيى المقدسى قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان ولى منهم أبى وخليل ربى ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبد الله أراه قال عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس يقول الله سبحانه ان أولى الناس بابراهيم

منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثنى عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا اذا اشبعنا أطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من أنت قال عيسى بن مريم قال فانى أترك ملكى فاتبعك فتبعه ذلك الملك مع أقاربه فاولئك هم الحواريون قال القفال يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين فى محبته وطاعته آمنا بالله يجرى مجرى السبب لقولهم نحن أنصار

الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه وأشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا فى نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضى أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس أى مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه أيضا اكتبنا فى زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا

للذين اتبعوه وهم المؤمنون ۞ القول فى تاويل قوله (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) يعنى بقوله جل ثناؤه ودت تمنت طائفة يعنى جماعة من أهل الكتاب وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الانجيل من النصارى لو يضلونكم يقول لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الاسلام ويردونكم عنه الى ما هم عليه من الكفر فيهلكونكم بذلك والاضلال فى هذا الموضع الاهلاك من قول الله عز وجل وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد يعنى اذا هلكنا ومنه قول الاخطل فى هجاء جرير

كنت القذى فى موج أكدر مزبد * قذف الأتى به فضل ضلالا

يعنى هلك هلاكا وقول نابغة بنى ذبيان

فاب مضلوه بعين حلية * وعود بالحذلان حزم ونائل

يعنى مهلكوه وما يضلون الا أنفسهم وما يهلكون بما يفعلون من محاولتهم صدكم عن دينكم أحدا غير أنفسهم يعنى بانفسهم تباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم وانما أهلكوا أنفسهم وتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه واستحقاقهم به غضبه ولعنته لكفرهم بالله ونقضهم الميثاق الذى أخذ الله عليهم فى كتابهم فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه والاقرار بنبوته ثم أخبر جل ثناؤه عنهم انهم يفعلون ما يفعلون من محاولة صد المؤمنين عن الهدى الى الضلالة والردى على جهل منهم بما الله بهم محل من عقوبته ومدخرلهم من أليم عذابه فقال تعالى ذكره وما يشعرون أنهم لا يضلون الا أنفسهم بمحاولتهم اضلالكم أيها المؤمنون ومعنى قوله وما يشعرون وما يدرون ولا يعلمون وقد بينا تاويل ذلك بشواهده فى هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون يقول لم تجحدون بآيات الله يعنى مما فى كتاب الله الذى أنزله اليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته وأنتم تشهدون أنه حق من عند ربكم وانما هذا من الله عز وجل توبيخ لاهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وهم يجدونه فى كتبهم مع شهادتهم أن ما فى كتبهم حق وأنه من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم فى كتابكم ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد فى كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه عندكم فى التوراة والانجيل النبى الامى حدثنى

فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك فى قولك شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق فى شهود جلالك بحيث لا نبالى بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمناه من نصرة رسولك أو اكتب ذكرنا فى زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين ومكروا يعنى كفار بنى اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر ومكر الله المكر فى اللغة السعى بالفساد فى خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وأمكر اذا أظلم وقيل أصله من اجماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما ونوايا مصونا عن جهات النقص والفتور لاجرم سمى مكرا أما مكرهم بعيسى عليه السلام فهو انهم هموا بقتله وأما مكر الله بهم فهو ان رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه روى أن ملك اليهود أراد قتل عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فامره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروزنة

والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه وأشهد بانا مسلمون منقادون لما تريده منا فى نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه وهو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وأنه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضى أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس أى مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه أيضا اكتبنا فى زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا

وكان قد ألقى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله فأخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب وأخرى قالت كان ابن الله وأخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثنى عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام وذكر محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه قتل رجلا من بني اسرائيل ممن يحب أمزلك وكان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل ما فعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك طمارس وهو صار نصرانيا الا أنه ما أظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له طيطس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فرجع عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى عليه تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا في اخفاء أمره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل أعداءهم اليهود والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم أن المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال الشر فهو في حق الله تعالى محال فالالفاظ اذن من المتشابهات فيجب أن يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع في حق الله تعالى الا أنه قد اختص في العرف من التدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله أو مفعول اذكر يا عيسى اني متوفيك أي متمم عمرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار الآن بل أرفعك الى سمائي وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك أي مميتك كيلا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أرفعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلاث ساعات ثم رفع وأحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه وقال الربيع بن أنس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب أخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي أخذ الشيء وافيا أي آخذك بروحك وبجسدك جميعا فارفعك الى دفعا لوهم من يتوهم انه أخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان أي استوفيته وقيل أجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون آيات الله محمدا وأما تشهدون فيشهدون أنه الحق يجدونه مكتوبا عندهم **حدثنا** الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ان الدين عند الله الاسلام ليس لله دين غيره ۞ القول في تاويل قوله (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل التوراة والانجيل لم تلبسون يقول لم تخلطون الحق بالباطل وكان خلطهم الحق بالباطل اظهارهم بالسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا عن دينهم فانزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الى قوله والله واسع عليم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل يقول لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الاسلام ولا يجزي الا به **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله الا أنه قال الذي لا يقبل من أحد غير الاسلام ولم يقبل ولا يجزي الا به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الاسلام باليهودية والنصرانية وقال آخرون في ذلك بما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل لم تلبسون الحق بالباطل قال الحق التوراة التي أنزل الله على موسى والباطل الذي كتبوه بايديهم قال أبو جعفر وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ولم تكتمون يا أهل الكتاب الحق والحق الذي كتموه ما في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون كتموا شأن محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون يقول يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج تكتمون الحق الاسلام وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله وأن الدين الاسلام وأما قوله وأنتم تعلمون فانه يعني به وأنتم تعلمون أن الذي تكتمونه

وأثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشئ على مايشابهه فى أكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف أى منوّفى عملك ورافع طاعتك فكأنه بشره بقبول طاعته وأن ماوصل اليه من المتاعب فى تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع أجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل فى نسق الكلام تقديم وتأخير فان الوا ولا تقتضى الترتيب والمعنى انى رافعك الىّ ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ماورد فى الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك أما قوله ورافعك الى فالمشبهة تمسكوا بمثله فى اثبات المكان لله تعالى وأنه فى السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب جعل هذا الظاهر على التاويل بان المراد الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ومثله قول ابراهيم انى ذاهب الى ربى وانما ذهب من العراق الى الشام وقد سمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان فى الارض ملوكا كالمجازية قولان (٢٠١) سلم أنه تعالى يمكن أن يكون فى مكان فليس رفع عيسى عليه السلام الى ذلك المكان سببا لبشارته مالم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو أن يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق فى الآية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك من الذين كفروا أى من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيامة ولعمرى انه كذلك فلا ترى ملك يهودى فى الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على أنا نقول المراد بمتبعى المسيح هم

من الحق حق وأنه من عند الله وهذا القول من الله عز وجل خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به وكتمانهم ماقد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجدوه فى كتبهم وجاءتهم به أنبياؤهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) اختلف أهل التأويل فى صفة المعنى الذى أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الايمان وجه النهار وكفر آخره فقال بعضهم كان ذلك أمرا منهم اياهم بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى نبوته وماجاء به من عند الله وأنه حق فى الظاهر من غير تصديق فى ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك وبالكفر وجحود ذلك كله فى آخره ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره فقال بعضهم لبعض أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار واكفروا آخره فانه أجدر ان يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ماتكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم **حدثنى** المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد بن حيان عن أبى مالك فى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون معكم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون كان أحبار قرى عربية اثنى عشر حبرا فقالوا لبعضهم ادخلوا فى دين محمد أول النهار وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق فاذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا انا رجعنا الى علمائنا وأحبارنا فسألناهم فحدثونا أن محمدا كاذب وأنتم لستم على شئ وقد رجعنا الى ديننا فهو أعجب الينا من دينكم لعلهم يشكون يقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم فاخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن حصين عن أبى مالك الغفارى قال قالت اليهود بعضهم لبعض أسلموا أول النهار وارتدوا آخره لعلهم يرجعون فاطلع الله على سرهم فانزل الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وقال آخرون بل الذى أمرت به من الايمان الصلاة وحضورها معهم أول النهار وتترك ذلك آخره ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار يهود صلت مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار ومكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد ان كانوا اتبعوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت

(٢٦ - (ابن جرير) - ثالث) الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده فصدقوه فى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد أو المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه فى أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول أنه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فانى اذا رأيت ولدى ثم رأيته ثانيا فحينئذ أجوز أن هذا الذى رأيته ثانيا ليس ولدى بل هو انسان آخر ألقى شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم وينهاهم احتمل أن يكون محمد انسانا آخر ألقى شبهه عليه وأنه يفضى الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر فى الاخبار المتواترة على أن يكون المخبر الاول انما أخبر عن المحسوس وأنتم جوزتم وقوع الغلط فى المبصرات ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثانى أن جبريل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفى

لاهل الارض فكيف لم يكف فى منع أولئك اليهود وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء ففائدة القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين فى القتل من غير فائدة مع أن ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى وأنه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع أن النصارى على كثرتهم فى المشارق والمغارب وافراطهم فى محبة عيسى أخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن فى المتواتر يوجب الطعن فى نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر أن المصلوب بقى حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول أن كل من أثبت القادر (٢٠٢) المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك فى وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثانى والثالث أن ذلك يفضى الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافى التكليف والتلبيس المذكور قد أزاله تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع أنه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين فى ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ما روى أن الذى ألقى عليه الشبه كان من خواص أصحابه فلهذا صبر على أنا نقول قد ثبت بالمعجزات القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر عنه فهذه الاحتمالات تمتنع أن تصير معارضة للنص القاطع والله ولى الهداية قال ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين وبين الجاحدين وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بالقتل والسبى والذلة وأنواع المصائب والرزايا التى لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشئ فى غير موضعه التكذيب فى مقام التصديق والعمل السيئ مكان العمل الصالح وذلك أن المحبة عبارة عن ايصال الخير اليه وهو وان أراد كفر الكافر الا أنه لم يوصل الثواب اليه وقالت المعتزلة المحبة والارادة واحدة فالمعنى أنه لا يريد ظلم الظالمين ذلك الذى سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك والتلاوة والقصص كلاهما يؤول الى معنى واحد وهو ذكر الشئ بعضه على أثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بامره كتلاوته من الآيات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل أن يراد أنه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لانها خبار لا يعلمها الا قارئ كتاب أو من يوحى اليه وظاهر أنك لا تكتب ولا تقرأ فبقى أن يكون من الوحى ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذى ابن

طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار الآية وذلك أن طائفة من اليهود قالوا اذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا لعلهم ينقلبون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتأويل الكلام اذا وقالت طائفة من أهل الكتاب يعنى من اليهود الذين يقرؤن التوراة آمنوا صدقوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق وشرائعه وسننه وجه النهار يعنى أول النهار وسمى أوله وجها له لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه منه كما يقال لاول الثوب وجهه وكما قال ربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجه النهار أول النهار **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وجه النهار أول النهار واكفروا آخره يقول آخر النهار **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قال قال صلوا معهم الصبح ولا تصلوا معهم آخر النهار لعلكم تسترلونهم بذلك وأما قوله واكفروا آخره فانه يعنى به انهم قالوا اجحدوا ما صدقتم به من دينهم فى وجه النهار فى آخر النهار لعلهم يرجعون يعنى بذلك لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد عن قتادة لعلهم يرجعون يقول لعلهم يدعون دينهم ويرجعون الى الذى أنتم عليه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لعلهم يرجعون لعلهم ينقلبون عن دينهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لعلهم يرجعون لعلهم يشكون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لعلهم يرجعون قال يرجعون عن دينهم ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم فكان يهوديا وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لاخوانهم من اليهود آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واللام التى فى قوله لمن تبع دينكم نظيرة اللام التى فى قوله عسى أن يكون ردف لكم بمعنى ردفكم بعض الذى تستعجلون وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا قول بعضهم لبعض **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** محمد

ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه أو هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى أن الاحكام تستفاد منه أو بمعنى المحكم أحكمت آياته أى عن تطرق وجوه الخلل اليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الانبياء أخبر أنه تعالى أنزل هذه القصص مما كتب هناك قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم وما أقول قالوا تقول انه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فأرنا مثله فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم أى حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه أن كلا منهما وجد وجودا اخارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير أب وأم أغرب فشبه الغريب بالاغرب لان المشبه به ينبغى أن يكون أقوى حالا من المشبه فى وجوه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله

ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن تبع اليهودية **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن آمن بدينكم لا من خالفه فلا تؤمنوا به ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض به فى وسط الكلام خبر من الله عن ان البيان بيانه والهدى هداه قالوا وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الاول خبر عن قيل اليهود بعضها البعض فمعنى الكلام عندهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم أى ولا تؤمنوا ان يحاجكم أحد عند ربكم ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وان الهدى هدى الله ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حسدا من يهود أن تكون النبوة فى غيرهم وارادة أن يتبعوا على دينهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون تاويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان البيان بيان الله أن يؤتى أحد قالوا ومعناه لا يؤتى أحد من الامم مثل ما أوتيتم كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى لا تضلون وكقوله كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الاسلام والهدى ان يحاجوكم عند ربكم قالوا ومعنى أو الا أى الا أن يحاجوكم يعنى الا ان يجادلوكم عند ربكم فيما فعل بهم ربكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيتم يا محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فان الذى أعطيتكم أفضل فقولوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الآية فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه والهدى الثانى رد على الهدى الاول وان فى موضع رفع على انه خبر عن الهدى وقال آخرون بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله لليهود وقالوا تاويله قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم يقول مثل الذى أوتيتموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله ومثل نبيكم فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثل الذى أعطيتكم من فضلى فان الفضل بيدى أوتيه من أشاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم

خلقه من تراب أى قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الادمة وقال ابن عباس سمى آدم لانه خلق من أديم الارض كلها أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان فى ولده الاسود والاحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم أعجمى كآزر ووزنه فاعل لا أفعل والضمير عائد الى آدم الموجود كقولك هذا الكون أصله من الطين ثم قال له أى لذلك المقدر كن فيكون وهذا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر وانما لم يقل فكان اما لانه حكاية حال ماضية واما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله

فاضربها بلا دهش فخرت ... أو المراد اعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة وقيل معنى ثم تراخى الخبر عن الخبر لا تراخى المخبر عن المخبر كقول القائل أعطيت زيدا ألفا اليوم ثم أنا اعطيته أمس ألفين أى ثم أنا أخبركم انى اعطيته أمس ألفين فكذا قوله خلقه من تراب أى صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم أنه انما خلقه بان قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله فى الوجود قالت الحكماء انما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون أشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها ولما فيه من اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التى هى أضوأ الاجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذى هو أرق الاجرام وأعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من أمواج مياه البحار وأبقاها معلقة فى الفضاء وخلق آدم من التراب الذى هو أكثف الاجرام فآتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على أنه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا مزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقهم من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا تتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج

بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا انى خالق بشرا من طين ثم انه سل من ألطف أجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعل طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم سنه وغير رائحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون عن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى عليه السلام قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيى أربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق يعني الذي أنبأتك من شأن عيسى لا الذي اعتقد النصارى فيه أنه اله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار أو الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان فلا تكن من الممترين الشاكين قال ابن الانباري أصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكان الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي ترغيب له في زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة

وقد مر نظائره في سورة البقرة * التأويل الاصطفاء ثلاثة أنواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن جنس حين خلقه وأمجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله * لولاك لما خلقت الافلاك * وقال صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله يا موسى اني اصطفيتك على الناس ولمريم ان الله اصطفاك واصطفاك على نساء العالمين لنيل درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله يبشرك بكلمة كل صنف من أصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من أصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه قال فيه فهو أيضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربي بتربية أرباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم أعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدء أمره قد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة انه قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت أنا وجبنبئ حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وأنا أسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذرياته لم يرده الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى أذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى ألقاها الى مريم

يقول لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك قل ان الفضل بيد الله الآية **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقال آخرون بل تاويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله قالوا وهذا آخر القول الذي أمر الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقوله لليهود من هذه الآية قالوا وقوله أو يحاجوكم مردود على قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وتاويل الكلام على قول أهل هذه المقالة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتتركوا الحق أن يحاجوكم به عند بكم من اتبعتم دينه فاختتموه انه محق وانكم تجدون نعته في كتابكم فيكون حينئذ قوله أو يحاجوكم مردودا على جواب تهى مترولك على قول هؤلاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول هذا الامر الذي أنتم عليه ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند بكم قال قال بعضهم لبعض لا تخبروهم بما بين الله لكم في كتابه ليحاجوكم به عند بكم قل ان الهدى هدى الله معترض به وسائر الكلام متسق على ميثاق واحد فيكون تاويله حينئذ ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند بكم بمعنى أو أن يحاجكم عند بكم أحد بايمانكم لانكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار سوى قوله قل ان الهدى هدى الله ثم يكون الكلام مبتدا بتكذيبهم في قولهم قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التي وصفت لك قولها لتباعها من اليهود ان الهدى هدى الله ان التوفيق توفيق الله والبيان بيانه وان الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود وانما اخترنا ذلك من سائر الاقوال التي ذكرناها لانه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد الكلام ۞ القول في تاويل قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لاوليائهم ان الفضل بيد الله ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله واليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء من خلقه يعني يعطيه من أراد من عباده تكذيبا من الله عز وجل لهم في قولهم لتباعهم لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ليس ذلك اليكم انما هو الى الله الذي بيده الاشياء كلها واليه الفضل وبيده يعطيه من يشاء والله واسع عليم يعني والله ذو سعة بفضله على من يشاء ان يتفضل عليه عليم ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر

فكان قد بقي عليه اسم المسيح أي الممسوح وكهلا أي حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحية قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في أرضه قابل لجميع أنوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التي هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنعت عن قبول أنوار الصفات الى ان يخرجه مدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي صلى الله عليه وسلم آيات المعجزات وعلى الولي أمارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى ألقاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل أنوار الصفات في بدو أمره فكلم الناس في المهد ويكتب (٢٠٥) ويقرأ التوراة والانجيل من غير تعلم

قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج في قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال الاسلام ۞ القول في تاويل قوله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني بقوله يختص برحمته من يشاء يفتعل من قول القائل خصصت فلانا بكذا أخصه به وأمارحمته في هذا الموضع فالاسلام والقرآن مع النبوة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يختص برحمته من يشاء قال النبوة يخص بها من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يختص برحمته من يشاء قال يختص بالنبوة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج يختص برحمته من يشاء قال القرآن والاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثله والله ذو الفضل العظيم يقول ذو فضل يتفضل به على من أحب وشاء من خلقه ثم وصف فضله بالعظيم فقال فضله عظيم لانه غير مشبه في عظم موقعه ممن أفضله عليه افضال خلقه ولا يقارنه في جلالة خطره ولا يدانيه ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) وهذا خبر من الله عز وجل ان من أهل الكتاب وهم اليهود من بني اسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر في يمينه المستحل فان قال قائل وما وجه اخبار الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدي أمانته والخائنها قيل انما أراد جل وعز باخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم ان يأتمنوهم أموالهم وتخويفهم الاغترار بهم لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين فتأويل الكلام ومن أهل الكتاب الذي ان تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذي ان تامنه على دينار يخنك فيه فلا يؤده اليك الا ان تلح عليه بالتقاضي والمطالبة والباء في قوله بدينار وعلى متعاقبات في هذا الموضع كما يقال مررت به ومررت عليه واختلف أهل التأويل في تاويل قوله الا مادمت عليه قائما فقال بعضهم الا مادمت له متقاضيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا مادمت عليه قائما الا ما طلبته واتبعته حدثنا الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا مادمت عليه قائما قال تقتضيه اياه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا مادمت عليه قائما قال مطالبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون معنى ذلك الا مادمت عليه قائما على رأسه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال

ويحيي ويبرئ الى غير ذلك من الآيات فلما أحس عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى ان عيسى الروح لما أحس من النفس وصفاتها الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن أنصار الله آمنا بالله أي بوحدانيته والتبرئ عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما أنزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات ألطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا أي النفس وصفاتها والشياطين وأتباعها في هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلي صفات قهره في فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين في قهر النفس الامارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك عن

الصفات النفسانية والسمات الحيوانية ورافعك الى بجذبات العناية كما أسري بعبدي الى قاب قوسين أو أدنى ومن خواص الجذبة الربوبية تخود الصفات البشرية ثم الى مرجعكم بالاتلاف أو القهر بالاختيار على قدم السلوك أو بالاضطرار عند نزع الروح فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون أنفسهم بانقضاء العمر في طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة في تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه أجراها في تكوين آدم من تراب بلا أب وأم وخلق حواء منه بلا أم وخلق عيسى بن مريم بلا أب خرقا للعادة ودلالة على اختياره وربما بانف من قال بالايجاب في الايجاب فلا تكن من الممترين نهي تكوينية قاله في الازل فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز

الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أيها الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من
بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين
ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) * القراآت ها أنتم بالمد وغير الهمزة حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وروى
ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل ها أنتم على (٢٠٦) وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز * الوقوف الكاذبين ه القصص الحق ج ط الا الله ط
الحكيم ه المفسدين ه من
دون الله ط لتناهى جملة
وافية الى ابتداء شرط
مسلمون ه من بعده ط
تعقلون ه ليس لكم به علم
ط لا تعلمون ه مسلما ط
المشركين ه والذين آمنوا ط
المؤمنين ه لو يضلونكم ط
يشعرون ه تشهدون ه
تعلمون ه * التفسير روى انه
صلى الله عليه وسلم لما أورد
الدلائل على نصارى نجران
ثم انهم أصروا على جهلهم
قال صلى الله عليه وسلم ان
الله أمرنى ان لم تقبلوا الحجة
أن أباهلكم فقالوا يا أبا
القاسم بل نرجع فننظر
فى أمرنا ثم نأتيك فلما
رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا
رأيهم يا عبد المسيح ما ترى
قال والله لقد عرفتم يا معشر
النصارى ان محمدا نبى
مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من أمر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا قط
فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فان أبيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا قالوا

ثنا اسباط عن السدى قوله الا مادمت عليه قائما يقول يعترف بامانته مادمت قائما على رأسه فاذا قمت ثم
جئت تطلبه كافرك الذى يؤدى والذى يجحد وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك الا مادمت
عليه قائما بالمطالبة والاقتضاء من قولهم قام فلان بحق على فلان حتى استخرجه لى أى عمل فى تخليصه وسعى فى
استخراجه منه حتى استخرجه لان الله عز وجل انما وصفهم باستحلالهم أموال الاميين وان منهم من لا يقضى
ما عليه الا بالاقتضاء الشديد والمطالبة وليس القيام على رأس الذى عليه الدين بموجب له النقلة عما هو عليه
من استحلال ما هو له مستحل ولكن قد يكون مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق الى استخراجه السبيل
بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة فذلك الاقتضاء هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه ۞ القول فى
تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل) يعنى بذلك جل ثناؤه ان من استحل الخيانة من
اليهود وجحود حقوق العربى التى هى له عليه فلم يرد ما ائتمنه العربى عليه اليه الا مادام له متقاضيا مطالبا من
أجل انه يقول لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا اثم لانهم على غير الحق وانهم مشركون واختلف
أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل الآية قالت اليهود ليس علينا فيما
أصبنا من أموال العرب سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة
فى قوله ليس علينا فى الاميين سبيل قال ليس علينا فى المشركين سبيل يعنون من ليس من أهل الكتاب حدثنا
محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال يقال له
ما بالك لا تؤدى أمانتك فيقول ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا ابن حميد قال ثنا
يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير لما نزلت ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك
ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال
النبى صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله ما من شئ كان فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عبيد الله عن يعقوب القمى عن
جعفر عن سعيد بن جبير قال لما قالت اليهود ليس علينا فى الاميين سبيل يعنون أخذ أموالهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال الا وهو تحت قدمى هاتين الا الامانة فانها مؤداة ولم يزد على ذلك
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ذلك بانهم قالوا
ليس علينا فى الاميين سبيل وذلك ان أهل الكتب كانوا يقولون ليس علينا فى الاميين سبيل الى آخر الآية
وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك بانهم

والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروى عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج فى المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على عليه السلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى وقيل فى الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحى والتنزيل فقل تعالوا هلموا والمراد المجىء بالرأى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة وهو فى الاصل تعال علوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على أعالى الجبل فكانوا ينادون تعالى يا فلان أى ارتفع الا انه كثر حتى استعمل فى كل مجىء فصار بمنزلة هلم ندع (٢٠٧) أبناءنا وأبناءكم أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ويأتى هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضارهم أعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجىء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا أى لعنته ويقال بهله الله أى لعنه وأبعده من رحمته ومنه قولهم أبهله اذا أهمله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هى مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها وأخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلنى الله الى نفسى وفوضنى الى حولى وقوتى وخلانى من كلاءته وحفظه هذا أصل الابتهال ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد فى الآية لئلا يلزم التكرار أى ثم نجتهد فى الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله ان يلعنه وفى الآية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم وعد ان يدعو أبناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها فى ان عليا أفضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفسه على مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان فى الرى رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصى وكان متكلم الاثنى عشرية يزعم ان عليا أفضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك أنه ليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره وأجمعوا على ان ذلك الغير كان على بن أبى طالب فاذا نفس على هى نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا على عليه السلام قال ويؤكده ما رووه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يرى آدم فى علمه ونوحا فى طاعته وابراهيم فى خلته وموسى فى قربته وعيسى فى صفوته فلينظر الى على بن

قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل قال بايع اليهود رجال من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا لانكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فقال الله عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صعصعة قال قلت لابن عباس انا نفر أهل الكتاب فنصيب من ثمارهم قال وتقولون كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق الهمدانى عن صعصعة ان رجلا سأل ابن عباس فقال انا نصيب فى الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة فقال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب أنفسهم ۞ القول فى تاويل قوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ان القائلين منهم ليس علينا فى أموال المؤمنين من العرب حرج ان نختانهم اياه يقولون بقيلهم ان الله أحل لنا ذلك فلا حرج علينا فى خيانتهم اياه وترك قضائهم الكذب على الله عامدين الاثم بقيل الكذب على الله أنه أحل ذلك لهم وذلك قوله عز وجل وهم يعلمون كما **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى فيقول على الله الكذب وهو يعلم يعنى الذى يقول منهم اذا قيل له مالك لا تؤدى أمانتك ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعنى ادعاءهم انهم وجدوا فى كتابهم قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل ۞ القول فى تاويل قوله (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وهذا اخبار من الله عز وجل عمن أدى أمانته الى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته عنده فقال جل ثناؤه ليس الامر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود من انه ليس عليهم فى أموال الاميين حرج ولا اثم ثم قال بلى ولكن من أوفى بعهده واتقى يعنى ولكن الذى أوفى بعهده وذلك وصيته اياهم التى أوصاهم بها فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به والهاء فى قوله من أوفى بعهده عائدة على اسم الله فى قوله ويقولون على الله الكذب يقول بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به وبما جاءه به من الله من أداء الامانة الى من ائتمنه عليها وغير ذلك من أمر الله ونهيه واتقى يقول واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التى حرمها عليه فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه فان الله يحب المتقين يعنى فان الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به وقد روى عن ابن عباس انه كان يقول هو اتقاء الشرك

أبي طالب عليه السلام فدل الحديث على انه اجتمع فيه عليه السلام ما كان متفرقا فيهم وأجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبي وأجمعوا على ان عليا عليه السلام ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذا في حق سائر الانبياء وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها أيضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض أعزته وخويصته وأفلاذ كبده في معرض الابتهال ومظنة الاستئصال ولولا ان القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لما اجمعوا عن مباهلته وأما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة (٢٠٨) فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان قولوا بما وصفت من التوحيد وان اله الخلق يجب أن يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك منهم وفوض أمرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين في الدين وبنياتهم وأغراضهم الفاسدة فيجازيهم بأعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية أمره الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا أهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما وما روى ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا البعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن عن ابن عباس قوله بلى من أوفى بعهده واتقى يقول اتقى الشرك ان الله يحب المتقين يقول الذين يتقون الشرك وقد بينا اختلاف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول فيه بالادلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد اليهم ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله الى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والاقرار به وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التي التمنوا عليها ثمنا يعني عوضا وبدلا خسيسا من عرض الدنيا وحطامها أولئك لا خلاق لهم في الآخرة يقول فان الذين يفعلون ذلك لا حظ لهم في خيرات الآخرة ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعد الله لاهلها فيها دون غيرها وقد بينا خلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى الخلاق ودللنا على أولى أقوالهم في ذلك بالصواب بما فيه الكفاية وأما قوله ولا يكلمهم الله فانه يعني ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يقول ولا يعطف عليهم بخير مقتا من الله لهم كقول القائل لآخر انظر الي نظر الله اليك يعني تعطف علي تعطف الله عليك بخير ورحمة وكما يقال للرجل لا سمع الله لك دعاءك يراد لا استجاب الله لك والله لا يخفى عليه خافية وكما قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أني لا * يكون الله يسمع ما أقول

وقوله ولا يزكيهم يعني ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ولهم عذاب أليم يعني ولهم عذاب موجع واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ومن عنى بها فقال بعضهم نزلت في أحبار من أحبار اليهود ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن أخطب وقال آخرون بل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو السائب سالم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فقال الاشعث بن قيس في والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود ارض فجحدني فقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك بينة قلت لا فقال لليهودي احلف قلت يا رسول اذا يحلف فيذهب مالي فانزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية

والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه أو المراد الى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فمعنى أن لا نعبد خفض على البدل من كلمة أو رفع على الخبر أى هى أن لا نعبد وانما ذكر أمورا ثلاثة لان النصارى جمعوا بين الثلاثة فعبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به غيره لانهم أثبتوا أقانيم ثلاثة أبا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان أقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح وأقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلتين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث أثبتوا ثلاثة ذوات مستقلة فقد أشركوا نائم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا لانهم أطاعوهم فى التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم فى المعاصى وهوى النفس ورؤية الامور من الوسائط أفرأيت من اتخذ

حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جرير بن حازم عن عدى بن عدى عن رجاء بن حيوة والغرس انهما حدثاه عن أبيه عدى بن عمير قال كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومة فارتفعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للحضرمى بينتك والا فيمينه قال يا رسول الله ان حلف ذهب بارضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقى الله وهو عليه غضبان فقال امرؤ القيس يا رسول الله فما لمن تركها وهو يعلم انها حق قال الجنة قال فانى أشهدك انى قد تركتها قال جرير فكنت مع أيوب السختيانى حين سمعنا هذا الحديث من عدى فقال أيوب ان عديا قال فى حديث العرس بن عمير فنزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية قال جرير ولم احفظ ومثذ من عدى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال آخرون أن الاشعث بن قيس اختصم هو ورجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض كانت فى يده لذلك الرجل أخذها تعززه فى الجاهلية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقم بينتك قال الرجل ليس يشهد لى أحد على الاشعث قال فلك يمينه فقام الاشعث ليحلف فانزل الله عز وجل هذه الآية فنكل الاشعث وقال انى أشهد الله وأشهدكم ان خصمى صادق فرد اليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة مخافة ان يبقى فى يده شئ من حقه فهى لعقب ذلك الرجل بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية ثم ان الاشعث بن قيس خرج الينا فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن فحدثناه بما قال فقال صدق لفى أنزلت كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية * وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال أخبرنى داود بن أبى هند عن عامر ان رجلا أقام سلعته أول النهار فلما كان آخره جاء رجل يساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء ما باعها به فأنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية الى ولهم عذاب أليم أنزلهم الله بمنزلة السحرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عمران بن حصين كان يقول من حلف على يمين فاجرة يقتطع بها مال أخيه فليتبوأ مقعده من النار

الهه هواه ولان من مذهبهم ان الكامل فى الرياضة يظهر فيه أثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا انهم أثبتوا فى حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلاثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك أيضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب أن لا يرجع فى التحليل والتحريم والانقياد والائتمار الا اليه عن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك وعن

الفضيل لا أبالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة فان تولوا عن التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب لمغلوبه فى جدال أو صراع لزمتك الحجة فاعترف بانى أنا الغالب أو يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث أعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده فكيف يعقل أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يقال هذا أيضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما أنزل بعده بزمان أطول مما بينه وبين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن أخبر بان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس فى الكتابين انه كان يهوديا أو نصرانيا فظهر الفرق وأيضا المسيح ما كان موجودا فى زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هى النصرانية عندكم وأيضا النسخ فى دين اليهود والنسخ جائز فى ملة ابراهيم هاأنتم

هؤلاء هاحرف التنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاجتم جملة مستأنفة مبينة للاولى يعنى أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة انما أراد به انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له فى كتابكم وعن الاخفش هاأنتم أصله أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم كيف كان حال هذه الشرائع فى الموافقة والمخالفة وأنتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا أو عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة فى الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان (٢١٠) أردتم به الموافقة فى الفروع لزم أن لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول فى زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثانى ولا يلزم ماذكرتم لجواز انه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم فى زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التى كانت ثابتة فى زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع موافقة شرعه شرع ابراهيم فى معظم الفروع روى الواحدى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن أبى طالب وأصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند النجاشى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا وأمدوه الى النجاشى لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم وليندب لذلك رجلان من ذوى آرائكم يلوون فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبى معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون واصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل أحد منا عليهم ولا يخرج منهم أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك وقد جئناك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشى مرواهذا الصائح فليعد كلامه ففعل

فقال له قائل شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم لتجدون ذلك ثم قرأ هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية **حدثنى** موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا حسين بن على عن زائدة عن هشام قال قال محمد بن عمران بن حصين من حلف على يمين مصبورة فليتبوأ بوجهه مقعده من النار ثم قرأ هذه الآية كلها ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان عبد الله ابن مسعود كان يقول كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنب الذى لا يغفر يمين الصبر اذا فجر فيها صاحبها ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وان من أهل الكتاب وهم اليهود الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده من بنى اسرائيل والهاء والميم فى قوله منهم عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم فى قوله ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك وقوله لفريقا يعنى جماعة يلوون يعنى يحرفون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب يعنى لتظنوا ان الذى يحرفونه لكلامهم من كتاب الله وتنزيله يقول الله عز وجل وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله ويزعمون ان ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فالحقوه فى كتاب الله من عند الله يقول مما أنزله الله على أنبيائه وماهو من عند الله يقول وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فاحدثوه مما أنزله الله الى أحد من أنبيائه ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم افتراء على الله يقول عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعنى بذلك أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله والشهادة عليه بالباطل والالحاق بكتاب الله ما ليس منه ظلما للرياسة والخسيس من حطام الدنيا وبنحو ما قلنا فى معنى يلوون ألسنتهم بالكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال يحرفونه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب حتى بلغ وهم يعلمون هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منهم لفريقا

جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحيي بها من أتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف بستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فرهذين الرجلين فليتكلم أحدهما وليتصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار فان كنا (٢١١) عبيدا بقنا من أربابنا فاردنا اليهم فقال النجاشي أعبيدهم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما أهل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطابون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه أصدقني قال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة وأما الدين الذي نحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول في كتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيأ مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى ذكر مريم وعيسى رفع

يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم اياه عن موضعه وأصل اللي الفتل والقلب من قول القائل لوى فلان يد فلان اذا فتلها وقلبها ومنه قول الشاعر * لوى يده الله الذي هو غالبه * يقال منه لوى يده ولسانه يلوي ليا ومالوى ظهر فلان أحدا ذا لم يصرعه أحد ولم يفتل ظهره انسان ولا لوى بعيد المستمر اذا كان شديد الخصومة صابرا عليها لا يغلب فيها قال الشاعر

فلو كان في ليلى سدى من خصومة * لاويت أعناق الخصوم الملاويا

القول في تاويل قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) يعني بذلك جل ثناؤه وما ينبغي لاحد من البشر والبشر جمع بني آدم لا واحد له من لفظه مثل القوم والخلق وقد يكون اسما لواحد أن يؤتيه الله الكتاب يقول أن ينزل الله عليه كتابه والحكم يعني ويعلمه فصل الحكمة والنبوة يقول ويعطيه النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله يعني ثم يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد أتاه الله ما أتاه من الكتاب والحكم والنبوة ولكن اذا أتاه الله ذلك فانما يدعوهم الى العلم بالله ويحذرهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا رؤسا في المعرفة بامر الله ونهيه وأئمة في طاعته وعبادته بكونكم معلمي الناس الكتاب وبكونكم دارسيه وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أتدعونا الى عبادتك كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أترى يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نامر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني أو كما قال فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الآية الى قوله بعد اذ أنتم مسلمون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي فذكر نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله يقول ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يامر عباده أن يتخذوه ربا من

النجاشي تغشمن سواكه قدر ما يقذى العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم أو أذاكم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الى رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار وأنزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والتأييد والتوفيق والتسديد

ومعنى أولى الناس أخصهم به وأقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وأن وليي منهم أبي وخليل رب ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس الآية ثم بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما أرادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه في سورة البقرة وما يضلون الا أنفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال أو وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح أفعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل أي بالتوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو ان ابراهيم كان حنيفا مسلما أو ان

الحسين

الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما يدلان عليه فيكون قد أطلق اسم الدليل على المدلول أو الكفر بنفس التوراة والانجيل لانهم كانوا يحرفونهما وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وأنتم تشهدون أنهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم أنهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون انكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية أردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق

دون الله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله في كتابه ۞ القول في تأويل قوله (ولكن كونوا ربانيين) يعني جل ثناؤه بذلك ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه وأما قوله كونوا ربانيين فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كونوا حكماء علماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمر وعن منصور عن أبي رزين مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي رزين ولكن كونوا ربانيين حكماء علماء **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كونوا ربانيين قال فقهاء **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم عن مجاهد قوله ولكن كونوا ربانيين قال فقهاء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر عن أبي رزين في قوله كونوا ربانيين قال علماء حكماء قال معمر قال قتادة **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله كونوا ربانيين أما الربانيون فالحكماء الفقهاء **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الربانيون الفقهاء العلماء وهم فوق الاحبار **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن كونوا ربانيين يقول كونوا حكماء فقهاء **حدثت** عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي حمزة الثمالي عن يحيى بن عقيل الربانيون والاحبار قال الفقهاء العلماء **حدثت** عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس مثله **حدثني** ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كونوا ربانيين قال كونوا حكماء فقهاء **حدثت** عن

عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس أظهروا الاسلام أول النهار وجحدوا عنه فى آخره تشكيكا للناس قيل ان فى الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه فى القرآن فلبسوا على الضعفاء أحد الامرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضى وقيل كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بأن شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على أنه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات وأما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة فى التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون فى اخفاء تلك الالفاظ التى بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة فى زماننا وأنتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا أو تعلمون انكم أهل المعرفة أو تعلمون حقيتها أو أن عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبى (وقالت طائفة من أهل الكتاب (٢١٣) آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار

الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كونوا ربانيين يقول كونوا فقهاء علماء وقال آخرون بل هم الحكماء الاتقياء ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قوله كونوا ربانيين قال حكماء أتقياء وقال آخرون بل هم ولاة الناس وقادتهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله كونوا ربانيين قال الربانيون الذين يربون الناس ولاة هذا الامر يربونهم يلونهم وقرأ ولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الربانيون الولاة والاحبار العلماء قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندى بالصواب فى الربانيين أنهم جمع ربانى وان الربانى المنسوب الى الربان الذى يرب الناس وهو الذى يصلح أمورهم ويربهم ويقوم بها ومنه قول علقمة بن عبدة

وكنت امرأ أفضت اليك ربابتى * وقبلك ربنى فضعت ربوب

يعنى بقوله ربنى ولى أمرى والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحوه ولكنهم أضاعونى فضعت يقال منه رب أمرى فلان فهو يربه ربا وهو رابه فاذا أريد به المبالغة فى مدحه قيل هو ربان كما يقال هو نعسان من قولهم نغش ينعس وأكثر ما يجىء من الاسماء على فعلان ما كان من الافعال ماضيه على فعل مثل قولهم سكران وعطشان وريان من سكر يسكر وعطش يعطش وروى يروى وقد يجىء مما كان ماضيه على فعل يفعل نحو ما قلنا من نفس ينفس ورب يرب فاذا كان الامر فى ذلك على ما وصفنا وكان الربان ما ذكرنا والربانى هو المنسوب الى من كان بالصفة التى وصفت وكان العالم بالفقه والحكمة من الصالحين يرب أمور الناس بتعليمهم اياهم الخير ودعائهم الى ما فيه مصلحتهم وكان كذلك الحكيم التقى لله والوالى الذى يلى أمور الناس على المنهاج الذى وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم وعائدة النفع عليهم فى دينهم ودنياهم كانوا جميعا مستحقين انهم ممن دخل فى قوله عز وجل ولكن كونوا ربانيين قال فالربانيون اذا هم عماد الناس فى الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ولذلك قال مجاهد وهم فوق الاحبار لان الاحبار هم العلماء والربانى الجامع الى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم فى دنياهم ودينهم ۞ القول فى تأويل قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين بما كنتم تعلمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعنى تعلمكم الكتاب ودراستكم اياه وقراءتكم واعتلوا للاختيار هم قراءة ذلك كذلك بان الصواب لو كان بتشديد اللام وضم التاء لكان الصواب

واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) القراآت أن يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤدهى ولا يؤدهى ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلى وخلف وحفص والمفضل وعباس ومهل وزيد عن يعقوب وقرأه أبو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو فى رواية الزيدى طريق أبى أيوب الهاشمى بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلى وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلى والاعشى والبرجمى وأبو زيد غير المفضل وقرأ أبو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب * الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله

لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرأ ان يؤتى مستفهما وقف عليها عندربكم ط بيدالله ج ط لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ه ط ج لاحتمال الاستئناف والصفة من يشاء ط العظيم ه اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستئناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ه للمتقين ه يزكيهم ص اليم ه وماهو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وماهو من عندالله ج يعلمون ه تدرسون ه لان قرأ ويأمركم بالنصب عطفا على أن يؤتيه أربابا ط مسلمون ه *التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذى انزل يحتمل أن يراد كل ما أنزل الله عليهم ويحتمل أن يراد بعض ما أنزل أما الاحتمال الاول فقول الحسن واسدى تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم (٢١٤) ادخلوا فى دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار أى أوله والوجه فى اللغة مستقبل كل شئ ومنه وجه الثوب لاول ما يبدو منه روى تغلب عن ابن الاعرابى أتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وأنشد الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك *

فلتأت نسوتنا بوجه نهار يجدالنساء حواسرا يندبنه *

وقرن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم أن لا يظهروا الجزع على المقتول الى أن يدركوا الثار فعنى البيت من كان مسرورا فليأت نسوتنا حواسر يندبنه وجه نهار ولتشف الغيظ ودرك الثار قبل أن يمضى على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك فان أصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به فى أول الامر وانما ذلك لاجل انهم أهل كتاب وقد تفكروا فى أمره صلى الله عليه وسلم وفى دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافى أنه كذاب فيكون فى هذا الطريق تشكيك لى لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال أبو مسلم معنى وجه النهار وآخره ان رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا وأظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من أهل الكتاب فان أمر هؤلاء فى اضطراب فرجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فتكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه فى جميع ما جاء به عسلم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه فى بعض وكذبوه فى بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم و يرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه وأما الاحتمال الثانى فقول من قال انها نزلت فى شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله وهو صلاة الصبح

فى تدرسون بضم التاء وتشديد الراء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بما كنتم تعلمون الكتاب بضم التاء من تعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم اياه واعتلوا لاختيارهم ذلك بان من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم اذ لا يعلمون الا بعد تعلمهم بما يعلمون قالوا ولا موصوف بانه يعلم الا وهو موصوف بانه عالم قالوا فاما الموصوف بانه عالم فغير موصوف بانه معلم غيره قالوا فاولى القراءتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم وذلك وصفهم بانهم كانوا يعلمون الناس الكتاب كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى ابن آدم عن ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد أنه قرأ بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون مخففة بنصب التاء وقال ابن عيينة ما علموه حتى علموه وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام لان الله عز وجل وصف القوم بانهم أهل عماد للناس فى دينهم ودنياهم وأهل اصلاح لهم ولامورهم وتربية يقول جل ثناؤه ولكن كونوا بانيين على ما بينا قبل من معنى الربانى ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل اصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم اياهم كتاب ربهم ودراستهم اياه وتلاوته وقد قيل دراستهم الفقه وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب لانه عطف على قوله تعلمون الكتاب والكتاب هو القرآن فتكون الدراسة معنيا بها دراسة القرآن أولى من أن يكون معنيا بها دراسة الفقه الذى لم يجر له ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال يحيى بن آدم قال أبو زكريا كان عاصم يقرؤها بما كنتم تعلمون الكتاب قال القرآن و بما كنتم تدرسون قال الفقه ٧ يعنى الآية ولكن يقول لهم تعالى ذكره كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم فى أمر دينهم ودنياهم ربانيين بتعليمكم اياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معانى أمور دينهم و بتلاوتكم اياه ودراستكموه ۞ القول فى تاويل قوله عز وجل (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) اختلفت القراء فى قراءة قوله ولا يأمركم فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة ولا يأمركم على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا واستشهد قارئ ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود انه كان يقرؤها وهو ولن يأمركم فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله وابتداء خبر مستأنف قالوا فلما صير مكان لن فى قراءتنا لا وجبت قراءته بالرفع وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ولا يأمركم بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول للناس وكان تاويله عندهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس ولا أن يأمركم بمعنى ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ولا يأمركم بالنصب على الاتصال بالذى قبله بتأول ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا

وآخره صلاة الظهر وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلاة الظهر قال كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلاة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها من أول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذرانه نبيه مكرهؤلاء وأطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة في قلوب ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على أمثالها من الحيل ويصير ذلك واعظا لهم وفيه أيضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على أنه من بقية حكاية كلام أهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله (٢١٥) الا أنهم اختلفوا في ان قوله أن يؤتى أحد مثل

لي من دون الله وان يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا لان الآية نزلت في سبب القوم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك فاخبرهم الله جل ثناؤه انه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الناس الى عبادة نفسه ولا الى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ولكن الذي له أن يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين فاما الذي ادعى من قرأ ذلك رفعا انه في قراءة عبد الله وان يأمركم استشهاد الصحة قراءته بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده وانما هو خبر رواه حجاج عن هرون لا يجوز ان ذلك في قراءة عبد الله كذلك ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنده لم يكن فيه لمحتج حجة لان ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل نحل قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو فتأويل الآية اذا وما كان للنبي أن يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله كما ليس له أن يقول لهم كونوا عبادا لي من دون الله ثم قال جل ثناؤه نافيا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بذلك أيأمركم بالكفر أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد اذ انتم مسلمون يعني بعد اذ أنتم له منقادون بالطاعة متذللون له بالعبودية أي ان ذلك غير كائن منه أبدا وقد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ولا يأمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني بذلك جل ثناؤه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين وميثاقهم ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية لما آتيتكم من كتاب وحكمة اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لما آتيتكم بفتح اللام من لما الا أنهم اختلفوا في قراءة آتيتكم فقرأه بعضهم آتيتكم على التوحيد وقرأه آخرون آتيناكم على الجمع ثم اختلفت أهل العربية اذا قرئ ذلك كذلك فقال بعض نحوي البصرة اللام التي مع ما في أول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل لزيد أفضل منك لان لما اسم والذي بعدها صلة لها واللام التي في لتؤمنن به ولتنصرنه لام القسم كأنه قال والله لتؤمنن به ولتنصرنه وهي مؤكدة في أول الكلام وفي آخره كما يقال أما والله أن لو جئتني لكان كذا وكذا وقد يستغنى عنها فيؤكد في لتؤمنن به باللام في آخر الكلام وقد يستغنى عنها ويجعل خبر ما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به مثل لعبد الله والله لا يأتينه قال وان شئت جعلت خبر ما من كتاب يريد لما آتيتكم من كتاب وحكمة وتكون من زائدة وخطأ بعض نحوي الكوفيين ذلك كله وقال اللام التي تدخل في أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا لا فلا يقال لمن قام لا تتبعه ولا لمن قام ما أحسن فاذا وقع في جوابها

ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله أو من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقديرو اضمار فلهذا عدت الآية من المواضع المشكلة أما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى ابن عمر والمعنى ألأن أي أمن أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب وعد ذنوبه عليه وقد أحسن اليه أمن اهانتي لك والمعنى أمن هذا فعلت

ما فعلت أم من ذاك ونظيره قوله امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الا النبيا يقرر شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شئ من أحكام التوراة فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه أن يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل أن يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلم منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لاشئ آخر يعني ان ما بكم من الحسد

والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلت ماقلت ثم قال أو يحاجوكم يعنى دبرتم مادبرتم لان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل بالايتاء عندكفركم به من محاجتهم لكم عند ربهم لان ما أوتوا مثل ما أوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم وأما ان لم تقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق أو يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ويكون أو بمعنى حتى ويتم الكلام بمحذوف أى حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضى لهم عليكم ويدحض حجتكم أو يقال أن يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى هدى الله كان له أن يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح أن يقال لا تنكروا أن يؤتى أحد سواكم من الهدى ما أوتيتموه أو يحاجوكم يعنى هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم أو يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان (٢١٦) مثل أن تضلوا أى لا تضلوا والتقدير قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لامتك ان بيان الله هو أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهو دين الاسلام الذى هو أفضل الاديان وأن لا يحاجوكم يعنى هؤلاء اليهود عند ربكم فى الآخرة لانه يظهر لهم فى الآخرة انكم محقون وأنهم ضالون وأما الاحتمال الثانى وهو أن يكون قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان هدى الله هو الهدى جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من أن على القياس قال فى الكشاف أراد أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله أو يحاجوكم عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم خطا عند الله بالحجة قال ومعنى اعتراض ان الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وذبنكم أى سركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول أو هو اعتراض آخر يجىء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها فان قيل ان جد القوم فى حفظ اتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم من جدهم فى حفظ غيرا تباعهم عنه فكيف يليق أن يوصى بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم عند اتباعهم وأن يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهى الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين اتباعهم بل المراد أنه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خويصتكم وأصحاب أسراركم على أنه يحتمل أن يكون شائعا ولكن البغى

ما ولا علم أن اللام ليست بتوكيد للاولى لانه يوضع موضعها ما ولا فتكون كالاولى وهى جواب للاولى قال وأما قوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة بمعنى اسقاط من غلط لان من التى تدخل وتخرج لا تقع مواقع الاسماء قال ولا تقع فى الخبر أيضا انما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء وأولى الاقوال فى تاويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله لما بمعنى لهما وأن تكون ما حرف جزاء أدخلت عليها اللام وصير الفعل معها على فعل ثم أجيب بما كان به الايمان فصارت اللام الاولى يمينا أو تلقيت بجواب اليمين وقرأ ذلك آخرون لما آتيتكم بكسر اللام من لما وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ثم اختلف قارؤ ذلك كذلك فى تاويله فقال بعضهم معناه اذ اقرئ كذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين الذى آتيتكم فما على هذه القراءة بمعنى الذى عندهم وكان تاويل الكلام واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ثم ان جاءكم رسول يعنى ذكر محمد فى التوراة لتؤمنن به أى ليكونن ايمانكم به للذى عندكم فى التوراة من ذكره وقال آخرون منهم تاويل ذلك اذا قرئ بكسر اللام من لما واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتاهم من الحكمة ثم جعل قوله لتؤمنن به من الاخذ أخذ الميثاق كما يقال فى الكلام أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان تاويل الكلام عند قائل هذا القول واذ استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن به ولتنصرنه وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ واذ أخذ الله النبيين لما آتيتكم بفتح اللام لان الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه الى خلقه فيما ابتعثه به اليهم كان ممن آتاه كتابا أو ممن لم يؤته كتابا وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله بانه كان ممن أبيح له التكذيب باحد من رسله فاذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أن منهم من أنزل عليه الكتاب وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب كان بينا أن قراءة من قرأ ذلك لما آتيتكم بكسر اللام بمعنى من أجل الذى آتاكم من كتاب لا وجه له مفهوم الا على تاويل بعيد وانتزاع عميق ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالايمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه فقال بعضهم انما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم واستشهدوا للصحة قولهم بذلك بقوله لتؤمنن به ولتنصرنه قالوا فانما أمر الذين أرسلت اليهم الرسل من الامم بالايمان برسل الله ونصرتها على من خالفها وأما الرسل فانه لا وجه لامرها بنصرة أحد لانها المحتاجة الى المعونة على من خالفها من كفرة بنى آدم فاما هى فانها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها قالوا واذا لم يكن غيرها وغير الامم الكافرة فمن الذى ينصر النبى فيؤخذ ميثاقه بنصرته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال هى

والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل أن يكون هذا كلاما أمر الله نبيه أن يقوله عند ما وصل الكلام الى هذا الحد كأنه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله أو لا اله الا الله أو تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيده واعلم أنه تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أن يؤمنوا وجه النهار و يكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان الهدى هدى الله وذلك ان مع كل كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة (٢١٧) الركيكة عين ولا أثر وثانيهما أنهم استنكروا

خطأ من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين يقول واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وكذلك كان يقرؤها الربيع واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب انما هي أهل الكتاب قال وكذلك كان يقرؤها أبي بن كعب قال الربيع ألا ترى أنه يقول ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه يقول لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه قال هم أهل الكتاب وقال آخرون بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الانبياء دون أممها ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية قال أخذ الله ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن طالب قال لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويامره فيأخذ العهد على قومه فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال لم يبعث الله عز وجل نبيا فط من لدن نوح الا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حي والا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرنه ان خرج وهم أحياء **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور قال سألت الحسن عن قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية كلها قال أخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا وقال آخرون معنى ذلك انه أخذ ميثاق النبيين وأممهم فاجتزأ بذكر الانبياء عن ذكر أممها لان في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه

أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فاجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله انه مالك له غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على ان النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله أن يفعله وأن لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق الا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح و بمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل انه بين بقوله ان الفضل بيد الله انه قادر على أن يؤتي بعض عباده مثل ما آتاكم من المناصب العالية و يزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه

ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى أمر اجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون أشرف وأعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى أشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم في دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال ومن أهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم الى قسمين أهل للامانة وأهل للخيانة فقيل ان أهل الامانة هم الذين أسلموا اما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من يخالفهم في الدين وأخذ أموالهم وقيل ان أصحاب الامانة هم النصارى الغلبة الامانة عليهم وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تامنه بقنطار يؤده هو عبد الله بن

سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداها اليه ومن ان تأمنه بدينار لا يؤده هو فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال أهل الحقيقة هي فمن يؤتي كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال أمنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه وأما الاقوال فيه فقد مرت في أوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس ان القنطار ألف ومائتا أوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس أنه محمول على المبايعة فقال منهم من (٢١٨) تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا

عنه أيضا انها نزلت في الوديعة وأما قوله الا مادمت عليه قائما منهم من حمله على حقيقته قال السدي يعني الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه محتاجا منه ملازما اياه فان أنظرت وأخرت أنكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة أصله ان الطالب للشئ يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى أمة قائمة أي عاملة بامر الله غير تاركة له وقال أبو علي الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما أي ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم يبالغون في الغضب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف وأخذ ماله بأي طريق كان واما لانهم قالوا نحن أبناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذ أكلنا أموال عبيدنا ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم وأموالهم روى ان اليهود عاملوا رجلا في الجاهلية من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة أو يعلمون حرمة الخيانة أو يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون

على التباع لان الامم هم تباع الانبياء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم ذكر ما أخذ عليهم يعني أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم واقرارهم به على أنفسهم فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا وأخذ الانبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به لان الانبياء عليهم السلام بذلك أرسلت الى أممها ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبيا أرسل الى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحجته في عباده بل كلها وان كذب بعض الامم بعض أنبياء الله بجحود ها نبوته مقرة بان من ثبتت صحة نبوته فعليها الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقر به جميعهم ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق انما أخذ على الامم دون الانبياء لان الله عز وجل قد أخبر أنه قد أخذ ذلك من النبيين فسواء قال قائل لم يأخذ ذلك منهار بها أو قال لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت وقد نص الله عز وجل انه أمرها بتبليغه لانهما جميعا خبران من الله عنها أحدهما انه أخذ منها والآخر منهما انه أمرها فان جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنى بذلك أهل الكتاب من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه فان ذلك غير شاهد على صحة ما قال لان الانبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض وتصديق بعضها بعضا نصرة من بعضها بعضا ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقال بعضهم الذين عنوا بذلك هم الانبياء اخذت مواثيقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن ينصروه وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله وقال آخرون هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعثه الله وبنصرته وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضا عمن قاله وقال آخرون ممن قال الذين عنوا باخذ الله ميثاقه منهم في هذه الآية هم الانبياء قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معني به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنا ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ثم قال ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال فهذه الآية لاهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال قتادة أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا

ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم يحل أكل أموالهم الا بطيب أنفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا لانه لمجرد نفي ما قبله أي بلى عليهم سبيل في ذلك وما بعده استئناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قوله نحن أحباء الله تعالى فقيل لهم ان أهل الوفاء بالعهد وأهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شئ ولو أنهم أوفوا بالعهود أوفوا أول كل شئ بالعهد الذي أخذه الله تعالى في كتابهم من الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه صلى الله عليه وسلم ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدأ أو الضمير في بعهده يجوز أن يرجع الى من ويجوز أن يرجع الى اسم الله كقوله في الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى أصلان لجميع مكارم (٢١٩) الاخلاق فالوفاء بالعهد يشتمل عهد الميثاق

كتاب الله ورسالته الى عباده فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذوا مواثيق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه * وأولى الاقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم اليه والاقرار به لان ابتداء الآية خبر من الله عز وجل عن أنبيائه انه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا وانما قلنا أن ما أخبر الله انه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الانبياء مواثيق أممها به لانها أرسلت لتدعو اعباد الله الى الدينونة بما أمرت بالدينونة به في أنفسها في تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل فتأويل الآية واذ كروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتصدقنه ولتنصرنه وقد قال السدي في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قوله لما آتيتكم يقول لليهود أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم فتأويل ذلك على قول السدي الذي ذكرناه واذ كروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة وهذا الذي قاله السدي كان تأويلا لا وجه غيره لو كان التنزيل بما آتيتكم ولكن التنزيل باللام لما آتيتكم وغير جائز في لغة أحد من العرب أن يقال أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم بمعنى بما آتيتكم ۞ القول في تأويل قوله (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا) يعني بذلك جل ثناؤه واذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر فقال لهم تعالى ذكره أقررتم بالميثاق الذي واثقتموني عليه من انكم مهما آتاكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وأخذتم على ذلكم اصري يقول وأخذتم على ما أوثقتموني عليه من الايمان بالرسل التي تأتيكم بتصديق ما معكم من عندي والقيام بنصرته اصري يعني عهدي ووصيتي وقبلتم في ذلك مني ورضيتموه والاخذ هو القبول في هذا الموضع والرضى من قولهم أخذ الوالي عليها البيعة بمعنى بايعه وقبل ولايته ورضي بها وقد بينا معنى الاصر باختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وحذفت الفاء من قوله قال أأقررتم لانه ابتداء كلام على نحو ما بينا في نظائره فيما مضى وأما قوله قالوا أقررنا فانه يعني به قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر في هذه الآية أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك وبنصرته ۞ القول في تأويل قوله (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) يعني بذلك جل ثناؤه قال الله فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم من الايمان بتصديق رسلي التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ونصرته على أنفسكم وعلى اتباعكم من الامم

وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتمتها وتزينها حتى يأتي بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون أن يقول يحب الموفين أو الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في أموال الناس والخيانة فيها لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لاجرم أردفها بالوعيد عليها وأيضا الخيانة في العهود وفي تعظيم أسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلاجرم قال ان الذين يشترون الآية واختلفت الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشا والمآكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا من علماء اليهود أولي فاقة اصابتهم سنة فاقتضوا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسالهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله في كتابكم قالوا نعم وما نعلمه أنت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم علي وأنا أريد ان أميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انهوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما أتيناه اذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا وأخرجوا الذي كتبوا فانظر اليه كعب ففرح وأمارهم وأنفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين

يستحق بها مالا وفيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد أعطى بها مالم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه واليمين هو الذى يؤكد الانسان بها خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اقرار بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته وما يجرى مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشراء بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة أنواع من الجزاء فقوله أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة اشارة الى أنه لا نصيب لهم فى منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب أليم اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه فى الدنيا غيره (٢٢٠) فانما ذلك لسخطه عليه وقد يأمره بحجبه عنه ويقول لا أكلمك ولا أرى وجهك واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال فى الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفى اعتداده به وأصله فيمن يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفى التفسير الكبير لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقلب الحدقة الى جانب المرئى انما سالرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الخلق بهذه الآية على ان النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والالزم من هذه الآية ان لا يكون الله راثيا وذلك باطل فلت يجوز أن يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذى سيخص الله تعالى به الغيبة أولياءه من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز أن يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم من نفى رؤية يراه العباد أيضا وقتئذ نفى رؤية لا يرونه حينئذ وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت قريظة ما كتبوه فخاطوه بالكتاب الذى عندهم يلوون ألسنتهم بالكتاب قال القفال معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللى عبارة عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية وانما كانوا يفعلون مثل ذلك فى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة فى الكشاف أى يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف أقول وذلك ان لى اللسان أشبه

اذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبى روق عن أبى أيوب عن على بن أبى طالب فى قوله قال فاشهدوا يقول فاشهدوا على أنفسكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم ۞ القول فى تاويل قوله (فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) يعنى بذلك جل ثناؤه فمن أعرض عن الايمان برسلى الذين أرسلتهم بتصديق ما كان من أنبيائى من الكتب والحكمة وعن نصرتهم فادبر ولم يؤمن بذلك ولم ينصر ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك يعنى العهد والميثاق الذى أخذه الله عليه فاولئك هم الفاسقون يعنى بذلك أن المتولين عن الايمان بالرسل الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك هم الفاسقون يعنى بذلك الخارجون من دين الله وطاعة ربهم كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبى روق عن أبى أيوب عن على بن أبى طالب فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الامم فاولئك هم الفاسقون هم العاصون فى الكفر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قال أبو جعفر يعنى الرازى فمن تولى بعد ذلك يقول بعد العهد والميثاق الذى أخذ عليهم فاولئك هم الفاسقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن الربيع مثله وهاتان الآيتان وان كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر انه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله فانه مقصود به اخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم عما لله عليهم من العهد فى الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى تذكيرهم ما كان الله آخذا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود وما كانت أنبياء الله فيهم وتقدمت اليهم فى تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه وكذبه وتعريفهم ما فى كتب الله التى أنزلها الى أنبيائه التى ابتعثهم اليهم من صفته وعلامته ۞ القول فى تاويل قوله (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة وقراء الكوفة أفغير دين الله تبغون واليه ترجعون على وجه الخطاب وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز أفغير دين الله يبغون واليه يرجعون بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب وقرأ ذلك بعض أهل البصرة أفغير دين الله يبغون على وجه الخبر عن الغائب واليه ترجعون بالتاء على وجه المخاطبة * وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أفغير دين الله تبغون على وجه الخطاب واليه ترجعون بالتاء لان الآية التى قبلها خطاب لهم فاتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام الى غير نظيره وان كان الوجه الآخر جائزا لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانا على الخطاب كله وأحيانا على وجه الخبر عن الغائب وأحيانا بعضه على الخطاب وبعضه على

بالتشدق والتقطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلى اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين ألفاظ المدح والذم في الشئ الواحد لتحسبوه أي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي أولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من أحكامه المستنبطة من الاصول ويجوز أن يراد بالكتاب التوراة فقط ويقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير ألفاظ التوراة أو اعراب ألفاظها

فالذين أقدموا على ذلك يجب أن يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بانه من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الهائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والاصدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله أو هو حكم من أحكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا لا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه أهل الكتاب ان زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان أبا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا البعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن نسجد لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان أحدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب أن لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو أرادوا أن يقولوا ذلك يمنعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا

الغيبة فقوله تبغون واليه ترجعون في هذه الآية من ذلك وتاويل الكلام يامعشر أهل الكتاب أفغير دين الله تبغون يقول أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون وله أسلم من في السموات والارض يقول وله خشع من في السموات والارض فخضع له بالعبودية وأقر له بافراد الربوبية وانقاد له باخلاص التوحيد والالوهية طوعا وكرها يقول أسلم لله طائعا من كان اسلامه منهم طائعا وذلك كالملائكة والانبياء والمرسلين فانهم أسلموا لله طائعين وكرها من كان منهم كارها اختلف أهل التأويل في معنى اسلام الكاره الاسلام وصفته فقال بعضهم اسلامه اقراره بان الله خالقه وربه وان أشرك معه في العبادة غيره ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد وله أسلم من في السموات والارض قال هو كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قال كل آدمي قد أقر على نفسه بان الله ربي وأنا عبده ممن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها ومن أخلص لله العبودية فهو الذي أسلم طوعا وقال آخرون بل اسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فاقر به ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال **حدثنا** وكيع عن سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال حين أخذ الميثاق وقال آخرون عني باسلام الكاره منهم سجود ظله ذكر من قال ذلك **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال الطائع المؤمن وكرها ظل الكافر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طوعا وكرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود الكافر وهو كاره **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر وهو كاره **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال سجود وجهه وظله طائعا وقال آخرون بل اسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لامره وان أنكره لهوته بلسانه ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر بن عامر وله أسلم من في السموات والارض قال استقاد كلهم له وقال آخرون عني بذلك اسلام من أسلم من الناس كرها حذر السيف على نفسه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها الآية كلها فقال أكره أقوام على الاسلام

لاذقنالك ضعف الحياة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم منه انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعى تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو أمرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه وللحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مامورا بتبليغ ما فهم الى الخلق وما أحسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبي وقصارى أمره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان ابشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له أن يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله أن يتخذ من ولد على سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي أن يغل ومعناه النفي لا النهي ومعنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته كما يقال رجل الهبي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد والربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام والالف والنون كما في ربان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير بعضهم يشمل الولاة أيضا قال القفال يحتمل أن يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم أمر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرية تدل على الانسان الذي علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الغير عن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة والباء في قوله بما كنتم للسببية وما مصدرية وتعلمون من التعليم أو العلم على القراءتين فيعلم منه أن التعليم أو العلم أو الدراسة وهي القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضي أن يكون كونه ربانيا أمرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا بان يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب

وجاء أقوام طائعين **حدثني** الحسن بن قزعة الباهلي قال ثنا روح بن عطاء عن مطر الوراق في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال الملائكة طوعا والانصار طوعا وبنو سليم وعبد القيس طوعا والناس كلهم كرها وقال آخرون معنى ذلك ان أهل الايمان أسلموا طوعا وان الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه اسلام كرها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفغير دين الله تبغون الآية فاما المؤمن فاسلم طائعا فنفعه ذلك وقبل منه وأما الكافر فاسلم كارها حين لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال أما المؤمن فاسلم طائعا واما الكافر فأسلم حين رأى باس الله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقال آخرون معنى ذلك في عبادة الخلق لله عز وجل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها وهو قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأما قوله واليه ترجعون فانه يعني واليه يا معشر من يبتغي غير الاسلام دينا من اليهود والنصارى وسائر الناس ترجعون يقول اليه تصيرون بعد مماتكم فمجازيكم باعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته وهذا من الله عز وجل تحذير لخلقه ان يرجع اليه أحد منهم فيصير اليه بعد وفاته على غير ملة الاسلام ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فان ابتغوا غير دين الله يا محمد فقل لهم آمنا بالله فترك ذكر قوله فان قالوا نعم وذكر قوله فان ابتغوا غير دين الله لدلالة ما ظهر من الكلام عليه وقوله قل آمنا بالله يعني به قل لهم يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله غيره ولا نعبد أحدا سواه وما أنزل علينا يقول وقل وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله فأقر نبيه وما أنزل على ابراهيم يقول وصدقنا أيضا بما أنزل على ابراهيم خليل الله وعلى ابنيه اسمعيل واسحق وابن ابنه يعقوب وبما أنزل على الاسباط وهم ولد يعقوب الاثنا عشر وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وما أوتي موسى وعيسى يقول وصدقنا أيضا مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي وبما أنزل على النبيين من بعده والذي أتى الله موسى وعيسى مما أمر الله عز وجل محمدا بتصديقهما فيه والايمان به التوراة التي أتاها موسى والانجيل الذي أتاه عيسى لا نفرق بين أحد منهم يقول لا نصدق بعضهم ونكذب

وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفى الآية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء تأمل تفهم باذن الله ولا يأمركم من قرأ بالنصب فوجهان أحدهما أن يجعل لا مزيدة لتأكيد النفى المتقدم أى ما ينبغى لبشر أن ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه الى أن يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد ان أكرمه ثم يهينى ولا يستخف بى والثانى أن يكون حرف النفى زائدا فيرجع المعنى الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له أتتخذ لنا ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين غيره صلى الله عليه وسلم كأنه أخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستئناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود وأن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح أيأمركم أى البشر وقيل الله بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ومعنى الاستفهام الانكار أى أنه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا له قلت وضع الشئ ابتداء أسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل أن يكون المراد ما صح ولا يعقل أن يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أمته بعبادة نفسه أول ما استنبئ فكيف يعقل أن يأمرهم بذلك بعد الفهم

بعضهم ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدقت بعضا ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدقهم ونحن له مسلمون يعنى ونحن ندين له بالاسلام لا بدين غيره بل نتبرأ اليه من كل دين سواه ومن كل ملة غيره ويعنى بقوله ونحن له مسلمون ونحن له منقادون بالطاعة متذللون بالعبودية مقرون له بالالوهة والربوبية وانه لا اله غيره وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا فى ذلك فيما مضى وكررها اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يطلب دينا غير دين الاسلام ليدين به فلن يقبل الله منه وهو فى الآخرة من الخاسرين يقول من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل وذكر ان أهل كل ملة ادعوا انهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فامرهم الله بالحج ان كانوا صادقين لان من سنة الاسلام الحج فامتنعوا فادحض الله بذلك حجتهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال زعم عكرمة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن المسلمون فانزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فحج المسلمون وقعد الكفار حدثنى المثنى قال ثنا القعنبى قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن عكرمة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن المسلمون فانزل الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحجهم ان لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن عكرمة قال لما نزلت ومن يبتغ غير الاسلام دينا الى آخر الآية قالت اليهود فنحن مسلمون قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر من أهل الملل فان الله غنى عن العالمين وقال آخرون فى هذه الآية بما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله ولا هم يحزنون فانزل الله عز وجل بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفيمن نزلت فقال بعضهم نزلت فى الحرث بن سويد الانصارى وكان مسلما فارتد بعد اسلامه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك

بالاسلام واستنارة باطنهم بنور الهدى والايمان بالله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار

فان يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) القراآت لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها اثنا كم على صيغة جمع المتكلم أبو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول أبو عمر وغير عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمز روى البخاري عن ورش وروى الاصفهاني عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما *

الوقوف ولتنصرنه ط أقررنا ط الشاهدين ه الفاسقون ه يرجعون ه من ربهم ص منهم ج مسلمون ه منه ج لعطف المختلفتين الخاسرين ه البينات ط الظالمين ه أجمعين ه فيها ج لا ينظرون ه لا للاستثناء رحيم ه توبتهم ج الضالون ه افتدى به ط ناصرين ه *

التفسير (٢٢٤) الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة

ثم ندم فارسل الى قومه سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة قال فنزلت كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فارسل اليه قومه فاسلم **حدثني** ابن المثنى قال ثنى عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة بنحوه ولم يرفعه الى ابن عباس الا انه قال فكتب اليه قومه فقال ما كذبني قومي فرجع **حدثنا** أبو كريب قال ثنا حكيم بن جبير عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال ارتد رجل من الانصار فذكر نحوه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرنا حميد الاعرج عن مجاهد قال جاء الحرث بن سويد فاسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحرث فرجع الى قومه فانزل الله عز وجل فيه القرآن كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله عز وجل لاصدق الثلاثة قال فرجع الحرث فاسلم فحسن اسلامه **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق قال أنزلت في الحرث ابن سويد الانصاري كفر بعد ايمانه فانزل الله عز وجل فيه الآيات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم تاب وأسلم فنسخها الله عنه فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات قال رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لحق بارض الروم فتنصر ثم كتب الى قومه سلوا لي هل لي من توبة قال فحسبت انه آمن ثم رجع قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في أبي عامر الراهب والحرث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الاسلت في اثني عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى أهلهم هل لنا من توبة فنزلت الا الذين تابوا من بعد ذلك الآيات وقال آخرون عنى بهذه الآية أهل الكتاب وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم فهم أهل الكتاب عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به **حدثنا** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن

منصور

والتقدير وهو انهم لو كانوا أحياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف أو أمة النبيين فعدو رد كثيرا في القرآن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون أهل الكتاب وقد رد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة أبي وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما الاحتمال الثاني فالمعنى أن الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويؤكده أنه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

لتؤمنن به ولتنصرنه والذي يدل على صحته ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية أما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الغرض

ونحن نقرأ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم لما آتيتكم من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان أحدهما أن ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول فى آتيتكم محذوف وفى جاءكم ما يدل عليه لما معكم لانه فى معنى ما آتيتكم والتقدير للذى آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط أن يقال أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وماهى المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة فالاصح فى هذا المقام أن يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا أدخل اللام والنون المؤكدة فى لتؤمنن ولتنصرن وأدخل اللام فى الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من أول الامر وتمهد أن المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه أيضا وجهان أحدهما أن تكون ما مصدرية أى أخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة لمجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا لكم فى الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الانبياء والثانى أن تكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل أصله لمن ما أى لمن أجل ما آتيتكم أدغمت النون فى الميم فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفوا أحدها للتخفيف فيؤول المعنى الى قراءة حمزة وفى جميع القراآت قيل لابد من اضمار بان يقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكأنه قيل واذ أخذت أو

منصور عن الحسن فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية كلها قال اليهود والنصارى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم وأقروا به وشهدوا انه حق فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فانكروه وكفروا بعد اقرارهم حسدا للعرب حين بعث من غيرهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم قال هم أهل الكتاب كانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ويستفتحون به فكفروا بعد ايمانهم قال أبو جعفر وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من ان هذه الآية معنى بها أهل الكتاب على ما قال غير ان الاخبار بالقول الآخر أكثر والقائلين به أعلم بتأويل القرآن وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكرانهم كانوا ارتدوا عن الاسلام فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم فى ارتداده عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الآيات ثم عرف عباده سنته فيهم فيكون داخلا فى ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفر به بعد ان بعث وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ثم ارتد وهو حى عن اسلامه فيكون معنيا بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما بل ذلك كذلك ان شاء الله فتأويل الآية اذا كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم يعنى كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم أى بعد تصديقهم اياه واقرارهم بما جاءهم به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يقول وبعد أن أقروا ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلقه حقا وجاءهم البينات يعنى وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة وهم الذين بدلوا الحق الى الباطل فاختاروا الكفر على الايمان وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الظلم وانه وضع الشئ فى غير موضعه بما أغنى عن اعادته أولئك جزاؤهم يعنى هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم وبعد ان شهدوا ان الرسول حق جزاؤهم ثوابهم من عملهم الذى عملوه ان عليهم لعنة الله يعنى ان يحل بهم من الله الاقصاء والبعد ومن الملائكة والناس الايماس يوهم من العقاب أجمعين يعنى من جميعهم لا من بعض من سماه جل ثناؤه من الملائكة والناس ولكن من جميعهم وانما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم لان عملهم كان بالله كفرا وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته خالدين فيها يعنى ماكثين فيها يعنى فى عقوبة الله لا يخفف عنهم العذاب لا ينقصون من العذاب شئ فى حال من الاحوال ولا ينفسون فيه ولا هم ينظرون يعنى ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون وذلك

(٢٩ - (ابن جرير) - ثالث) أخذنا ولما فى أخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه فى التفسير الكبير مع أنه متكلف فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم أصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف أشرفهم أو الكتاب لذوى الكتب والحكمة لغيرهم أو جعل الداعى الى الكتاب والى العمل به كالذى أنزل عليه الكتاب ومن للبيان أو للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجىء الى النبيين وانما يجىء الى الامم معناه أى فى زمانكم وان كان المراد من النبيين أولادهم أو أممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته فى التوحيد والنبوات وأصول الشرائع فاما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذلك فى الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على أن الحق فى زمان موسى ليس الا شرعه عليه السلام وأن الحق فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا شرعه عليه السلام ولو قلنا ان المراد بالرسول

هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد اما ماذكرنا أو ان نعته وصفته وأحواله مذكورة فى الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر أن المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجىء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل أن يكون الميثاق اشارة الى ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء لرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد باخذ الميثاق أنه تعالى شرح صفاته صلى الله عليه وسلم فى كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت أحواله صلى الله عليه وسلم مطابقة لما جاء فى الكتب الالهية وجب الانقياد له صلى الله عليه وسلم وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين أولادهم أو أممهم أو ميثاق النبيين من الامم أو ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم أحياء أقول والله أعلم يحتمل أن يراد بقوله ثم جاءكم المجىء فى الزمان الماضى (٢٢٦) فيكون معنى الآية ان الله تعالى أخذ ميثاق من كل نبى أوتى كتابا وحكمة أن يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه وينصر دينه بان يظهر حقيقته فى وقته وأنه من عند الله سبحانه وأنه موافق له فى أصول العقائد وفى قواعد مكارم الاخلاق فتكون هذه الآية تمهيدا لما يجىء بعد من قوله قل آمنا بالله الآية قال الله أو كل نبى لامته مستفهما بمعنى الامر أأقررتم بالايمان به والنصرة والاقرار فى الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفى اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشئ يقر اذا ثبت ولزم مكانه وأخذتم أى قبلتم على ذلك اصرى عهدى والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل أى لا يقبل ويأخذ الصدقات أى يقبلها سمى العهد اصرا لانه مما يوصر أى يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار أكد ذلك بالاشهاد وقال فاشهدوا أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفى قوله وأنا معكم من الشاهدين وأنه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا كفروا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل أحد نفسه شاهدا على نفسه كقوله وأشهدهم على أنفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر فى الجهل به وأصله أن الشاهد هو الذى يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالشاهد للشئ المعاين له أو يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته وعيد الفساق المردة معلوم ثم ويح من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الغاء العاطفة فقال أفغير دين الله يبغون ويحتمل أن يراد يتولون فغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرأ بتاء الخطاب فهما فلان ما قبله خطاب فى أقررتم وأخذتم أو للالتفات بعد قوله أولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير

كله أعنى الخلود فى العقوبة فى الآخرة ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم فقال تعالى ذكره الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا يعنى الا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن ايمانهم فراجعوا الايمان بالله وبرسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم وأصلحوا يعنى وعملوا الصالحات من الاعمال فان الله غفور رحيم يعنى فان الله ان فعل ذلك بعد كفره غفور يعنى ساتر عليه ذنبه الذى كان منه من الردة فتارك عقوبته عليه وفضيحته به يوم القيامة غير مؤاخذه به اذا مات على التوبة منه رحيم منعطف عليه بالرحمة ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم عنى الله عز وجل بقوله ان الذين كفروا ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد لن تقبل توبتهم عند حضور الموت وحشرجته بنفسه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قالوا اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا أعداء الله اليهود كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ثم ازدادوا كفرا قال ازدادوا كفرا حتى حضرهم الموت فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت قال معمر وقال مثل ذلك عطاء الخراسانى **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقال هم اليهود كفروا بالانجيل ثم ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فانكروا وكذبوا به وقال آخرون معنى ذلك ان الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا لن تقبل توبتهم من ذنوبهم وهم على الكفر مقيمون ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال ازدادوا ذنوبا وهم كفار فلن تقبل توبتهم من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية قال قلت ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال انما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها فهم يتوبون منها فى كفرهم **حدثنا** عبد الحميد بن بيان اليشكرى قال أخبرنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم

فى الاول الى الفاسقين وفى الثانى الى جميع المكلفين والاصل أفيبتغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا أنه قدم المفعول لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان أهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى انه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كل الفريقين برىء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الآية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضى تعلقها بما قبلها فالوجه أن هذا الميثاق لما كان مذكورا فى كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغى والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكروا أن يفعلوا ذلك أو قرروا نهم يفعلون ثم بين أن الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل وكيف لا وقد أخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده (٢٢٧) ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين

كفروا فذكر نحوا منه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود قال سألت عن هذه الآية ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال هم اليهود والنصارى والمجوس أصابوا ذنوبا فى كفرهم فارادوا أن يتوبوا منها وان يتوبوا من الكفر لانه يقول وأولئك هم الضالون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن داود عن أبى العالية فى قوله ان تقبل توبتهم قال تابوا من بعض ولم يتوبوا من الاصل حدث عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن داود بن أبى هند عن أبى العالية قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قال هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون قال الله عز وجل لن تقبل التوبة فى الضلالة وقال آخرون بل معنى ذلك ان الذين كفروا بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعنى بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون لن تقبل توبتهم ان تنفعهم توبتهم الاولى وايمانهم لكفرهم الآخر وموتهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ثم ازدادوا كفرا قال تمادوا على كفرهم قال ابن جريج لن تقبل توبتهم يقول ايمانهم أول مرة لن ينفعهم وقال آخرون معنى قوله ثم ازدادوا كفرا ماتوا كفارا فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم وقالوا معنى لن تقبل توبتهم لن تقبل توبتهم عند موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أما ازدادوا كفرا فماتوا وهم كفار وأما لن تقبل توبتهم فعند موته اذا تاب لم تقبل توبته * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى تاويل هذه الآية قول من قال عنى بها اليهود وأن يكون تاويله ان الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه بعد ايمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب فى كفرهم ومقامهم على ضلالتهم لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التى أصابوها فى كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم و يراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله وانما فلنا ذلك أولى الاقوال فى هذه الآية بالصواب لان الآيات قبلها و بعدها فيهم نزلت فاولى ان تكون هى فى معنى ما قبلها و بعدها اذا كانت فى سياق واحد وانما قلنا معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا فى كفرهم من المعاصى لانه جل ثناؤه قال لن تقبل توبتهم فكان معلوما ان معنى قوله لن تقبل توبتهم انما هو معنى به لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده فمحال ان يقول عز وجل أقبل ولا أقبل فى شئ واحد واذ كان ذلك كذلك وكان من حكم الله فى عباده انه قابل توبة كل تائب من كل ذنب وكان الكفر بعد الايمان أحد تلك الذنوب التى وعد

يدى قدرته خاضع لجلائل قدره فى طرفى وجوده وعدمه عقلا كان أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهرا أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظير الآية ولله يسجد من فى السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا أو كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل أى طائعين وكارهين كقولك آتانى ركضا أى راكضا ولو قلت أتانى كلاما أى متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها فى غيره من الآلام والمكاره التى تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره وأما الكافرون فينقادون فى الدين كرها أى خوفا من السيف أو عند الموت أو نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض أقول وذلك لان السفلى ينجذب بالطبع الى السفل لحمله نفسه ما يخالف طبعه هو الكره و بلسان الصوفية من شاهد الجمال أسلم طوعا ومن شاهد الجلال أسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطرى بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبى واليه ترجعون أى الى حيث لا مالك سواه ظاهرا و باطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم أنه سبحانه لما بين أخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق كل رسول كان قبله أمر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه أما وجه التوحيد فى قل فظاهر بناء على ما قلنا وأما وجه الجمع فى آمنا فلتشريف أمته بانضمامهم معه فى سلك الاخبار عن الايمان أوليعلم أن هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته أولاجلال قدر نبيه حيث أمر أن يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه أصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان بما أنزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة أحوالها الا بالفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر

الايمان بما أنزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حضر الكل وفى ذلك تنبيه على سوء عقيدة أهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى أنهم ليسوا من الدين فى شئ حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى أخذ الميثاق على كل نبى أن يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور فى تفسير قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم يؤخذ عليه الميثاق لمن ياتى بعده فيكون فى الآية دليل على أنه لا نبى بعده واعلم أن الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فيجوز أن يعدى أنزل بعلى تارة كما فى هذه الآية وبحرف الانتهاء أخرى كما فى البقرة فنطق القرآن بالاعتبارين جميعا وقيل عدى هناك بالى لمكان قولوا فان الوحى يأتى الامة بطريق الانتهاء وعدى ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول يأتيه الوحى بطريق الاستقلال وزيفه فى الكشاف بقوله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب وبقوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا والانصاف أن هذا القائل لم يدع أن هذه المناسبة

يجب اعتبارها فى كل موضع وانما ادعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله أعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار أن يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لاغرض فيه الا وجه الله دون شئ آخر من طلب المال والجاه بخلاف أحبار اليهود الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو فى الآخرة من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند أهل السنة مع أصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للآية وقد ذكرنا مرارا أن النزاع لفظى والجزاء

قبول التوبة منها يقول الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم ان المعنى الذى لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذى تقبل التوبة منه واذ كان ذلك كذلك فالذى لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره لان الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله فاما ان تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف به نفسه غفور رحيم فان قال قائل وما ينكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله أو توبته الاولى قيل أنكر ذا ذلك لان التوبة من العبد غير كائنة الا فى حال حياته فاما بعد مماته فلا توبة وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم ولا خلاف بين جميع الحجة فى ان كافرا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين ان حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه والموارثة وسائر الاحكام غيرها فكان معلوما بذلك ان توبته فى تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار الى حكم أهل الاسلام ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز ان يقال لا يقبل الله فيها توبة الكافر فاذا صح انها فى حال حياته مقبولة ولا سبيل بعد الممات اليها بطل قول الذى زعم انها غير مقبولة عند حضور الاجل وأما قول من زعم ان معنى ذلك التوبة التى كانت قبل الكفر فقول لا معنى له لان الله عز وجل لم يصف القوم بايمان كان منهم بعد كفر ثم كفر بعد ايمان بل انما وصفهم بكفر بعد ايمان فلم يتقدم ذلك الايمان كفر كان للايمان لهم توبة منه فيكون تاويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك وتاويل القرآن على ما كان موجودا فى ظاهر التلاوة اذ لم تكن حجة تدل على باطن خاص أولى من غيره وان أمكن توجيهه الى غيره وأما قوله وأولئك هم الضالون فانه يعنى بذلك وهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين أضلوا سبيل الحق فاخطؤا منهجه وتركوا نصف السبيل وهدى الله الذى أخبرهم عنه فعموا عنه وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية ۞ القول فى تاويل قوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا أى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصارا ها ومجوسها وغيرهم وماتوا وهم كفار يعنى وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ولا جعل على العفو عنه ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الارض من مشرقها الى مغربها فرشا وجزاء على ترك عقوبته وفى العفو عنه على كفره عوضا مما الله محل به من عذابه لان الرشا انما يقبلها من كان ذا حاجة الى ما رشى فاما من له الدنيا والآخرة فكيف يقبل الفدية وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه أو غيره وقد بينا ان معنى الفدية العوض

اليه رجل من قومه فقرأ هن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله أصدق الثلاثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة فى الآية ان أصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلابد من تفسير الآية بشئ آخر سوى نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع الالطاف التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى أو المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار وقال أهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله فى باب التكليف وفى دار العمل أن كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وأرادوه (٢٢٩) وقال أهل التحقيق كيف يهدى

والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال أولئك يعنى هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار لهم عذاب أليم يقول لهم عند الله فى الآخرة عذاب موجع ومالهم من ناصرين يعنى ومالهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه فى الدنيا على ما حاول أذاه ومكروهه وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم قال فيقال لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك فذلك قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قال هو كل كافر ونصب قوله ذهبا على الخروج من المقدار الذى قبله والتفسير منه وهو قوله ملء الارض كقول القائل عندى قدر زق سمنا وقدر رطل عسلا فالعسل تبين به ما ذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه وأما نحوى البصرة فانهم زعموا انه ملء لاشتغال الملء بالارض ومجىء الذهب بعدهما فصار نصبها نظير نصب الحال وذلك ان الحال يجىء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى شغل بفاعله قالوا ونظير قوله ملء الارض ذهبا فى نصب الذهب فى الكلام لى مثلك رجلا بمعنى لى مثلك من الرجال وزعموا ان نصب الرجل لاشتغال الاضافة بالاسم فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل وأدخلت الواو فى قوله ولو افتدى به لمحذوف من الكلام بعده دل عليه دخول الواو كالواو فى قوله وليكون من الموقنين وتأويل الكلام وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والارض فكذلك ذلك فى قوله ولو افتدى به ولو لم يكن فى الكلام واو لكان الكلام صحيحا ولم يكن هنالك متروك وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به ۞ القول فى تأويل قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) يعنى بذلك جل ثناؤه لن تدركوا أيها المؤمنون البر وهو البر من الله الذى يطلبونه منه بطاعتهم اياه وعبادتهم له و يرجونه منه وذلك بفضله عليهم بادخالهم جنته وصرف عذابه عنهم ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر الجنة لان البر الرب بعبده فى الآخرة واكرامه اياه بادخاله الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال الجنة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فى قوله لن تنالوا البر قال البر الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل اذ هو فى تقدير ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق وأكن ويجوز أن يكون الواو للحال باضمار قد أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الآية يؤل الى أنه تعالى لا يهدى قوما كفروا بعد الايمان و بعد الشهادة بان الرسول حق فى نفسه غير باطل ولا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هى الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين للشئ فى غير موضعه وذلك أن الخصال

الثلاث أعنى الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبى المبعوث فى آخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على أن زلة العالم أقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح فى آخر الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك فى أول الآية ثم أردفه بغاية الوعيد قائلا أولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله فى البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفى التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال وأصلحوا أى باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وأظهروا انا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور فى الدنيا بالستر رحيم فى الآخرة بالعفو أو غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفره وهو المراد فى الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل

انهم أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت فى الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازدياد هم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة فى الكفر ثم انه تعالى حكم فى الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى فى هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وأيضا ثبت بالدليل أن التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة (٢٣٠) للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وقيل هى محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضى والقفال وابن الانبارى هى من تمة قوله الا الذين تابوا يريد أنه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد أن التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه أقول ويحتمل أن يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر ما يتوبون عن الكفر لما فى فعلهم من قساوة القلوب والاقضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين أما على تقدير التعميم فنقول انما يجعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد أو يهودى مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع ابن الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى برز الكلام فى معرض الكناية ومن المعلوم انه اذا ذكر اللازم واراد الملزوم وأنه لابد للعدول من فائدة فصح أن يبين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهى التغليظ فى شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة التى هى أغلاظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذى عول عليه فى الكشاف والحاصل أنه كأنه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم أن لا تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون الكاملون فى الضلال ضلوا فى تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منهما بقدم الانابة * واعلم أن الكافرين على ثلاثة أقسام * أحدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى سيق لاجله الآية التى ردفها

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لن تنالوا البر أما البر فالجنة فتأويل الكلام لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم حتى تنفقوا مما تحبون يقول حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يقول لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تهوون من أموالكم **حدثنى** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر بن عباد عن الحسن قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال من المال وأما قوله وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم فانه يعنى به ومهما تنفقوا من شئ فتصدقوا به من أموالكم فان الله تعالى ذكره بما يتصدق به المتصدق منكم فينفقه مما يحب من ماله فى سبيل الله وغير ذلك عليم يقول هو ذو علم بذلك كله لا يعزب عنه شئ منه حتى يجازى صاحبه عليه جزاءه فى الآخرة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم يقول محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له وبنحو التأويل الذى قلنا تأول هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا ابو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فى قتال سعد بن أبى وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وهى مثل قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله سواء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وهذه الآية من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال أبو طلحة يا رسول الله حائطى الذى بكذا وكذا صدقة ولو استطعت ان أجعله سرا لم أجعله علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها فى فقراء أهلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أحمد بن المنهال قال ثنا حماد بن ثابت عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة يا رسول الله ان الله يسألنا من أموالنا اشهدك انى قد جعلت أرضى بأريحا لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها فى قرابتك فجعلها بين حسان بن ثابت وأبى بن كعب **حدثنا** عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا ليث عن ميمون بن مهران ان رجلا سأل أبا ذر أى الاعمال أفضل قال الصلاة عماد الاسلام والجهاد سنام العمل والصدقة شئ عجب فقال يا أبا ذر لقد تركت شيأ هو أوثق عملى فى نفسى لا أراك ذكرته قال ما هو قال الصيام فقال قربة وليس هنالك وتلا هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون **حدثنى** يونس قال أخبرنا

الاستثناء *وثانيها الذى يتوب توبة فاسدة وهو المذكور فى قوله لن تقبل توبتهم على وجه *وثالثها الذى يموت على الكفر من غير توبة فذكره فى الآية الاخيرة ومل ء الشئ قدر ما يملأه وذهبا نصب على التمييز و ربما يقال على التفسير ومعناه أن يكون الكلام تاما الا أنه يكون مبهما كقولك عندى عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء فى فلن يقبل ان يعلم أن الكلام مبنى على الشرط والجزاء واذا ترك كما فى الآية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وايت شعرى انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم فى أمثال هذه المواضع أنها من الاسئلة المتقلبة وهو وهم والسر فى التخصيص هو أنه لما قيد فى الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تاكيدا للزوم وتغليظا فى الوعيد والله أعلم أما الواو فى قوله ولو افتدى به فانها تشبه عطف الشئ على

نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر

ابن وهب قال أخبرنى داود بن عبد الرحمن المكى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين عن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بفرس له يقال لها سبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت ان أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وغيره انها حين نزلت ان تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال يا رسول الله هذه فى سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها اسامة بن زيد فكان زيد اوجد فى نفسه فلما رأى ذلك منه النبى صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها

(تم الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبرى و يليه الجزء الرابع أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل)

أقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانبارى انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفى القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و يقبلون الغدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفى قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا فى كلامهم

مثل ضربت ضرب زيد أى مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله كما أنه يراد به فى نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا أى أنت وذلك ان المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر فى أغلب الامور فكانا فى حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم أن الكافر لا يملك يوم القيامة شيأ و بتقدير أن يملك فلا ينفع فى الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب أنه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن أعز الاشياء والمراد أنه لو قدر على أعز الاشياء وفرض أن فى بذله نفعا للآخذ وأن المبذول فى غاية الكثرة لعجز أن يتوصل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين قال أهل التحقيق وماتوا أى مات قلوبهم أولئك لهم عذاب أليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبى الله ونعم الوكيل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم)

صحيفة	
٣٢١	تاويل هذه الآيات وما دلت عليه من الاشارات
٣٢٢	تفسير قوله و يسئلونك عن المحيض الآيات و بيان مافيها
٣٢٦	بيان تحريم اتيان المرأة فى دبرها و رد أدلة من قال بغير ذلك
٣٢٨	بيان اختلاف العلماء فى لغو اليمين وحكمه
٣٥٠	بيان معنى الايلاء وحكمه
٣٥٣	تاويل هذه الآيات
٣٥٤	تفسير قوله والمطلقات و بيان مافيها
٣٥٥	بيان القرء وذكر اختلاف العلماء فى حقيقته وما ينبنى على ذلك من الاحكام
٣٤٠	بيان الطلاق ومايجوز وقوعه ومالايجوز والخلع ومايجوز أخذه ومالايجوز
٣٤٥	بيان حكم ما اذا تزوج امرأة مطلقة ثلاثا مضمرا انه اذا دخل بها فارقها وذكر اختلاف الائمة فيه
٣٤٩	تاويل تلك الآيات
٣٤٩	تفسير قوله والوالدات يرضعن الآيات و بيان مافيها
٣٥٣	بيان الوارث الذى يجب عليه عند موت الاب النفقة
٣٥٧	بيان ان النساء فى الخطبة على ثلاثة أقسام وذكر أحكامها
٣٦٢	بيان الصلاة وأحكامها وذكر الاقوال فى الصلاة الوسطى
٣٦٦	بيان عدة الوفاة
٣٦٩	تفسير قوله ألم تر الى الذين خرجوا الآيات و بيان القراآت والوقوف
٣٧٢	تفسير قوله ألم تر الى الملا الآيات و بيان القراآت والوقوف
٣٨١	بيان ان النبوة هل يجوز جعلها جزاء على بعض الاعمال أم لا تكون الا موهبة من الله تعالى
٣٨٢	تاويل هذه الآيات

(تم فهرست الجزء الثانى من النيسابورى)

(فهرست الجزء الثالث من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة	
٢	بيان ما فضل به بعض الانبياء بعضا و بيان كرامة نبينا صلى الله عليه وسلم
٣	بيان ان اقتتال من جاء بعد الرسل مع حزبهم وكفرهم كان عنادا
	بيان معنى نفى الخلة فى الآخرة ومعنى كون الكفر ظلما
٤	بيان معنى كونه تعالى حيا والخلاف فيه وان القيوم معناه القائم برزق مايخلق والشاهد عليه من قول أمية
٥	بيان ان معنى السنة فتور النوم والشاهد عليه من قول عدى والاعشى
٦	بيان معنى الكرسى وذكر الخلاف فيه
٧	بيان ان الصواب فى الكرسى هو العلم والشاهد عليه
٨	بيان ان العظيم بمعنى المعظم والشاهد عليه
٩	بيان ان الانسان لايجوز له أن يلزم غيره اعتناق الدين وأن سبب نزول آية لا اكراه فى الدين هذا
١١	بيان ان الالف واللام فى الدين للعهد أو نيابة عن الضمير
١٢	بيان معنى الطاغوت وذكر الخلاف فيه
١٣	بيان أن معنى الانفصام الكسر والشاهد عليه من قول أعشى
١٤	بيان ان من النصارى من كان على حق ونور قبل البعثة ثم بعدها صار بكفره فى ضلال وظلام
١٥	بيان نسب نمرود الذى حاج ابراهيم عليه السلام
١٦	ذكر سبب المجادلة التى جرت بين ابراهيم صلى الله عليه وسلم ونمرود
١٨	ذكر الخلاف فى الذى مر على قرية انه العزير أو غيره

صحيفة	
٢٠	ذكر السبب فى خراب بيت المقدس المعنى من القرية وتمام تاريخ تلك الحادثة
٢٤	بيان ان الهاء فى لم يتسنه أصلية والشاهد عليه
	بيان انه لايجوز الحذف لشئ مما أثبت فى المصحف الاما قد علم انه أثبت على نية الوقف
٢٨	بيان ان النشر المعيشة بعد الموت والشاهد عليه
٢٩	بيان ان كل شئ غطى شيأ فهو لباس له والشاهد عليه
٣٠	بيان ما اختاره من أوجه القراءة فى اعلم ان الله على كل شئ قدير
	بيان السبب فى مسألة ابراهيم ربه رؤية الاحياء والخلاف فيه
٣٣	بيان الطيور التى أمر باخذها وبيان معنى فصرهن وما فيه من اللغات والشواهد عليه
٣٦	بيان عدد الجبال التى أمر بجعل الطيور عليها وما فيها من الخلاف
٣٨	بيان تعلق قوله مثل الذين ينفقون بقوله من ذا الذى
٣٩	بيان معنى المن وانه اظهار ما أعطاه وان الاذى الشكاية
٤١	بيان معنى الصفوان وجمعه والشواهد عليه
٤٣	بيان معنى التثبيت والشاهد عليه وما كان عليه السلف من انهم لا ينفقون شيأ الا اذا تثبتوا انه لله
٤٥	بيان معنى الربوة وانها ما نشز من الارض والشاهد عليه
	بيان ان معنى قوله فان لم يصبها وابل على تقدير كان والشاهد عليه
٤٦	بيان ان قوله أيود أحدكم ضرب مثلا للنفقة المنافق
٤٩	بيان معنى الاعصار وجمعه والشاهد عليه
٥٠	بيان طيبات الكسب
٥١	بيان ان التيمم معناه القصد والشاهد عليه
	وبيان ان قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا نزلت فى الزكاة المفروضة
٥٢	بيان ان الخبيث معناه الحرام وان الاغماض

صحيفة	
	معناه التجافى عن بعض الحقوق والشاهد عليه
٥٣	بيان ان مستحقى الزكاة شركاء لاهل الاموال بقدر ما يستحقون فيلزمهم انصافهم فى القسمة
٥٥	بيان معنى الحكمة والخلاف فيها
٥٧	بيان ان كون اخفاء الصدقة أفضل من اظهارها خاص بصدقة التطوع
٥٨	بيان ان قوله ليس عليك هداهم مقصود به الترغيب فى اعطاء الكفار من صدقة التطوع
٦٠	بيان معنى السيماء والشاهد عليه
٦١	بيان معنى الالحاف فى المسألة
٦٢	بيان الربا المنهى عنه وان المس معناه الجنون
٦٣	بيان ان وعيد آكل الربا بخلود النار بسبب ما كانوا يقولونه
٦٦	بيان ان المنذر بالحرب من أكل الربا
٦٩	بيان ان التصدق على المعسر برأس المال خير من انظاره
٧٠	بيان ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون آخر آية نزلت
٧٣	بيان ان اكتتاب الدين بين المتداينين فرض لازم لا ارشاد
٧٤	بيان ان السفيه الجاهل بالاملاء وموضع صواب ذلك من خطئه
٧٦	بيان معنى تذكير احدى الشاهدتين الاخرى والاختلاف فيها على حسب القراآت
٧٧	بيان الاختلاف فى المحال التى تلزم ان لا يأبى الشاهد عنها
٨٠	بيان ان المنهى عن السآمة فى كتابته هو الدين وبيان معنى السآمة والشاهد عليه
٨١	بيان أوجه القراءة فى قوله الا أن تكون تجارة والشواهد عليها
٨٢	بيان معنى مضارة الكاتب والشهيد والخلاف فيها والصواب من ذلك
٨٥	بيان أوجه القراآت فى قوله ولم تجدوا كاتبا فرهن وبيان اللغات والشاهد على ذلك
٨٦	بيان المواطن التى تجب فيها الشهادة ويكون المتأخر عنها فاجرا قلبه

صحيفة

٨٧ بيان معنى المحاسبة على ابداء ما فى النفس أو اخفائه وان ذلك خاص أو عام وهل هو منسوخ أم لا

٩١ بيان ان قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم الآية ليست منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الآية

٩٤ بيان الشاهد على نصب قوله غفرانك

٩٥ بيان ان النسيان منه ما هو مؤاخذ به ومنه ما لا يؤاخذ به

٩٦ بيان ان الخطأ له وجهان منه ما الشخص آثم به والشاهد على ذلك

٩٧ بيان معنى العفو والغفران

٩٩ تفسير سورة آل عمران

بيان ان نيفا وثلاثين آية من هذه السورة نزلت احتجاجا على طائفة من النصارى وذكر قدومهم

١٠١ ذكر معنى الحى القيوم

١٠٥ بيان معنى المحكم من الآيات

١٠٦ بيان معنى المتشابه والخلاف فيه

١٠٩ بيان معنى اتباع المتشابه المنوه عن فاعله بان فيه زيغا

١١٢ بيان معنى ابتغاء التاويل والخلاف فيه

١١٤ بيان معنى الرسوخ فى العلم

١١٥ بيان معنى زيغ القلب وخطأ قول القدرية

١١٧ بيان معنى الدأب وانه العادة والسنة

١١٨ بيان ان الدأب يطلق على الشان والشاهد عليه من قول امرئ القيس

١١٩ بيان ان قوله فى فئتين مراد به عصابة المسلمين ببدر وعصابة كفار قريش

١٢٠ بيان الشواهد على جواز رفع قوله فئة تقاتل

بيان عدد مشركى قريش ببدر وعدد المؤمنين وكيف قللوا

١٢٣ بيان مقدار القنطار والخلاف فيه

١٢٥ بيان معنى تسويم الخيل والشواهد عليه

١٢٨ بيان ما يعد به الانسان مستغفرا ومعنى السحر

١٣٠ بيان ان الدين فى قوله ان الدين عند الله الاسلام

صحيفة

معناه الطاعة والشاهد عليه

١٣١ بيان معنى الاميين وأهل الكتاب والاسلام

١٣٣ بيان ان التوراة تقر بها سائر الفرق المنتحلة الكتب انها من عند الله

١٣٦ بيان الشاهد على الجمع بين يا واللهم

١٣٧ بيان معنى الولوج وكيف ادخال الليل فى النهار

١٣٨ بيان الصواب فى معنى اخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى

١٤٠ بيان ما يجوز للمسلم فعله مع الكفار اذا كانت لهم دولة أو يد عليه

١٤٢ بيان معنى الامد والشاهد عليه

بيان العلامات التى يتبين بها محبة الله تعالى

١٤٣ بيان ان آل الرجل اتباعه

١٤٤ بيان اسم امرأة عمران والسبب الداعى لنذرها تحريرما فى بطنها

١٤٦ بيان ما يفعله الشيطان بكل مولود الا مريم وابنها

١٥٠ بيان من كان يلى بيت المقدس من أولاد هرون وما كانت وظيفة عمران أبى مريم

١٥١ بيان ما أجراه الله على يد مريم من الكرامات وكان يشاهده زكريا

١٥٢ بيان ما كان يصنعه زكريا من التحفظ على مريم

١٥٣ بيان السبب الذى دعا زكريا لسؤاله الولد

١٥٤ بيان جواز تأنيث الشئ لتأنيث لفظه وان كان معناه مذكرا والشاهد على ذلك

١٥٦ بيان اللغات فى بشر والشواهد عليها

١٥٧ بيان ان يحيى أول من آمن بعيسى

١٥٨ بيان معنى الحصور والشواهد عليه

١٦٠ بيان ان العاقر يطلق على الرجل والمرأة والشاهد عليه

١٦٢ بيان تحقيق الآية التى جعلت لزكريا وبيان معنى الرمز والشاهد عليه

١٦٣ بيان تحديد زمن العشى والابكار والشواهد عليه

١٦٤ بيان خير نساء العالم والكمل منهن

١٦٦ بيان معنى الوحى لغة والشواهد عليه

صحيفه

١٦٧ بيان ماصنع على كفالة مريم من القرعة

١٧٠ بيان ان أحوال سيدنا عيسى كاحوال الخلق الا الخصوصيات التى اختص بها

١٧٢ بيان الطائر الذى كان يصوره عيسى من الطين ثم ينفخ فيه فيكون طائرا

١٧٣ بيان ان نفخ يتعدى بنفسه تارة وبالباء أخرى والشاهد عليه

بيان ان الاكمه هو الاعمى والشاهد عليه

١٧٤ بيان الفرق بين الاخبارات الصادرة من النبيين والاخبارات الصادرة من المنجمين والمتكهنين

١٧٦ بيان اللغة الفصحى فيما اذا اجتمعت تاء وذال والشاهد عليه

١٧٩ بيان ماحصل لعيسى صلى الله عليه وسلم من المعجزات حين أخرجته بنو اسرائيل

١٨١ بيان ان الحواريين لم سموا بذلك والشاهد عليه

١٨٢ بيان المكر الذى مكروه بعيسى

١٨٣ بيان معنى الوفاة التى أخبر الله انه صانعها بعيسى والخلاف فيها

١٨٥ بيان ان الذين اتبعوا عيسى هم المسلمون

١٨٨ ذكر ماحصل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد نجران من المحاجة

١٩١ ذكر ماحصل بين وفد نجران بعضهم مع بعض واعراضهم عن الملاعنة التى دعاهم اليها رسول الله

١٩٦ ذكر ما كان يدعيه فريق اليهود وفريق النصارى من موافقة السيد ابراهيم لهم فى نحلتهم وبيان كذبهم

١٩٩ بيان ان الاضلال معناه الاهلاك والشاهد عليه

بيان ان اليهود والنصارى كانوا يشهدون ان نعت النبى موجود فى كتابهم وكان انكارهم بغيا

٢٠١ بيان ما اتفقت عليه بعض أهل الكتاب من الايمان أول النهار والكفر آخره للتحيل فى الشبه

صحيفة

٢٠٢ بيان ان وجه النهار بمعنى أوله والشاهد عليه

٢٠٣ بيان ان قوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى خبر معترض من الله أو من قول بعض أهل الكتاب والاختلاف فى تاويله

٢٠٥ بيان تحذير الله المؤمنين أن يأتمنوا اليهود على أموالهم حيث فيهم من يستحل أموالهم ويقول ليس علينا فى الاميين سبيل

٢٠٨ بيان ان الوفاء بالعهد من أهل الكتاب ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٠٨ بيان ان معنى عدم نظر الله عدم التعطف والرحمة والشاهد عليه

بيان سبب نزول قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله

٢١٠ بيان ما كان يفعله بعض أهل الكتاب من تحريفهم الكتاب وليهم ألسنتهم ليخال انه من الكتاب

٢١١ بيان ان اللى معناه القوة والغلبة والخصومة والشاهد عليه

٢١٣ بيان ان الربانيين جمع ربانى وهو الذى يرب الناس ويصلح أمورهم والشاهد عليه

٢١٥ بيان تاويل قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين والاختلاف فيه وذكر الصواب من ذلك

٢٢٠ بيان تاويل قوله وله أسلم من فى السموات الآية وذكر الاختلاف فى اسلام الكاره

٢٢٣ بيان تاويل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا وابطال دعوة كل فريق من الامم انهم مسلمون

بيان السبب فى نزول قوله تعالى كيف يهدى الله قوما الآيات والخلاف فيه

٢٢٦ بيان تاويل قوله ان الذين كفروا الآية وبيان ان ازدياد الكفر هو الكفر برسول الله بعد الكفر ببعض من تقدمه من الانبياء أو بغير ذلك من المعاصى وذكر الصواب من ذلك

٢٢٩ بيان تاويل قوله لن تنالوا البر الآية والخلاف فى البر ماهو

(تم فهرست الجزء الثالث من ابن جرير)

*(فهرست الجزء الثالث من تفسير النيسابوري الموضوع
بهامش الجزء الثالث من تفسير ابن جرير)*

صحيفة		صحيفة	
٢	تفسير قوله تعالى تلك الرسل الآيات وبيان القراآت والوقوف	٧٦	تفسير قوله الذين يأكلون الربا الآيات وبيان القراآت والوقوف
٤	بيان اجماع الامة على أن بعض الانبياء أفضل من بعض وان نبينا أفضل الجميع لوجوه	٧٨	بيان ان الربا قسمان فصل ونسيئة وبيان الربوى من الاشياء وأحكام ذلك
١١	التأويل لتلك الآيات	٩١	تاويل تلك الآيات
١٣	تفسير قوله الله لا اله الا هو الآيات وبيان القراآت والوقوف	٩٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٤	بيان فضل آية الكرسي بالنقليات والعقليات	١٠٠	بيان معنى الشهادة ونصاب الشهود وما تجوز فيه شهادة النساء وما تتعين فيه الرجال
١٨	بيان ما للمفسرين من الاقوال في معنى الكرسي	١٠٤	بيان الرهن واللغات في جمعه وما يجوز رهنه وما يكون به القبض
٢٣	تاويل هذه الآيات	١٠٦	تاويل هذه الآيات
٢٦	تفسير قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم الآيات وبيان القراآت والوقوف	١٠٩	تفسير قوله لله ما في السموات الآيات وبيان القراآت والوقوف
٢٨	ذكر ما فعله نمرود مع ابراهيم عليه السلام من المجادلة	١١٣	بيان ما دلت عليه آية آمن الرسول من المراتب الاربع الضرورية للايمان
٣١	ذكر طرف من أخبار بختنصر وتخريبه بيت المقدس	١١٩	بيان ما عول عليه المعتزلة في نفيهم تكليف ما لا يطاق وبيان ما ذهبت اليه الاشاعرة
٣٦	بيان ما ذكروا في سبب سؤال ابراهيم ربه من الوجوه	١٢٢	بيان بعض التكاليف التي كانت على من قبلنا وطباعهم الغالبة عليهم
٣٩	بيان ما دلت عليه الآية من ان البنية ليست شرطا للحياة وتاويل تلك الآيات	١٢٥	تاويل تلك الآيات
٤٥	تفسير قوله مثل الذين الآيات وبيان القراآت والوقوف	١٢٧	تفسير سورة آل عمران
٤٨	بيان ما احتجت به المعتزلة على وجوب الاجر على الله وعلى احباط الكبائر العمل والجواب عن ذلك	١٣٥	بيان شبه النصارى التي تمسكوا بها
٥٣	تاويل هذه الآيات	١٣٦	مسائل في كون القرآن باجمعه محكما وفي حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه وغير ذلك
٥٥	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا الآيات وبيان القراآت والوقوف	١٤١	بيان ان الآيات ثلاثة أقسام
٦١	بيان تفسير الحكمة وما فيها من الاقوال	١٤٤	بيان ما قاله أهل السنة من ان القلب صالح بان يميل الى الايمان والكفر وكل منهما يتوقف على داعية الخ
٦٢	بيان معنى النذر وما فيه من الاحكام	١٤٨	تاويل تلك الآيات
٦٦	بيان الحال التي يكون العمل فيها سرا أولى والحال التي بضد ذلك	١٥١	تفسير قوله قل للذين كفروا الآيات وبيان القراآت والوقوف
٧٢	تاويل هذه الآيات		

صحيفه	
١٥٣	بيان ما كانت عليه اليهود من العهد ثم نقضه وذكر قصة بدر
١٥٦	بيان ما ذهب اليه أهل السنة والمعتزلة فى التزيين والمزين
١٦٠	بيان الشهادة من الله والملائكة وأولى العلم
١٦٥	بيان ما صنعته اليهود من قتل الانبياء والصالحين
١٦٦	تاويل تلك الآيات
١٦٨	تفسير قوله قل اللهم مالك الملك
١٧٣	بيان التقية التى تجوز موالاة الكفار ظاهرا
١٧٥	بيان محبة الله تعالى بماذا تكون
١٧٦	بيان كون الانبياء مخالفين لغيرهم فى القوى الجسمانية والروحانية
١٧٨	تاويل تلك الآيات
١٨٠	تفسير قوله اذ قالت امرأة عمران الآيات و بيان القراآت والوقوف
١٨٣	بيان جواز وقوع الخوارق من غير الانبياء والفرق بين الكرامة والمعجزة و بيان ماذهب اليه أهل السنة والاعتزال فى ذلك
١٨٨	تاويل تلك الآيات
١٨٩	تفسير قوله واذ قالت الملائكة و بيان القراآت والوقوف
١٩٢	بيان ان حدوث الشخص من غير نطفة الاب أمر ممكن فى نفسه
١٩٧	بيان عاقبة عيسى عليه السلام وما كان عليه مع قومه وذكر طرف من تاريخه
٢٠٠	ذكر ما فعلته به اليهود بالحوار بين بعد رفع عيسى وظهور أهل النصرانية
٢٠١	ذكر شبه أوردها بعض الملحدة فى رفع المسيح ودفعها
٢٠٤	تاويل تلك الآيات
٢٠٥	تفسير قوله فمن حاجك الآيات و بيان القراآت والوقوف
٢٠٨	بيان ابطال شبه النصارى فى دعوى الالهية لعيسى
٢١٣	تفسير قوله وقالت طائفة الآيات و بيان القراات والوقوف
٢٢٠	بيان التحريف الذى كانت تفعله اليهود فى التوراة
٢٢٣	تفسير قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآيات و بيان ما فيها
٢٣٠	بيان ان الكافر على ثلاثة أقسام

(تمت فهرست الجزء الثالث من النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثالث من ابن جرير)

*(فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة	
٢	تاويل قوله تعالى كل الطعام الآية و بيان ما كان يعقوب عليه السلام حرمه على نفسه
٣	بيان الصواب فى ان الذى حرمه اسرائيل كان من تلقاء نفسه وان التوراة لما أتت حرم الله فيها ماشاء
٥	تاويل قوله قل صدق الله الآية و بيان ان الدين الحق اخلاص العبادة لله وحده كما كان عليه ابراهيم عليه السلام
٦	تاويل قوله ان أول بيت وضع الآية و بيان ان البيت أول مكان وضع فى الارض للعبادة
٨	تاويل قوله فيه آيات بينات و بيان ماهى الآيات التى فى البيت و بيان معنى الامن
١٠	تاويل قوله ولله على الناس الآية و بيان معنى الحج والاستطاعة و بيان الخلاف فيها
١٣	تاويل قوله تعالى ومن كفر و بيان ان الكفر معناه الجحد لما ألزمه من فرض حج بيته
١٤	تاويل قوله قل يا أهل الكتاب و بيان ان السبيل تؤنث والشاهد عليه و بيان سبب النزول